المطران جورج خضر

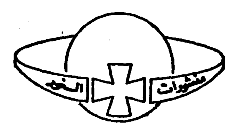
# حديث الأحد

## الدّين والأديان



الجزء الثاني

منشورات النور



المطران جورج خضر

# حديث الأحد

# الدين والأديان
## ٢

منشورات النور
١٩٨٥

# للمؤلف

| | |
|---|---|
| انطاكية الجديد نفد | منشورات النور |
| فلسطين المستعادة نفد | منشورات النور |
| حديث الاحد نفد | منشورات النور |
| ثماني كلمات في الرعاية | منشورات النور |
| كلمات انجيلية | منشورات النور |
| تأملات في تجسد الكلمة طبعة ثانية | منشورات النور |
| الصوم طبعة ثانية | منشورات النور |
| هل الدين افيون للشعوب؟ | منشورات النور |
| في سلسلة «تعرّف الى كنيستك» | منشورات النور |
| الارثوذكسية في الكراسي الشرقية | منشورات النور |
| الكنيسة والدولة | منشورات النور |
| الرؤية الارثوذكسية لله والانسان | منشورات النور |
| الفقر والغنى في الكتاب المقدس وعند الآباء | منشورات النور |
| في سلسلة «حديث الاحد» | منشورات النور |
| الله والقربى | منشورات النور |
| الدين والاديان | منشورات النور |
| الانسان في مصيره واخلاقه | منشورات النور |
| لبنان والعالم | منشورات النور |
| لو حكيت مسرى الطفولة | دار النهار |
| الايقونة | دار النهار |

وقد اسهم في الكتب التالية الصادرة عن منشورات النور

الكنيسة والعالم

مدخل الى العقيدة المسيحية

الرؤية الارثوذكسية لوالدة الاله

الكتاب المقدس وحياتنا الشخصية

الأسقف في الكنيسة

آراء ارثوذكسية في الكنيسة

الجسد والعفة والحب

# «حديث الاحد»

١ ـ الله والقربى
٢ ـ الدين والاديان
٣ ـ الانسان في مصيره واخلاقه
٤ ـ لبنان والعالم



# الفهرست

## الفصل الأول الكنيسة في بلادنا

**الفصل الثاني : الوحدة المسيحية**

**الفصل الثالث : الاسلام**



**الفصل الرابع : الحوار بين الاديان**

# مقدمة

«... الكلمات محطات للكلمة أو مطلات»
المطران جورج خضر
التواصل والوصال - جريدة النهار - الأحد ٨٤/٩/٩

« حديث الأحد» زاوية في جريدة لسان الحال ارتقبها العديد من اللبنانيين وغيرهم من القراء العرب في الستينات. ونشرنا سنة ١٩٦٩ بعضاً من فلسطينيّات هذه الزاوية في كتاب «فلسطين المستعادة»، وسنة ١٩٧٠ كتاباً باسم «حديث الأحد» ضمَّ مئة واثنتين وسبعين مقالة . ونفد الكتابان منذ سنوات.

مقالات «حديث الأحد» كانت وما زالت مناسبة يروي لنا فيها «وائل الراوي» عن الكلمة الذي أحب. يخبرنا فيها عن النور الذي أشرق له وتلمّسه في وجوه وظروف. الوجوه كانت متجلى لله والظروف عتبات لاكتشاف مشيئته حتى «يصير الله لنا إلهاً ونصير له شعباً».

في الستينات الغوابر قاد الهمُّ والوجدُ الأب جورج خضر، كاهن الميناء آنذاك ، إلى مدّ الباب الملوكي في المدى الواسع . يعمل الكاهن الواعظ على زرع الله حياة في واقع الذين يعظهم وهكذا فعل «راوينا» عبر زاويته إذ سعى إلى زرع الله في واقعنا الشرقي عامة وفي

الراهن اللبناني بخاصة. اهتم في بناء انسان هذه البلاد في الحقّ الذي وحده يحرِّر. والحقّ الباني ازاحة للدجل والزيف والزيغان. ذاك كان رجاؤه والرجاء لا يخيب.

فقد تحلق الكثيرون حول تلك الزاوية في «لسان الحال» في امسيات الآحاد وتكشّف لهم وجه الله ساطعاً وبدَّد ذاك الوجهُ من كياناتهم ظلماتٍ وأصناماً.

وأقبل العديدون على الطبعة الأولى من «حديث الأحد» يستلهمونه مشيئة الله في وقائعهم. نهلوا منه العقيدة التي لا تنفصل عن الحياة والخُلق، عن التصرّف والسلوك، عن العقل ومحاولاته.

«حديث الأحد» محطات للكلمة ومطلات. والكلمة هو هو امس واليوم وإلى الأبد. لذا الكلمات التي يطل منها لا تَعتق. من أجل هذا نعيد طبعه اليوم في تبويب جديد يضم مقالات الطبعة الأولى من «فلسطين المستعادة» و«حديث الأحد» ومقالات اخرى لم تجمعها بعد دفتا كتاب وستوزَّع هذه المقالات على أربعة اجزاء: الله والقربى (الجزء الاول)، الدين والاديان (الجزء الثاني)، الانسان في مصيره وأخلاقه (الجزء الثالث)، لبنان والعالم (الجزء الرابع.

وما أحوجنا اليوم إلى الله يأتي ليقوّم اعوجاج انساننا ومجتمعنا. به وحده نخلص وعبثاً نفتِّش عن الخلاص يأتينا من سواه.

ومنشورات النور فيما تقدِّم للقارىء العربي هذه الطبعة الجديدة من «حديث الأحد» ترجو أن تساهم بعملها هذا في تحويل أرضنا إلى أرض جديدة يحكم فيها الله.

**الناشر**

# الفصل الأول

## الكنيسة في بلادنا



# نعمة الفقر

استوقفتني جملة البابا يوحنا «أشكر الله على نعمة الفقر» كما استوقفت غيري. ان هذا الاسقف الكبير أدرك ذروة ما في المسيحيّة من حب لمّا قالها . ولا سيما ان الأساقفة ليسوا مرتبطين حتى الآن بنذر الفقر الذي يأخذ به الرهبان . ثم الفاتيكان غني جداً . هو دولة مساحتها قصر وقلبها متحف وجنّات غنّاء . ولكن يهمّنا من كلمة الراحل المغبوط حقيقتها الأبدية التي أشار اليها جزئياً جبران حايك الخميس الفائت. صح ان الفقر هو الغنى الروحي والزهد بلذائذ العيش ومن هذا القبيل هو نصيب المؤمن الساعي ، في وسط العالم ، الى محجّة الملكوت . ان لا يكون لنا تعلّق بشيء ، ألاّ يأسرنا مخلوق لنكون فقراء الى الله وحده ، هذا هو عمق الفقر .

ولكنّ الوسائل الى هذا العمق مختلفة . بعضنا يكفيه هذا التجرّد الذهني عن المقتنى وهذا الأعراض عن الترف ولكن هناك من يمتهن الفقر اذا صحّ التعبير ،من يلتزم به واقعياً ، من يختاره نهجاً للاستقلال الداخلي والتطهر. كان هذا سبيل الزهّاد في الاسلام ولا يزال منهجاً من مناهج الحياة في الهند وفي المسيحية. وفي هذه كان له استاذان فرنسيس الاسّيزي في الغرب ونيل من بريّة سورا في روسيا . ونادى كلاهما بأن

يكون الدير غير مالك البتة . ومَثّلَ هذان ذروة الحياة الروحية في كنيستيهما .

ولكن لا يكفي ان تبقى في الدين قلة عزيزة لا تقتني ان كانت المؤسسة كلها غنية . فأن الملك يعني ، فيما يعنيه ، ان الطائفة الدينية مضمون عيشها في حين ان بعض الناس لا يُرزقون الكفاية. ولا بدّ ان كان هناك تفاوت طبقي ان يذهب هؤلاء الى ان الطائفة الدينية تشارك في هذا التفاوت لكونها الى جانب الملاّكين الكبار . من أجل ذلك سارعت بعض السلطات الروحية في غير هــذا البلد الى توزيع بعض الأملاك على الفلاحين .

ثم التوكّل الكامل على الاوقاف يعني اننا نحيا من مال الموتى وان الاحياء إذن لا يتعهّدون القضية الدينية بالمقدار الذي يسهم بها الراحلون. ان من لا يدفع من جيبه من أجل المذهب الذي ينتمي اليه لا يدفع له من روحه .

وأهم من كل هذا ان تراكم الاموال ينشىء تضخماً في ادارتها واهتماماً بها كبيراً . والانسان يصرف نشاطه في ساعات معيّنة من النهار . فلا وقته ولا دماغه ولا قلبه تتسع لهموم أسمى . وهكذا تنحرف المؤسسة الدينية الى الزمنيات والخمول .

من أهمّ ما جاء في مجمع الفاتيكان ان اسقفاً زنجياً طلب فرض الفقر على الاساقفة . لو جنّت الرئاسة الروحية في طائفة ما وأخذت بهذا الاقتراح لآمن الناس أن هيبة الدين ناتجة فقط عن القداسة .

الاحد ١٦ حزيران ١٩٦٣

# جلجلة أثيناغوراس[1]

« وكان قوم في اليونانيين من الذين صعـدوا ليسجدوا في يوم العيد فأقبل هؤلاء الى فيلبّس الذي من بيت صيدا الجليل وسألوه يا سيد نريد ان نرى يسوع فجاء فيلبس وقال لاندراوس واندراوس وفيلبس قالا ليسوع فاجابهما يسوع وقال قد أتت الساعة التي يُمجَّدُ فيها ابن البشر» ( انجيل يوحنا ) . ومن سياق الكتاب كله يتـّضح ان مجد المسيح كان في آلامه. واذا عيّد المسيحيون للقيامة فأنهم غير ناسين ان يسوع القائم من بين الاموات كان موسوماً ، في جسده المجيد ، بطعنة الحربة وآثار المسامير . ذلك لانه الشهيد الى الابد . وله ذرية من الشهداء ، على كل منهم ينطبق ما قيل عنه : « كشاة سيق الى الذبح وكحمل صـامت امام الذين يجزونه ولم يفتح فاه » ( اشعياء ) .

بمثل هذا الصفاء استقبل اثيناغوراس العظيم الفصح العـام الفائت وكانت حكومة بلاده اخذت بالتضييق عليه. اجل اسقف القسطنطينية يحمل الجنسية التركية وكذلك الاكليروس الذي يعاونه . لقد اراد ان يمحو الاحقاد بين المنحدرين من أصل يوناني والاتراك محواً نهائياً لمـّا دان بالوفاء الكامل لدولة بلاده وذهب به الوفاء انه أمر بتزيين المؤسسات

---

١ – بمناسبة التضييق على البطريرك اثيناغوراس ،

« اليونانية » في استانبول السنة الـ ١٩٥٣ لما عيّدت تركيا لمرور خمسة قرون على فتح القسطنطينية . شاء الحبر الكبير بذلك الانقطاع الكلي عن كل ذكرى لدولة الروم وقد كافأه بعدهذا منديريس بسنتين باحراق الكنائس وقد ثبت ذلك من محاكمته .

يريدونه اذن كبش محرقة للوصول الى مكسب سياسي او لارضاء الجماهير الساخطة على حكم متهوّل . « اصلبوه اصلبوه » . دائماً يستطيع اي مفتش مالي ان يجد خطأ في الحسابات . دوماً يقدر شرطي بليد الذهن ان يفسر عظة او مقالاً لاهوتياً بصورة تستوجب مذكرة جلب او حكم إبعاد . وبالطبع لا خطر على الامّة التركية الا هذا الشيخ الفائض وجهه بغمرات الفرح والذي يجسم الجلال على ابهى طلعة . مَن عرف براءة الاطفال عند البطريرك المسكوني ومهابة البساطة كيف يفهم اقوال احدى صحفهم انه « يشكل خطراً على تركيا اكثر من قبرص » .

تهمة الخطر على امة اليهود ارسلها محفلهم العاتي على المسيح . ومات السيد ، في الاساس ، لذريعة سياسية . ألعلّ تركيا ، العضو في هيئة الامم ، تقول بالعنصرية كما تقول بها اسرائيل وحكومة افريقية الجنوبية ؟ مملكة اليونان ترفض العنصرية لان المنحدرين فيها من اصل تركي يتمتعون بحريتهم الدينية والثقافية كاملة . وبلاد اليونان لم تعترف باسرائيل .

جريمة اثيناغوراس انه وجه مُطّلٌ على العالم ، غدا أسمه قرين السلام . فهل هو مسؤول اذا كان سليل هوميروس وسقراط وافلاطون ووريث شعب اعطى للدنيا العقل والجمال . ذوو اثيناغوراس عاشوا في الاناضول قبل الميلاد وقبل غزو القبائل المغولية لآسيا الصغرى . هل خطيئة هذا الانسان الذي جعل الله في قلبه « رأفة ورحمة ورهبانية » انه وريث بيزنطية التي أضاءت العالم ألف عام ؟ وهل يسوء الترك ان هذا الضياء قد تجمّع ، بعد سقوط القسطنطينية ، في حي

شاءت الاقدار ان يُسمّى حيّ الفنار ! ان كان للترك شيء من الكيان على مستوى التنظيم والادارة قبل اتاتورك وبعده فكلّه وليد هذا الشرق وأوربا . وكلاهما ، على صعيد الفكر الانساني ، نابع من الاغريق .

بعد ساعات سينشد المرنمون في كنائس استانبول : « المسيح قام » وسيقيم اثيناغوراس الذبيحة الالهية وقلبه مفعم بالمحبة الكاملة لحكومة بلاده. سيكون جليلاً كالانبياء والتاج على رأسه كأكليل شوك. سيأخذ شمعة مضاءة ويهتف : « هلموا خذوا نوراً من النور الذي لا يعتريه مساء » . قد يكون هذا فصحه الاخير على ضفاف البوسفور . ولكننا لا نزال نرجو ، ونحن في غمرة العيد ، الا يقضي الاتراك على آخر أمل لهم في ان يُعدوا مواكبين للحضارة .

الاحد ٢٥ نيسان ١٩٦٥



# خواطر في الكنيسة والسياسة

من طبيعة الايمان ان يشد صاحبه الى غير هذا العالم ، الى غير منطق العالم ، ان يتجاوزه الى ما يفوقه . والدولة تسود العالم وهي نزاعة الى الشمولية ، الى استقطاب القوى ولا سيما اذا فلسفت نفسها وتمذهبت كأنها حاملة الخلاص . واذا كانت كذلك فأنها تستعظم شأنها ، تنتفخ فكأنها الصنم الذي يدنس . اما الذي يمتد الى الآفـــاق الكبرى فيرى الدولة مشمولة لا شاملة ، في ظل جناحي الله و خادمة لكرامة الانسان ، كياناً لا غنى عنه الى أمد بعيد ولكنه مأخوذ في حكم الرب ، مالـك السماوات والارض وكل سلطان فيها .

هذا التوتر بين شمولية الدولة وشمولية الله يجعلنا مدركين قـــول المسيح : « في العالم سيكون لكم ضيق » . واما قوله : « اعطوا مـــا لقيصر لقيصر وما لله لله » فيدعونا الى ذلك الخضوع الذي لا خيانة فيه لحقوق الله على الدولة ، يلقينا في خضوعين لا تناقض بينهما اذا عرفت الدولة نفسها خادمة لمقاصد الله في الكون واهدافه فيها . ولذلك كان المؤمن خاضعاً للسلاطين ومنذرهم بشرعة الرب ، مسالماً لا مستسلماً ، وديعاً وصارماً بآن ، لطيفاً وناطحاً برأسة السماء حتى تصغي السماء اليه وترتعد الارض .

بسبب القلق الذي تثيره كلمة الله عند المستريحين في العالم، المنبطحين فيه يقول السيد عن احبائه : « العالم ابغضهم لانهم ليسوا من العالم » . الذين يرضى عنهم المتسلطون وذوو النفوذ هم من صميم العالم، من نسيجه، من لحمه ودمه، لا يزعجون احداً . انهم قد لفتهم شمولية الانظمة القائمة في الدنيا، صاروا منسجمين مع كل شيء فيها ( الجاه والمال والقوة )، بعضاً من برنامج الشهوة المتحكمة في الناس . اما القطيع الصغير الذي يرعى على هضاب الدهر الآتي فقال عنه ربه « ليسوا من العالم كما اني انا لست من العالم » . سيظلون على عناد الانجيل حتى نهاية العمر، ستبقى منهم قبضة طاهرة حتى انقضاء الازمنة تتقدس في الحق .

المشرف على العالم من هذا المنظار الناس عنده عبيد او احرار. لكل نظام عبيده واحراره. او قل ان النفس تعرف ربها او تعرف الاصنام، تنطلق او تستزلم .ولا فرق بين من استزلم لنظام رجعي او نظام ثوري. المهم ان نفسه مطية . اما ابن الحرية فيحيا في ظل كل نظام في الولاء لأولي الامر لكي يبني بلده بالمعطيات التي بين يديه ولكنه يتجاوز كل وضع الى المتطلعات الكبرى التي فيها خير الانسان وكرامته وفرادته واصالته .المؤمن لا شيء في محدودية النظام وعسفه يحده ولا شيء في كليشهاته يستويه . الحقانيات فقط تغريه .ولكنه يجاور الزائل، يعامله، يسنده كي يكون انفع للانسان، اضمن للسلام، ادنى للازدهار وبكلمة، يلازم كل نظام ويتعداه، في روح لا تستكين، نحو الافضل. يقبح الظلم ويبارك العدل ويسعى الى ان يتكلل العدل بالرحمة . لا ينحرف بالحقد كما لا يذعن للجمود . ولكنه دائماً الى هذا التخطي الذي يجعله رافضاً لفكر سياسي لا توثب فيه او ثورة تتبرجز . المؤمن هو هذه الثورة التي تجعل الثورات لا تضيع روحها .

المؤمنون يعاهدون على الاخلاص ولا يحالفون شكل حكم حلفاً ابدياً.

انهم دائماً اعمق مما يجري حولهم ولذلك يمدونه الى الامام . شهادتهم ان الانسانية لا ترضى صورة حكم نهائي .ولذلك عندهم ان من لا يعيدالنظر باستمرار في الانظمة ولو سميت ثورة فهو رجعي الثورة.الانظمة ينخرها اولئك المتزلفون لها الذين تستعمل .ولا يفيدها الا من ينقدها لتتجاوز نفسها في سبيل حياة لا تنقطع .

الاحد ٢١ آب ١٩٦٦



# دين في دنيا

انقضى أمس لقاء خمسين فتى من الحركة الارثوذكسية في دير بكفتين في الكورة . ثانويون وجامعيون أتوا ليتـدارسوا قضية التزامهم في كنيستهم وهذه الديار . صلوا معاً . قرأوا الانجيل، محصّوه ، هذا أمرٌ عادي عند شبيبة مؤمنة . المهم انهم تطارحوا أسئلة ، البلد كله يفيـد من بحثها . أرادوا ان يفهموا متطلبات ايمانهم ، أن يلقوها في المجتمع بذرة خصب ، ان يعبّروا عنها ليلاقوا غيرهم الى أيّة مذهبية انتسب، على صعيد الانسان وفي سبيل الانسان . قبل ذلك كان المسيحي امـا طقوسياً منكفئاً معرضاً عن الدنيا أو متعصباً مناضلاً في السياسة وفق مفاهيم انغلاق هي في صميمها اللادين . وكان الذين يلتزمـون النشاط الاجتماعي والسياسي يفعلون ذلك توقاً من نفوس محبة للخير ، مأخوذة بمثالية انسانية . فئة لم تكن لتروي ظمأها من الكنيسة ، تلك التي لم يكن معلموها يشيرون الى تطلعات . فكان التزامها السياسي دينها .

جاء هؤلاء الشبان يواجهون ، بصراحة كلية ، قضاياهم في الجامعة ومعضلات الانسان الحديث . أخذوا مثلا يتساءلون ، بصدق ، عـن نوعية البيئة المسيحية التي ترعرع فيها ماركس . شجبوهـا كما شجبها وتوصلوا بعد ساعات من البحث الى ان الله لم يمت . لاحظوا ، مـع

مالرو، بالحري ان الانسان يموت بموت الله واستنتجوا ان بعض الانسان انما يقتضي ايقاظ الله فيه . يتبنون النقد الماركسي لله والدين . يرفضون إلهه الممسوخ ليعبدوا إلهاً حياً هو غير الصنم الذي وصفه ماركس. يومان قضاهما هؤلاء الشبان منصرفين لا الى جدل رخيص بل الى دراسة ولا أعمق من أجل تفهّم عقيدة لا تزال من أصلب العقائد التي انتجها دماغ الانسان . ولكنهم قالوا نحن مع ماركس في رفضه لاستثمار الانسان للانسان نحن نرفض الرياء البورجوازي ، نشجب لا أخلاقية الرأسمالية المفضوحة . قالوا: رفضنا للالحاد الماركسي لا يسوغ أن يقودنا، بشكل ما ، الى أي تحالف يميني على مستوى الحياة الطلابية . يجب ان نعبّر اجتماعياً وليس فقط بالكلام عن وحدتنا مع معذّبي الأرض . ولذلك سوف نلتزم الدنيا . لن يكون لحركتنا ، وهي مؤسسة دينية ، أيّ رأي في السياسة والاقتصاد . ولكن كل منّا بمفرده وفي وطنه ينبغي أن يتخذ موقفاً سياسياً . يجب أن يكون ، في الواقع لا في الوعظ، مع المظلومين والمناضلين في سبيل الحرية. وقد يكون موقف كل منّا ممزقاً لأنه قد يكون وحيداً في بيئة تؤمن أنّ المحافظة مرادفة للدين. وبالضبط ولاؤنا للمسيح يقضي برفع الدنيا اليه ، بمده فيها بالمؤسسات والنظم ، بترجمة الله فعلا خلاّقاً في التاريخ .

وجد الشباب النبرات النبوية الأولى . وفي مواجهتهم لكنيستهم الجريح لم يتسمرّوا على وضع فيها رهيب . ولكنهم تأملوا فيما ينبغي ان يلتزموه حياة روحية وعمقاً ثقافياً ووثبة اجتماعية ، صراعاً ملموساً في حيّز هذا العالم الذي فيه يتجلى ربهم . هكذا يؤمنون . بواكير للفكر، تحفزات للعمل نهدت في جو مفعم بالاخلاص ، معباً بالمحبة . هذه كلها دعتنا الى رؤية البهاء في آفاق بلادنا .

الاحد ٢٨ آب ١٩٦٦

# الى راع

ستفصلنا البحار غداً اذا أدرجك اسقف انطاكية في المصف الرسولي. في هذه الأويقات التي أقضيها بانتظار الطائرة واستطيع فيها وحدها ان أناجيك شئت ان اقول لك ، في شركة الاخلاص ، ما قد لن أجرؤ عليه غداً بعد أن تكون قد أحاطت هامتك هالة من نور .

سيدور الشرير حولك ليمزقك . لن تعصمك ملائكية لم ينلها أحد ولكن في خضم الرعاية ستكون مأخوذاً بين حكمة العالم وحكمة الانجيل . والاولى دائماً أسهل ويحتسب المرء فيها نفسه انه ذو فطنة . والكتاب العزيز لا يطلب ان نلقيها جانباً ولكن ان نخضعها للحكمة الاخرى المرتكزة على اللطف والعفة والتواضع ويثيرها أمامك ، في لحظات اعتكافك الحقة ، ذلك الجسد الدامي الذي عُلق من أجلنا على الخشبة . لما قال : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض » كان عالماً بأن قلب الانسان فيما يكنز وبأنه ان لم يحل في القلب البشري دون سواه لن يكون في ذلك القلب لمحة من الملكوت. هذه الاختطافات الى عرشه لن تكون على فمك وفي أعمالك ما لم تكن فقيراً ، معرّضاً الى التشرد، الى اهمال الكثيرين حتى تظهر أمامه، في كل يوم ، صفر اليدين، متعطشاً

الى الرحمة ، حافياً عارياً كأنك أزاء عتبة السماء . العراة وحـــدهم يلجون السماء .

في تجرّدك هذا الكامل لن تأبه لوجه مخلوق لأن الحكم يكون فيك لله . سيتخبط الناس حولك في « شهوات الغرور » ، كما يقول الرسول العظيم وأنت في منأى عن العاصفة لأنك ترى الله عن يمينك في كل حين وتعرف انه مخلصك. ولكن ان تسرّبت اليك محبة هذا العالم لتسترضي هذا وذاك وتكسب مجداً فليس لك أن تنتظر اكليل المجد الذي أعدّه الله للذين يحبونه . الله أكبر من رعيتك وأكبر منك . ان جعلتها تشعر بأنها صغيرة أمامه وبأننا جميعاً أقزام أمام عزّته تكون قد ساهمتَ في التجليات التي أتى الناصري من أجلها .

وفي مجمع الأحبار لن تكون بلا تجربة . الحكمة الدنيوية تقرع أبوابه أحياناً بقوة . القيادة الكنسية هي نفسها ضمن السفينة التي تتلاعب بها الرياح . ولكنك عالم ان الانواء تسكن فقط عندما يستفيق المعلم. أنت ومن شاركك المسؤولية الكبرى في سياسة أمّة الله لن تأتوا بشيء اذا نظر أحدكم الى الآخر . ستكونون كل شيء اذا تطلعتم الى السيد النائم الى جانبكم في السفينة واستغثتم .عند ذاك يأخذ ألحاظكم كلكم ويسمرها على آفاقه .

ساعتئذ سترون انطاكية الجريح . ستغذونها بدمائكم .ستضمدونها بلحمكم ، هذه التي أبقتها دموعها جيلاً بعد جيل شهادة للأمم . وقتئذ لن يسألكم أحد عن قانون لأن دمكم المسفوك قانونكم . تكون ، أنت ورفقاؤك ، ماسحين كل دمعة من عيوننا . ستعيدون الينا ايماننا بأنّ أبوّة الله ممكنة أيضاً على الأرض لأنكم حاملوها . أعطونا إلهاً حيّاً ، إلهاً حيّاً فينا جميعاً ، إلهاً نفاخر به الشعوب .

لا بدّ لي أن أقف هنا . بعد قليل يجب أن أكون في المطار . هي أسطر أملتها عليّ عشرون سنة من تلك المصاحبة الطيبة التي كان فيها وجهك الصبيح أبداً فرحاً للكثيرين . وكانت البشاشة ، بالطبع ،دليل انفتاح على خير ما في الحياة . أستودعك حنان الله رفيقاً لأتلقى غداً منك بركة الاب والسيد . استلم عصاك بالحزم والدعة بآن . سنشرب معاً ، يوم الاحد الكأس واحد في قارتين . الله معك .

الاحد ٩ تشرين الاول ١٩٦٦

وجهت الى المطران اسبيريدون خوري ، متروبوليت زحلة ، اثر انتخابه .



# العَالم المَسيحي

كانت محنة العرب آخر دليل للتفريق بين « العالم المسيحي» والدين المسيحي . في بعض الأذهان كان ثمة شيء يُسمى الدنيا المسيحية . لقد استمر هذا المفهوم بعد القرون الوسطى لمّا كانت أوربا لا تزال تتكلم عن حضارة مسيحية في القرن الماضي . ثم بات من الواضح أن الماركسية والرأسمالية — وكلاهما غير مسيحي — توزعا العالم . في الشعوب البيضاء لم يبق الدين مهيمناً على المسيرة الحضارية ولو كانت هذه تحمل رواسبه. فبانحلال الأمبراطوريات المسيحية وتفشي العلمانية[1] والفكر التقنوقراطي تفرغ مفهوم « العالم المسيحي » من كل فحوى . وصارت الكنيسة المسيحية أقلية في الدنيا المسيحية نفسها . ومن جهة أخرى أخذت اجزاء أخرى من العالم تنفتح إلى قيم مسيحية . ولعلّ هناك تلمسا لحقيقة الله في الفن وصدق

---

١ ـ لا أقصد بالعلمانية هنا استقلال بنية الدولة عن الادارة الكنسية . العلمانية ، بهذا المعنى ، قيمة مسيحية لكونها تميز بين الأبدي والزائل. ولكني أقصد بالعلمانية كلمة Sécularisation الأجنبية وهي الدعوة الى بناء كل فكر وكل حضارة بلا رجوع الى الله .

الكفاح السياسي وعدالته وذلك في بقاع لم تكن نصرانية يوماً أو بُترت عن مصادرها النصرانية .

أعتقد أننا ، ابتداء من الإيمان ، يجب أن نهلل لزوال « الدنيا المسيحية » ، إنها كانت عالم الكذب الذي يخلط فيه المراؤون ، من كل صوب ، بين الرموز والحقائق . لقد ذهبت إلى الأبد مملكة الروم و « أوربا المسيحية » لكي يُتاح مجال للمسيحية الشرقية والمسيحية الغربية أن تعيشا للمسيح فقط لا للمنافع الدنيوية . طوبي للمسيحيين لكونهم خسروا الدولة وكلّ سيطرة . هذا هو حظ الله الوحيد في السيطرة عليهم . كانوا يمنعون الله عن الناس لأنهم كانوا يثبتون برّ أنفسهم . أما الآن فالمؤسسة المسيحية ، والحمد لله ، كلها في أزمة . لقد انقرضت الأمجاد « المسيحية » الباطلة ليكون الله وحده قيوماً صمداً .

مع ذلك لا يزال البعض يقولون بوجود دول مؤمنة ودول ملحدة . في اعتقادنا أن النهضة المسيحية في العالم لن تتم إلا إذا انهارت آخر دولة محسوبة على المسيحية . قيامة المسيح — وهي المبتغاة — قيامته من تراب التاريخ في فجر جديد رهنُ هذا الإنهيار . يجب أن تتلاشى أحلام العز والسؤدد كليا من قلوب المسيحيين ليصبح المسيح غلاّبا فعلا . المسيح لا يلازم تاريخ أمة أو مجموعة أمم . انه غير مرتبط « بكيانات » مسيحية . المسيحية هي المسيح ، كلمته وتجليه ، عدله وتواضعه . اما ما ينشأ من مال وجول وطول على ضفاف المجرى الإيماني ، في انسيابه إلى الأبد ، فلا شأن لنا به . ليس هو كنزنا . من هم للمسيح لا يوالون كتلة ولا جبهة ولا يخشون أحدا . لا يستطيعون أن يفهموا العلاقة بين إيمان تدّعيه دولة وبين قصفها

لمدن آمنة . الله ، عندهم ، لا ينصر بالسيف أحداً .

فإذا كان الأمر كذلك جاز للمؤمن أن يتساءل مثلا في أية جبهة من الفيتنام هو المسيح . أيمكن أن يكون مع صليبية ؟ أليس هو دائماً من جهة الضحية كائنةً ما كانت عقيدتها ؟ أليست القوة هي التعدي ؟ وإذا اضطر الضعيف أن يهابني ألست أنا مضطهِدا للضعيف؟ العنف ، كل عنف يطرد الرب خارجا . عندما أظهر ذكائي بحيث يصبح رهيبا للجاهل ألست، بفهمي ، متحدياً للجاهل ؟ إذا لم أخدم الناس ، كل الناس لا أقدر أن أرفعهم إلى رتبة أحباء . وإذا لم أجعلهم أحباء فانهم عبيد لي وأنا عدو لإنسانيتهم وعدو لنفسي .

المسيحيون هم مَن دعاهم ربهم ليكونوا له على هذه الصورة . الإنسان لا يولد نصرانياً وبالحقيقة لا ينصّره أحد . هو يقبل صبغةً تُغيّر كيانه أو لا يقبل. المسيح ليس معطى لنا نهائياً . المسيحية في ديمومة سعي .

المسيحية ليست دنيا ، ليست قصة ، ليست تاريخاً إلا إذا كانت دنيا الله وقصة الله وتاريخ الله . ولعلّ تاريخ الله يُكتب اليوم ، في كثير من صفحاته ، خارج « العالم المسيحي » . العالم الثالث ، هذه الصرخة من العدل ، فيه من الحقيقة ما هو أبعد وأعمق من كل الحضارة البيضاء لأن الحقيقة دائماً من نار. مسيحي العالم الثالث ليس جزءاً من المدنية « المسيحية » المترفة . هو من دنيا المحرومين ولا يستطيع ان ينفصل عنهم لينضم الى مدنية المال ومدنية القوة .

حنين المؤمن اليوم هو إلى أفريقيا وآسيا وإلى العرب . قد يكون هذا الحنين المحك الوحيد للايمان الحي اليوم .

الأحد ١٠ آب ١٩٦٧



# مِن أجل من؟

أرجو الا يكون مسيحيو بلادي بعيدين عن المسيح . المسيح في طواف دائم ، خارجٌ للقاء الآخرين . لا يعتزل ، لا يخاف ، لا يتفرجٌ . انه مرمي في العالم ، مشلوح على خشبة ، يحيا عليها قصة حب . بالدم التزم الأرض ومَن عليها . بث فيها روحاً يقيمها من الموت ، ولم يرتفع عن الدنيا إلا ليكون ، من أجل الدنيا ، في دوام انعطاف ودوام رحمة .

وإذا خرج الإنسان فإنما يخرج من نفسه ، من عزلتها ، من خوفها . يخرج بالحب « الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها » . هنا يصرّح الكتاب أن الفدية ممكنة فقط بالموت وأن الذي يبقى وحده متلذذاً نفسه فإنما هو ، بالنهاية ، مهلكها ومفصول عن الشراكة الكبرى التي تكوّنه . وهذه هي المفارقة أن الإنسان يتكون بالتغرب عن نفسه ، بنسيانها . « من يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية » .

المسيحيون أيضاً ، جماعةً ، ممدودون . يعانقون الكون .

ولكن الوهم في أن ينضم الإنسان إلى الإنسانية قبل أن ينضم إلى جاره . ملازمة القريب مقياس الصدق والعمق في المحبة . وأقرب الناس الينا الجريح ، الطريح على الإهمال ، المكبوب على طرقات التاريخ بغضاً مجانياً . قلقي على مسيحيي بلدي انهم لا يقلقون . يضطربون إذا هم لم ينبطحوا في « حقوقهم » وهُدِّد شبعهم ، ان بدا في الأفق شبح انتقاص لما ورثوه من جاه . أرجو ألا يكونوا في وادٍ ومسيحهم في واد ، ألا يكونوا ناس الأخذ والقبض والمطالبة والإنطواء والمخلص يحمل كل حقيقة العطاء . رجائي ألا يكون هاجسهم صيفا طيبا واكتناز صحة ودرهم مع توهم نور وإشعاع . ان هذا لا يكون اقتفاء لآثار السيد ، ذهاباً إلى الآخرين .

أين هذا من كلام الله لإبراهيم : « أنطلق من أرضك وعشيرتك وبيت ابيك الى الارض التي أريك » ؟ وبعد هذا الكلام يأتي الوعد : « وأنا أجعلك أمّة كبيرة وأباركك وأعظّم أسمك » . كل ذلك لأنك انطلقت . لأنك إن تربعت في مدينتك أور حيث المتعة والجمال والمدنية المترفة فلن يفيد إيمانك أحداً . ولكن إن نجوت مما أنت عليه من أطايب الحياة وعبرت إلى حيث أريدك أن تكون « فأنا ترس لك وأنا أجرك العظيم » . وعلى هذا « أخرجه الله إلى خارج وقال أنظر إلى السماء . . . » تلك التي يأتي منها كل عون ويفترض التطلع إليها أننا نلنا الحرية من العزلة والخوف .

إبراهيم لم يسأل عن أخلاق الذين نودي لينطلق إليهم . لم يبحث عن راحته . كان عالماً بأن من سار أمام ربه باستقامة وتواضع انما يبلغ ربّه. هذا المسلك لا نغامر فيه إلا بالحياة ولكننا

لا نغامر فيه بالموت . عندنا ضمانة الحبة من الحنطة التي إذا ماتت لا تبقى أبداً وحدها. عندنا الوعد بأنها إذا ماتت تأتي بثمر كثير .

من أجل مَن يجب أن يهلك نصارى لبنان أنفسهم ؟ السؤال يعود بنا إلى سؤال أسبق : من هو قريبي ؟ عن هذا أجاب يسوع وقال : « كان إنسان منحدراً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه وتركوه بين حي وميت » . لا يزال الجريح هناك ، ليس على كل طرقات الدنيا ولكن على الدروب التي داستها في جوارنا أقدام كافرة. ليس علينا أن نغادر لبنان لنرى المأساة ، المأساة تطوق لبنان . علينا فقط أن نتحرر من روحية الصحة الجيدة ، من الوجل التاريخي وقد أدركنا أياماً وكأنها ما بعد التاريخ . لقد هجم الوحش على فلسطين ومزقها ارباً ارباً كما مزق الناصري قديماً . والعالم ساجد للوحش ويقول : « مَن هو مثل الوحش . من يستطيع أن يحاربه » ( رؤيا : ١٣ : ٤ )

هذه هي تجربة العالم اليوم . المؤمن بالمسيح لايستطيع أن يردها رداً كلامياً . لقد شاء الله ، بحكمته الأزلية ، أن يجعل العرب وحدهم أعداء الوحش الرؤياوي . إن مصارعتهم ليست ضد دم ولحم بل ضد المسيح الدجال . في هذه المرحلة المطلة على ما بعد الزمن تبدو إسرائيل وجهاً من وجوه المسيح الدجال . ولذا كانت نصرة العرب مناصرة للمسيح . وكان لقاؤهم إيماناً وبراً وتأهباً للسماء .

أجل قضية العرب قضية سياسية ولكنها ليست كذلك وحسب. هي أمر إنساني ، أمر المظلومين المجرحين من كل صوب . غير أنها ليست كذلك فقط . شأن العرب اليوم هو شأن المسيح في محاربته لوحش الرؤيا . العرب اليوم هم تماس التاريخ لما بعد التاريخ . العرب اليوم بابنا إلى المطلق .

الاحد ٢٧ آب ١٩٦٧



www.christianlib.com

# الى مسيحيي بلادي

أنتم دعوة كبيرة ، طاقة خلاص . أنتم كذلك بسبب من تسميتم واصطبغتم به . وخطأكم احتسابكم أنكم تقدرون بدونه أن تظاهروا شيئاً . خطأكم الثاني ظنكم أن غيركم لن يكون شيئاً كأن التسميات تامة حد نفسها أو كأن «صبغة الله» لا يقدر المسيح أن ينعم بها على من يشاء بماء أو بغير ماء . أجل كل شيء آت من المخلص الذي تعبدون : كل حق ، كل طهر ، كل جلال كل تطلع . مباشرةً أو مواربةً لا خير في العالم ينشأ إلا وللمسيح فيه لمسة . ولكن السيد يلمس من يشاء . لا تستطيعون أنتم تقييده . لقد وعد بأنه سيسبغ عليكم انعاماته ولكنه لم يقل إنه ينحصر فيكم . بالله لا تكونوا ملكيين أكثر من مليككم وهو « القادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم » .

أنتم لستم غاية العالم . إن العالم لم يُخلق لخدمتكم . ولكنكم أنتم صرتم إلى الوجود لخدمته . الخادم يستمع إلى رغبات سيده . إنه أذنان ناصتتان ويد تنفّذ . كل فكرة السيادة غائبة عن إيمانكم ! إنها مردودة عندكم إلى فكرة الخدمة . ويستمد

السيد فيكم شرعية حكمه من البذل . والحكم يزول إذا طغت على المسؤول ذهنية الإستمتاع ، تزول أصوله قبل أن يفنى واقعه . فلا الرب الذي به تؤمنون يرضى لكم سيادة غير قائمة على الخدمة ولا من ترعون يقبلون بذلك . ثم هذا التفوق الحضاري الذي كان سيبرر السيادة أمسى خرافة أو هو في طريق الخرافة . العلم لم يبق وقفا عليكم . والمعرفة في أبعادها التي هي الاطلالات على الخير ، والرقة والتذوق والرهف ، كل هذا آخذ بالتوزع بين الناس . وإذا كانت الحضارة إلى حد كبير مرتبطة بالمرأة – لكونها موحية ومربية ونصف الدنيا عددا – فغير المسيحية تشارك المسيحية كل هبات الطبيعة ولعلها آخذة في لبنان بالتفوق عليها على المستوى الجامعي . وليس شيء أحب على قلب المسيح من ذلك لأن المسيح عميم وليس مُلكا لأحد ، لأنه يفعل الخير للجميع وكان يفعله لغير المؤمنين بالله . إن تقدم أتباع الديانات الأخرى يفرحه بالمقدار نفسه الذي يفرحه تقدم تلاميذه . إنه مخلص العالم وليس مخلص أتباعه وحسب . إنه ينقذ الكل بالطرق التي يعرفها : بالآداب والتقنية والنضالات الإجتماعية الطيبة . لماذا لا نفرح إذن جميعاً معه لفلاح الآخرين ؟

سأذهب إلى الأقصى لأقول إن السيد مرتبط بالتفجرات الخلقية والفنية والعلمية القائمة في العالم وانها ، بمعنى ما ، بعض حضوره في الكون . الفكر المسيحي يتبنى هذا الموقف اليوم . إن المسيحية المعاصرة أخذت تعي ان حضرة الله لا تنحصر بالتواضع واللطف والمحبة . لأنها ، إن كانت الإحسان العميم فلها أن تختار وسائل الإحسان . ان الحياة الروحية الشخصية

على ما فيها من إلهام وطاقات تغيير ليست كلّ الفعل الروحي في العالم . أجل الدنيا تتحول بالقداسة وكان للقداسة وجه واحد عندما كان العالم صغيراً خالياً من المشاكل على المستوى العالمي أو كان غير معقد المسائل . ولكن بتزايد التعقيد وتوحّد الدنيا، بتضخم سكانها وحجمها والقدرة فيها كان لا بدّ للقداسة أن تتخذ أيضاً شكلا آخر ، شكل المعالجة الموضوعية ، التقنية لأمور الناس . الإبداع اليوم مرحلة من مراحل إرتفاع الإنسان وسموّه ، حضورٌ خفي للمسيح بالعالم . قد يتجلى المسيح بعد خفاء . ولكن هذا الطور الخفي لحضرته لا بد منه . مساهمة تلاميذ السيد بتنشئة العالم وقلبه الجذري أمرٌ يفرضه واجب محبتهم لهذا العالم . هذه المحبة لم تبق على المستوى الفردي . صارت على مستوى الفعل الجماعي ، التاريخي .

هذا التحويل يقومون به مع الغير لصالح الكل . لم يبق التحويل الكوني وقفاً على فئة أو على بلد مهما كان عظيماً . لا لا يمكن أن يكون عملية عطاء من جهة واحدة . إنها مبادلة ، مشاركة . ذلك لأن كل هبة تحصل من جهة العظيم لمن كان دونه في ركب الحضارة يعرّض الكبير إلى إخضاع الضعيف ، إلى إشتراط إنسجامه وسياسة تفوق . أن المؤمن ليس فقط يعطي بسخاء ولكنه يأخذ أيضاً بالبساطة نفسها والتواضع نفسه اللذين يعطي بهما .

وإذا كانت هذه الرؤية المسيحية للأمور اليوم فهذا يعني أنكم ، أنتم المسيحيين ، ينبغي أن تقبلوا أنفسكم في كل بلد في حال عطاء وحال أخذ أي في وضع مشاركة . أنتم في موضع العطاء لأن المسيح أنعم عليكم بالكثير . وإذا جعلتم أنفسكم

في موضع الأخذ فليس ذلك استمتاعاً واستلذاذاً بل لأنه أيضاً نعمة ينعم الله عليكم بها بواسطة الآخرين .

هكذا قد يسهم بلدنا ، في المجال العالمي ، بفكرة المشاركة التي لم تكتشفها الأمم العملاقة حتى اليوم . وكثيراً ما تأتي اليقظة من الصغار . ولكن ما هو أهم من ذلك مباشرة هو أنكم تكونون قد تفتحتم إلى أن الحياة هي أن ينسى الإنسان نفسه وأنه ، في وجدانه الآخر بحق ، يجد نفسه في آخر المطاف. إنكم ، حتى الآن ، لم تعرفوا الآخر في الرب . نظرتم إليه في قباحته . وكل إنسان ، بتقلباته وضعفاته ، لا يخلو من سخف ومراوغة وأنانية . ولكنّ شناعة المخلوق لا تزيل عن وجهه مسحة الخالق . كل إنسان ، في الدعوة وطاقات الله الكامنة فيه ، في إمتداداته إلى اللامنتهى ، كلُّ إنسان مسيح وعليكم أن تنظروا إليه فقط من هذه الزاوية . إنكم ، عند ذاك ، تحيون فيه الإنسان الإلهي الذي يمكنه أن يصيره . بل هناك الأعظم : إنكم أنتم لستم بشيء ، إنكم بلا مسيح إن كنتم لا تنظرون إليه كذلك . وعند ذاك لماذا تدعون بعضكم بعضا وتدعون الآخرين أن يقروا بتفوقكم ؟ وإذا كان حضور المسيح يقوم فقط على المحبة ولم تكن هذه فيكم فلا حق لكم في بناء البلد ولا سهم لكم في بنيان الإنسانية . إنكم من المحبة تستمدون معناكم لأنها هي عندكم كل شيء وبدونها تصبحون العدم . بدونها تعودون إلى الشراسة البدائية ..

أنتم ، في الأساس ، قائمون نواة تموت ليحيا غيرها . بيدكم سر الحياة لأن واحداً علّمكم كيف تقبلون الموت . لعلّ فلاحكم كله في هذا الإختفاء ، في تلك الطفرة الدائمة

التي تنقل حدود الكنيسة إلى حيث تتفانون . الـ « نحن » عندكم الا تقولوا « نحن » . ماهيتكم كلّها ألا تفتشوا عن ماهيتكم . حصانتكم ألا تتحصنوا ، أن ترموا بأنفسكم في وعر الطريق ، في متاهات الدنيا . أنتم وحدكم لا تستطيعون أن تسودوا لأن « رؤساء العالم يسودونهم وعظماءهم يتسلطون عليهم » وأنتم لستم من هذا العالم . فخركم أنكم تزولون وجوداً روحياً فاعلا إذا صرتم أقوياء حسب منطق هذا العالم أو شرفاء على المنوال المعهود . فقد « اختار الله الخسيس من العالم والحقير وغير الموجود ليعدم الموجود » ( ١ كورنثوس ١ : ٢٨ ) .

هل تؤمنون بذلك ؟

**الأحد ١٤ كانون الثاني ١٩٦٨**



# المَسِيحيي والمصير العربي

الاحد ٢١ كانون الثاني ١٩٦٨

أين المسيحي في بلادنا من المصير العربي ؟ هذا السؤال يطرحه كل إنسان في دنيا العرب . والجواب النهائي عنه مرتبط بنوعية الحياة الروحية في دنيا الإسلام وبنوعية الفكر الديني فيها لأن المصير يعيّنه كل المعنيين به . ولا شك أن العالم يرجو قيام نهضة دينية عقلية في الإسلام يحملها ناس لهم من الإيمان عمقه وصدقه وأبعاده التي تتجاوز الظرف والمحنة ورد الفعل إلى الشهادة الكبيرة في عالمٍ حديث .

ولكن حسبنا اليوم أن نطرح السؤال على المسيحيين . إن لهم ، إذا عقلوا ، موقفاً من كل مصير لأن المسيح سالكٌ على طرقات الشعوب خفياً أو ظاهراً . انه حيث الشعوب تنمو أو تضمحل ، تنجز أو تتخلف . وهو ، بخاصة ، طريح آلامها . بادىء بدء لا يسوغ للمسيحي أن يحيدَ عن الحاسم .

ولكن هل للعرب من مصير ؟ لا أقول إنهم مخلّدون في التاريخ فقد ينطوون يوماً والخطة موضوعة لانزوائهم . المهم أن المسيحي لا يكون خلوقاً إذا وافق ، بصمته أو تواريه أو

أنانيته ، أن يغض الطرف عن مشروع القضاء على العرب كائناً ما كان رأيه في رقيهم وصلاحهم . فأنهم مدعوون إلى الحياة لمجرد أن قوى جبارة عاتية تسعى إلى غيابهم . بسبب ذلك ، المسيح نزيلهم ، ضيف تاريخهم . فالسيد لا يضاف في كنيسة أو قربان وحسب ولكنه ينضاف أولاً في الألم . وما الكنيسة سوى شاهدة على أنه في ديمومة جرح . إنها هي حيث الدم ، أي دم مهراق . فإن لم يكن عند العرب اليوم قوة كافيـــة ليصنعوا مصيرهم وجب أن يكون المسيحيون هذه القوة لكونهم يرفضون إذلال الشعوب وتذييلها لفراعنة العصور . لقد عيّنهم الله مسؤولين عن المصير العربي وهومقحمهم فيه إذا إفترضنا أنهم خارجه . أضعف الإيمان ألا نرى اليوم قضيةٌ تتقدم قضيةَ العرب ، أن نلتمس المسيح حيث هم مصلوبون .

قد يرى المسيحي العربي نفسه منتمياً إلى هذه القومية أو تلك أو قد يحس بلاد العرب جميعاً موطنه . أمر القومية هنا لا يعنينا وهو غيرُ قضية المصير أصلاً . نحن لا ننطلق من دعوة وحدوية وقد لا نشاهد مسيرة واحدة للناطقين بالضاد . جل ما أقول إننا معاً أمام التاريخ في انحطاط أو في نهضة ، معا إلى مجد أو هوان وإنه يجب أن نبقى معا بسبب التحدي للإنسان القائم في كل عربي . إن الصراع القائم في هذه المنطقة صراعٌ بين بشرٍ يريدون البقاء في التاريخ وبشر مصممين على طردهم من التاريخ ، بين ناس يسعون إلى التخلص من التخلف وناس يبتغون جعلهم أجراء لامة دخيل . الذي لا يحس أنه ينتمي إلى العرب بصلة يكون غير خلوق إذا رضي ، بصمت مساوم ، أن ينصر المستمتعين والمتملكين على حساب المحرومين . معية

العرب ، أن نحيا جميعاً في هذه المعية شرطُ وجودنا الأخلاقي .

ما يحول دون إندراج المسيحي في المصير العربي هو الخوف. اراء الوجل الموروث الذي يعانيه البعض قد لا يرجو الإنسان الواقعي الشيء الكثير من شتات فكر قومي لم تظهر علمانيته بوضوح أو قد توارت بعد تجليات عابرة . ولكنا لا نرى كثرة ساحقة من النصارى يأخذون بالعلمانية نهجاً للسياسة والتنظيم والتعليم . إننا ننتظر بزوغ العلمانية عند الجميع على حد سواء . وإذا كان ظهورها ، في الأوساط الإسلامية، شرطَ اشتراك المسيحي بالتاريخ العربي يعني ذلك أن المسيحي قد سلم مسبقاً أن المسلم وحده يصنع تاريخ العرب وأنه هو — أي المسيحي — يدخل إليه مترفاً بعد أن يكون قد جنى الثمار من أتعاب الآخر .

لا يخفى أن الإيمان بتعلمن العرب لا نستطيع فرضه على أحد ولا سيما انه ليس قريب المنال ، وأعرف أن الإلتزام السياسي لا يقوم على مغامرات خطيرة كهذه . ولكن المسلمين بشر والمحبة تغريهم ولا يستطيع أحد مقاومتها . إنها أفعل من كل نص . ومما ييسر المحبة أن يتعمق النصارى تاريخ الإسلام لأنهم إذا عرفوه يدركون أن تاريخاً آخر لم يتجاوزه في السماحة. ولعل أكثر ما فيه من سلبية كان رد فعل على الحروب الصليبية وعلى الإستعمار الغربي أي أن سلبيته انطلقت أساساً من أصالته. وإذا كان لا بدَّ من الشهادة على الماضي بالحقيقة المتواضعة التي تحرر وحدها للاحظنا أن ما قاساه المسيحيون من المسيحيين فاق ، بصورة رهيبة ، الشدةَ التي تحمّلها أهل الذمة في بعض حقبات الحكم الإسلامي

الأحد ٢١ كانون الثاني ١٩٦٨



# العربيّة وحياتنا الروحية

« اللغة أداة تواصل وتفاعل » ، قالها أدونيس الإثنين الماضي في الندوة اللبنانية . واللغة واحدة أو كذا يجب أن تكون لأن الوطن واحد أو هكذا نرجو أن يصيرَ . اللغة روح وتراث وتطلع ، قالب للرسالة التي تحمل وشيء من مضمون الرسالة . الشكل والمعنى يتزاوجان تزاوجاً بديعاً . قد يكون العقل الإنساني واحداً في العالم المتحضر ولكن الأرض والشعر وطريقة التعبير تُلوّنه . العقل الذي لا ينحصر في العلم ليس واحداً في الدنيا . ولذا العقل — الفن ، العقل — الحياة ، العقل — الحس الإجتماعي له لونه إذا كانت العربية أداة الإحساس والتعبير أو كانت لغةٌ أخرى أداةَ هذا الإحساس .

من هذا القبيل الحياة الداخلية ، التي تغلي وتتحرك لا يمكن أن نسكبها إلا في قالب لغوي واحد مألوف . قد نتموج بين لسان ولسان في حقبات مختلفة من العمر ولكننا نبلغ مرحلة يتركز فيها حسّنا الداخلي وينتقي لنفسه الثياب اللغوية التي يراها ملائمة لحقيقته . هذا لا يمنع أن نفهم شعراً أجنبياً ونتحسسه

وهذا لا يحول دون الافصاح عن فكرنا بلغة أجنبية . ولكنّا مدركون بآن أنها مستعارة ، أنها أمست من غير كياننا . نستعملها لأنها مفيدة ، معاشية ليس لأنها نحن .

لماذا يختار العربيةَ من يختارها ؟ قلت من يختارها أعني به ذلك المثقف الذي تروّض على الفرنسية تروضاً كبيراً واستخدمها خطابة وكتابة ؟ هذا الذي كانت له قدرة على الإنتقاء لماذا يلازم العربية ؟ الجواب الوحيد هو أن هذا الإنسان اكتشف أحد أمرين : تجذره وتجذر بلاده بالتراث العربي وضرورة استيعاب هذا التراث للابقاء على بلاده في محيطها الطبيعي والتاريخي أو أنه اتصل بالشعب العادي إتصالاً جعله يستمد حساسية جديدة من البسطاء الذين لا يتقنون لغة أجنبية . في الحالتين هذا الإنسان امتد إمتداداً روحياً . كان هذا الإنسان « ثابتاً في الحق الحاضر » ، كما يقول بطرس الرسول . استقى من الماضي في الحالة الأولى واستحضره خدمةً للناس أو لطمه الناسُ العاديون على وجهه فاستيقظ من تغرّبه الحضاري ليكلمهم لغتهم ، ليقول لهم إنهم أحياء ويساوون كل مثقفي الأرض . العربيةُ ، بهذا المعنى ، اختيار اخلاقي ، ترك للترف العقلي ، إندماج بالعامة .

هذا لا يعني أن العامة يفهمون بالضرورة كل ما يُكتب بالعربية وقد يطرح هذا مشكلة المبنى في العربية نفسها . ولكن العامة في رجاء أن تفهم إذا كان الأدب قائماً بلغتها . أدونيس لا ينفي أن يكون ثمة ناسٌ قلائل قد أدوا خدمة بلسان غريب واضطروا هم لاستعمال هذا اللسان لظروف تتعلق بحياتهم أو حياة فئة من اللبنانيين . هؤلاء مَن ينكر فضلهم ومساهمتهم

الكبرى في تأسيس البلد ؟ ولكنّهم من جهة نضجوا في ظلّ الانتداب وكان بعض شعبنا في حيرة من أمر مصيره وأمر ارتباطاته مع الجوار . والأفراد القلائل الذين نبغوا في الشعر والسياسة لا يصح اتخاذهم قاعدة لتنشئة البلد .

البلد، إذا بقي مُحيراً بين لغتين، محيرٌ ليس فقط بين ثقافتين ولكنه متردد أيضاً بين عالمين . اللغة رمز ولا شيء مثلها رمز . الثنائية اللغوية، أي اعتبار لبنان على لغتين اصيلتين، انما هي اختيارُ لبنانين ، استمرارٌ للفئوية فيه .

أنا لا أقول بالضرورة أن هذا التقسيم تقسيمٌ طائفي. فلدينا الآن مثقفون مسلمون يؤثرون استعمال الفرنسية أو الإنكليزية أداةً لهم للتعبير . ولكن الثنائية اللغوية هي قبل كل شيء تكريس لسيادة الحضارة البرجوازية في لبنان وللسياسة البرجوازية فيه . إنه لبنان الصالونات والترف العقلي واللاعقلي ، كل هذا الذي تلفظه المدنية الغربية في احتضارها .

اللغةُ الأجنبية في كل بلدان العالم ، كانت لغةَ المجالس المستريحة . وقد يكون السؤال : لماذا تريدنا أن ننتقي بين هذه الثقافة البرجوازية اللطيفة ، الغنية وثقافة لم يثبت شيءٌ أنها قادرة على اقتحام الوجود ؟ بالضبط كان أدونيس يتنكر « للجمود وللجوء إلى الماضي والنوم في الموسوعات » . قال عنها إنها « قبور محفورة باتقان بارع لدفن هذه اللغة » . الدعوة دعوة إلى الحياة والحياةُ هي في الشعب كله . وهذا الشعب قادر على أن يوحي لغة جديدة . تولستوى ولرمنتوف وغيرهما في روسيا لم يكن أدبهما ما كانه إلا لكونهما اتصلا بالناس العاديين . ثم من

والذي قال إننا سنقرأ المتنبي وأبا العلاء وحدهمـا دون دانتي وشكسبير وجوته ؟ ولكنّ المهم أن نتمثل هذا التراث الأجنبي وأن نخلق ، بعد هذا التمثل، أدبَنا الخاص . الكبار لن يفعلوا في أمتنا ما لم يكونوا مقروئين بلغة هذه الأمة ، ما لم يتحولوا إليها طعاماً تقدر على هضمه . إن لقاء الموروث ، عربيه وغربيه ، بعقولنا لقاءٌ غير ممكن ما لم يكن الأدب كله أدباً متطلعاً إلى كل الناس في بلادنا. كل ترداد لأي أدب في الماضي مضر أعربياً كان أم أجنبياً . العربية التي نتكلم عنها ليست استظهاراً ، لما كان ولكنها اللغة التي تتفاعل مع ناس اليوم .

من هذا القبيل اللغة الواحدة كانت في رأينا ضرورةً روحية. إذا كان تثقيف الكل هاجسَنا ، إذا كانت ترجمة الروائع العالمية همَّنا ، إن كنا نبتغي لغة تحمل عصرية الفكر لأهل البلد فالعربيةُ حدها محمل كل ذلك . العربية واجب مَناقبي .

# مفرقعات الأعياد

لم يمت الإله الوثني فينا ولم نتجاوز ذاك الذي كان يظهر بالبرق والرعد. وعندما كانت الإنسانية تتصوَّر ربها على هذا الشكل الناري إنما كانت تلتمس فيه شهوة العنف التي فيها. والغرائز متأهبة دوماً للتفلت. ومن مظاهر انفلاتها الرصاص والمفرقعات التي يستعملها شبان صاحون أو سكارى عملاً بالمادة ٦ و٦ مكرّر. والحقيقة أن الخلاف ليس بين المسيحية والإسلام بل بين الطوائف ـ الأحزاب ، بين مجوسيي الإسلام ومجوسيي المسيحية لأن المتعبد للنار مجوسي إلى أية ديانة انتمى. فالوثنية لا تنقرض . حسبنا الإهمال لتعود قوية تتحكم بمن يوحِّد الله تحكماً شرساً . والله ظرف من ظروف الرجعة الوثنية وشهواتها. والناس سذَّج إذا سمّوا لهيصة ابتهاجاً . والذي يخدع البشر مجرَّد قيام « الهرج والمرج » يوم التعييد فيحسبون أن العيد مرتبط بالتهييص . والحقيقة أن الرغائب الحيوانية تتدفق في المواسم لأنها تستحيي أن تظهر بلا مبرِّر . تصطنع التبرير فتطلي الشهوة بشاعتها بمسحة من تقوى . وبعض التقوى نافع للخطيئة في قحتها.

والمصيبة أن المفرقعين ومن يتساهل معهم لهم لغة وللمؤمن الحق لغة أخرى . المؤمن يذهب إلى الله ليلقاه في التواضع والسلام ،

ليسكت كل شهوة في حضرته. واللاعبون بالنار يؤمّون ساحات المعابد ليلعبوا . إنهم طلاب لذة . والذين لا يحتجّون عليهم إنما يتسلّون بتسليات أولئك . يترفّعون بسبب من رهف وتهذيب. ومع ذلك يحبون أن يلعب ولدان الحي البالغون بهذه الدمى . المهذبون لا يفقدون يداً ولا عيناً ولا حياة . لا يفهمون إذا شرحنا لهم أن هذا كله يقضي على العبادة إداء وسماعاً وخشوعاً كأن أحداً لا يهمه جدياً أن تكون الأعياد تقديساً والمواسم معارج إلى السماء. كل موضوع الله وقضيته ملهاة لكل هذه الجماعة الراضية عن هذا السيرك .

مذهلةٌ هذه الفوفاشية التي نواجه فيها المهزلة. فاللاعبون في السيرك يعرفون كلهم قواعد اللعب . أمّا المتفرجون فلا يعرفون . المصلّون الذين يتغاضون عن الرصاص لا يدركون أن من تسمح له بالنار إنما يستزيد . ولذلك من تكلم عن توجيه هذه التظاهرات أو تحديدها أو حصرها في وقت معلوم إنما يهذي . منطق النار أن تبقى ، أن تلهب ، أن تلتهم الدنيا . النار تجعل في نفس القابض عليها نشوة . ولها عشّاقها المدمنون . وإذا كانت الزقّ هنا فكيف يرتدع السكير ، أو كان الرصاص وما إليه بمتناول اليد فمن يقمعه؟

لذلك يجب ألّا يباح دخولها إلى ساحات المعابد أو داخلها . السلاح يدنِّس الهيكل . والنار دائماً سلاح الشيطان ، وسيلة مجنونة تعطل الشعائر . والدولة ، بتغاضيها ، مسؤولة عن هذا التعطيل . والمصلّون الودعاء ليسوا شرطة ليقمعوا بدائية هوجاء تنتهك حرمة مقادسهم . القانون الجزائي يحرِّم التعدي على العبادات. أي التعديات

أقوى من هذا؟ القيِّمون على الحياة الروحية لا يستطيعون أن يشوا بأحد ولو أساء إلى ربهم وقد لا يطاعون إذا نبَّهوا ولاموا . السلطة المدنية مسؤولة أكانت الأدوات المستعملة مرخصة أم غير مرخصة . المادة الجزائية هنا ليست حمل أسلحة أو متفجرات . فقد يدوي المسموح به ويعطل الصلاة . الدولة تستطيع أن تبتر . إنها تستطيع أن تحمينا من العدوان ، من عدوان أبنائنا . فقد تكون نية ابنك حسنة إذا جاء ليقتلك . هذا لا تبحث أنت فيه ولكن تتمسك بحياتك . الشبان الصاحون أو السكارى، وكثيراً ما يكونون لطفاء خارج معركة المعابد، هؤلاء بأطيب نية أعداء حريتنا الدينية . يمنعوننا من الوصول الى إلهنا . سيركهم يجب أن نَطْرد أو ننكفىء إلى البراري لنصلِّي . فما دامت النار في حرم كنائسنا نحن في حالة اضطهاد .

**الأحد ٧ أيار ١٩٦٧ .**



# ضلّوا كلهم

« ليس بار ولا واحد وليس من يفقه ولا من يبتغي الله . ضلّوا كلهم فرُذلوا جميعاً وليس من يعمل الصلاح ولا واحد . . . لم يعرفوا سبيل السلام وليست مخافة الله أمام أعينهم » ( بولس الرسول ) . يتعثر الإنسان في سعيه إلى الله إذا ما عمّ الفساد وشمل الراعي والرعية وإذا صار اللسان الذي يعلّم الشريعة لا شريعة له وغدا رئيس القوم يحمل الحقد . إن ضلّ المسؤول في متاهات شهوته « ففمه مملوء لعنة ومرارة » . ولكونه أوتي سلطاناً ونفوذاً تزداد قدرته على الإفساد ويزجّ العباد في يأس سحيق فيفقدون إيمانهم بالصلاح والطهر وظفر الخير ويترنحون بالمطربات لأن الصاحي ـ أو من افترض كذلك ـ « تاه من المسكر وضلّ في الرؤيا وقلق في القضاء » ( أشعياء ) .

وإذا كان حماة القيم يدوسونها بأرجلهم فمن يصدّق البشرى ؟ وإذا أمسى النور الذي فيهم ظلاماً فالظلام كم يكون ؟ في لهجة ليس أقربها إلى الحزن قال السيّد عمّن فسدت سيرته : « إنه لا يصلح لشيء إلاّ لأن يُطرح خارجاً وتدوسه الناس » . قال ذلك وهو اللطيف بالناس . وما ذلك إلاّ لأن الغصن اليابس يجب أن يُقطع ويُلقى بالنار

ليحترق . في منتهى الألم يبتر البستاني ذلك الغصن عن جذع الشجرة فقد كان يرعاه فيما مضى . الإنسان يحب ما يرعى ولكن الشجرة أفضل من أغصانها .

إنها حقاً مأساة الله أن يكفّ الراعي عن الرعاية أو أن يصبح عدو الرعية فتضحى « مشتتة من غير راع ومأكلاً لكل وحش الصحراء » ( حزقيال ) . ولكون الرعاية وكالة ـ وقد يفسد الوكيل الوكالة ـ يقول الله عن الرعاة : « أطلب غنمي من أيديهم وأكفّهم عن رعي الغنم . . . وأنقذ غنمي من أفواههم . . . أخلّص غنمي ولا تكون من بعد نهباً » . في أوان الضيق والالتطاخ الله وحده مرجع الرعية ليكون لها مأمناً ممن وُلي عليها ، « فصدوا عن سبيل الله أنهم ساء ما كانوا يعملون » ( سورة المنافقون ) .

والله أوصى بجهاد المنافقين عن طريق التمسك بالشريعة والحق ونبذ ما يخالفها والرحمة بأولي الأمر إذا عادوا عن غيّهم . والتكاتف والتراص في سبيل الله لصدّ العدوان عن الرعية تكليف إلهي لا مفرّ منه « فلا محاباة للوجوه لأن الحكم لله » ( موسى ) . وقد يضطر المرء أن ينفصل عن أعزائه في سبيل الحق لأن لله وحده السيادة والعزة . والويل لمن يؤثر انفعالات اللحم والدم على صوت الرب فيه .

وإذا استمر الراعي في الغي فلا رعاية له ولا واجب تجاهه بل الطاعة للخالق أولى في كل حال . وقد يتنبه لفساده بموقف لشعبه حازم . والصلابة هنا تفرض نفسها علينا . ولكن كل مقاومة يجب أن تكونِ شرعية وأن تستنفد كل المحاولات لإعادة الضال عن ضلاله .

ولا يسوغ ، بحال ، أن نسير مع أهل الزيغان شبراً واحداً بحيث نقبل بذرة واحدة مما أتوا به لأن كل شبه مساومة مع الباطل باطل .

عند تفشي الإثم ينبغي أن يمتحن كل منا قلبه ليعرف مقدار تساهله في الماضي مع المنافقين ومدى تغاضيه عمّا ارتكبوا . إن تناسي الكبائر باسم السلام إشعال لنار الضلالة . فكل معصية عند الراعي تؤذي الرعية وتمس المبادىء التي تقوم عليها يجب أن تفضح لأن الراعي لا يملك حياته بل يبذلها عن الخراف . والمعصية تحول دون هذا البذل . لا حق لأحد في منصب على حساب الحقيقة والعدل لأن المناصب قائمة فقط لإحقاقهما .

**الأحد ٢٢ ايار ١٩٦٦**



# وحدانية الروح
# والأزمة الارثوذكسية

آلمت الأزمة الارثوذكسية القائمة قلوب الكثيرين لأنها ، بنظر المواطن ، تصدّع في جماعة كريمة وفي رؤية المؤمن تمزيق لثوب المسيح غير المخيط . غير أن الألم لن يكون خلاقاً ما لم يثر فينا هاجسين متلازمين : الحقيقة والوحدة .

الحقيقة تفرض ألاّ يتّبع المرء سياسة النعامة ويضطرب لكون الصحف قد أشاعت الخبر . فبوسائل الإعلام لم يبق من الممكن ألاّ يُذاع سرّ . يُغضِب الناس ، على ما يبدو ، إعلان الشر ولا يقلقهم وجوده . في قضية كهذه حيوية يتعلق بها مصير طائفة لا يمكن التغاضي عن الفساد . بعض الصمت إثم وإفساح مجال للمفسدين . أما كشف النقاب عن القبائح التي تلوث الأمة فتطهير للأمة . بث النور فضح ظلام . هذه دوماً كانت خطة الأنبياء ونهج يسوع . هذه صارت طريق الآباء الذين عرفوا الضيق والنفي والعبودية المرّة وكتبوا دفاعاً عن الحق . والرسائل اللاهوتية والجدلية كانت صحفهم آنذاك . « ما جئت لألقي على الأرض سلاماً بل سيفاً ، جئت لأفرّق » . وهذا

الصراع المستمر الذي عاشوا فيه كان سبيلهم إلى الله وإلى وجهه . كانوا يأبون الإستكانة الكذوب التي تتوخّى وحدة الناس على أساس التحذلق والمساومة . وحدة البشر ، فيما بينهم ، تلاقي أهواء ومصالح . يتساندون لبقاء كل منهم . ولكن الوحدة الحق هي التي تقوم بينك وبين ربك ثم تنعكس على الجماعة فإذا بها تتآلف حول كلمة الله ولها .

وحدة الكنيسة ليست وحدة قبلية ، تجمّع عدد . فالكثرة الساحقة كثيراً ما تُجمِع على خطأ . فالجماعة مدعوّة لحمل الحقيقة وهذه وحدها تبرّر كيانها . الطائفة الدينية إن لم يستقطبها الله فلا نفع منها . فالرابطة عقيدة وأخلاق وشريعة . وقد يكون الإنسان ، ظاهراً ، على العقيدة ولكنه منكرها في كل تصرفاتها . قد لا يكون منحرفاً عن دستور الإيمان ولكنه بعيد عن الإيمان الحيّ وكرامة الخلق وروح الشريعة .

الوحدة وحدة مع الله ومواكب القديسين والتطلع إلى آفاق الخليقة الجديدة . وبها نتجاوز أنانيتنا ومهارتنا لنلقى الآخرين ببساطة المسيح ولطفه وتواضعه . وهذا يعني أن من اتحد بالكنيسة له ، في كل ظرف ، موقف تمليه الحقيقة وحدها . من وراء النصوص الحقيقة هي حيث خلوص النيّة وبنيان جسد المسيح . الحقيقة تتجلّى في الآن ، في لحظة إنقاذ ، في خط التجدد والتاريخ المستنير . الحقيقة لها وجه واحد في الأزمات .

في الشدة يفحص الله القلوب والناس بعدله العظيم . فيها

يمتحن إخلاصنا فنتزكى أو ننحدر . فيها تنفصم الصداقات لأن بعضاً أحبوا الله على حياتهم وبعضاً آثروا هذه الحياة .

أجل الحقيقة ، في المسيحية ، ليست مجرّد شريعة ولكنها ، بآن ، ليست تجاوز شريعة . لا ندفعها ثمناً لوحدة مزعومة تكون رَصْفَ بشر ، تراكُم أجساد . الوحدة ، لتصبح وحدة حق ، تفرض التأديب . « من يحبه الرب يؤدّبه » . ومن أحب الرب يطلب لنفسه تأديباً . بذلك يشهد الإنسان بأن للجماعة المؤمنة حق الإشراف عليه وحق النصح . وحتى يكون لقاء البشر لقاء في الرب كانت الكنيسة تَبتُر قوماً من عضويتها ، تُقصيهم علّهم يرتدعون . وما قبلت في صفوفها إلاّ من تعاهد على الإخلاص ولم يسلمها إلى أعدائها . وهي تدين عمله وفق تعليمها ودستورها وقوانينها الرئيسة ليقينها بأن الإنسان في وحدة مع ربّه إذا انسجم بهذا الدستور وهذه الروحية . تقطع بشراً عن جسمها سعياً منها إلى التصاق هذا الجسم بالرب . أليست الصلاة ، بحد نفسها ، توبيخاً مستمراً لمعصيتنا ؟ الكنيسة تنشيء أولادها بالتوبيخ . أن نسعى لشق جسد المسيح ونلازمه دون أن ينفعل هذا الجسد ويطرد عنه المرض لأوضح مظهر للتعفن . « ولكم في القصاص حياة » ، هذا سرّ من أسرار الكنيسة اليقظة التي تدفع عن نفسها من ظلمها بالتمرد لتبقى في طاعة ربها ووحدته وحقيقته .

**الأحد ١٢ حزيران ١٩٦٦**



# الحركة الارثوذكسية والمصالحة

« أثناسيوس ضد العالم » عبارة أطلقها التاريخ المسيحي على أسقف الإسكندرية العظيم في مقاومته بدعة الآريوسية في القرن الرابع في تآليفه وتشرده . في المحنة التي اجتازتها الارثوذكسية ، في تألب الظلمة على النور ، كاد ثيودوسيوس الإنطاكي أن يكون وحيداً . صموده هذا وحده كان رحمة له ولشعبه ، لمسة إلهية حسية خسر فيها الباطل جولة . وقد افتقد الله الذين عصوا برأفة من لدنه عسى أن يكون ذلك توبة أعماق .

كانت التجربة قاسية . المهم أن يتخذ منها المؤمنون عبراً . العبرة الأولى أن يعرفوا ما يجري حولهم لئلاّ ينقادوا « بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال » ( أفسس ٤ : ١٤ ) ، أن يلتزموا دينهم التزاماً مسؤولاً . ولهم عند أهل اللاذقية الهدى . اللاذقية بتجنيدها الكامل ، أظهرت أن المسيح حيّ . كان الإنسان يلمس فيها عنصرة الروح والنار . جعلها الله موطن النبوة إذا كانت النبوة صرخة الله في الناس . برهنت أنها حققت الرؤية النهضوية ببسالة نادرة .

المهادنة التي تمّت بين الفريقين نهار الخميس لا معنى لها ما لم

تصبح مصالحة عند الشروش . لا قبلة عشائرية من أجل توازن قوى يبقى عند العنفوان البشري سلمياً بل إسلام إلى حق الله ، وتبلور روح في بساطة المسيح وشفافيتها ولطفها . وهذا يعني أن لا ولاء فيما بعد لآلهة غريبة وتعاليمَ غريبة ومؤثراتٍ غريبة عن الإنجيل وإنطاكية . الله ومحبوه لا ذاكرة لهم . يتغاضون عن الماضي بالصفح المتواضع المحب . ولكن ذوي العبادة الحسنة يصالحون على أساس الرأي المستقيم فلا مسايرة عندهم ولا مصانعة لأن الحكم عندهم لله ولمسيحه . فالمسيح وحده « هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً » ( أفسس ٢ : ١٤ ) . والمسيح يضرب الباطل إلى الأبد وليس من قوة في السماء وفي الأرض تستطيع أن تجعل الظلمة نوراً والنور ظلاماً . والهدى يدخل إلى قلب الضال إن اعترف بضلاله ومقَته . فإن المصالحة هي بالصليب ، بقتل العداوة به ، كما يقول الرسول أي « بخلع الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وبلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق » ( أفسس ٤ : ٢٢ و ٢٣ ) . إنها لظرف ذهبي هذه الهزة التي جعلتنا نؤمن أكثر من أي يوم مضى أن الله مع القطيع الصغير الذي يشهد لله بلا حذلقة ولا حساب .

بموقف ثيودوسيوس الذي ألحّ على أداء الشهادة وصحبه وشعبهم وجد الله لكلمته فرصة الرصانة . هوذا وقت لتحويل المهادنة إلى مصالحة فتجليات . عمل الرب اليوم هو البتر النبوي لسقطاتنا جميعاً ، لتقويم كل اعوجاج من رأس الجسد إلى القدم في إخلاص فريد . إنها طرفة عين ليستعيد الإيمان العظيم مرتكزاته فينا فنعود إلى صفاء الرؤية ومدى الرجاء .

ولن تعني المصالحة شيئاً ما لم تعن ، قبل كل شيء ، أن نعفّ عن الانتقام من حركة الشبيبة الارثوذكسية . يمكن أن يكون لنا في قادتها وأعضائها كل رأي معقول وغير معقول وجلّ من عصم . ولكن الأحداث أثبتت أن كل من حَالَ ، بالنميمة والافتراء ، أن يصبغ الحركة بما ليست هي عليه أو كل من سعى لعرقلة مشاريعها سيّء النيّة كان أو حسنها ـ كان ، بالواقع ، حليف الباطل . هذه العودة الصميمية إلى الإنجيل ، هذا الوعي الروحي الأصيل والرعاية لحقوق الله ، هذا الاستنفار في سبيل التجذُّر الإيماني ، هذا التجنُّد في الكهنوت والرهبانيَّة ، يقظة ربع قرن في الاعتكاف الروحي ومواصلة الدعاء ، فِكرٌ انسكب ، بلغة العرب ، مواجهة أصيلة لمشاكل العصر مجلة وكتباً ونشرات لا تُحصى ، هذه التطلعات البعيدة المعمّدة بالدموع ، هذه هي حركة الشبيبة الارثوذكسية . هذه كانت ، بنظر المؤرخين المعاصرين للكنيسة الارثوذكسية البهاء الوحيد لإنطاكية ، بعثاً كان له صداه البعيد في دنيا النصرانية جمعاء . ومنا من يصوِّرها « حزباً » ، فئة لأنها أداة كبرى للمد الإلهي في سوريا ولبنان .

**الأحد ١٩ حزيران ١٩٦٦**



# على هامش الأزمة الارثوذكسية

لن ينتهي الاتعاظ من أزمة أمست على شفير الهاوية . إنها لَصورة عن كل أزمة ، في كل طائفة ، في هذا الوطن وغيره . وإن نحن عالجناها اليوم فلكونها مديدة الأبعاد ، تخص - من قريب - شعبنا كله في مواجهته المصير .

لقد تحدثت بعض الصحافة عن تسويات حذَّرنا منها . والتسوية تحبل بها عبقرية « السلام » الذي لا ذكر فيه لله . وقد قال النبي قديماً : « يقولون سلام سلام وليس سلام » . والتسوية ، في هذا المجال ، يعني أصحابها الأذكياء أن في كل خصام فرقاء وأن استرضاء الفرقاء جميعاً يضع حداً للأزمة فيرُسل هذا إلى هنا وذاك إلى هناك فيوحِّدهم انتماء واحد إلى مجمع سادة أجلّة . « بدنا نخلص بقا » ، هذه دائماً كانت نغمة المتخاذلين ولغة الحاذقين الذين يطلقون السحر بتسلية ولا يأبهون أن ينقلب على الدين كله . غير أن ثمة كتلة مؤمنين - وقد عزّ المؤمنون - لا يهمها فقط أن تنتهي الأزمة بل كيف تنتهي . أي أنها لا تكترث لفرقاء يتفاهمون بل للمعنى الوحيد في هذا الشأن أردت به المسيح . ألا يزال هناك « حمقى » ينادون بعزل الخبيث ( ١

كورنثوس ٥ :١٣ ) ، بالتأديب الذي يقوم ، بآن ، على محبة الكنيسة ومحبة المخالف ليردعه بالاستنكار ويهذّبه ؟ التطهير شرط الحياة في جماعة « اغتسلت وتقدّست وتبرّرت » لتبقى حرّة من الشر الذي يحاول التسرب إليها من داخلها . طرده فقط يتيح له الشهادة بأنها « قاعدة الحق » والملجأ إليه من الباطل .

وإذا أقبلت الدول على التطهير ، إذا كان نادي القمار ـ القائم أساساً على اللا أخلاقية ـ يفصل أعضاءه إذا غشّوا في اللعب ، إن كانت هذه هي الحال في أسوأ المؤسسات ، أفنستغرب قول القائلين ان الأزمة لن تنتهي بتوزيع المناصب على الأطراف ولا بحساب أكثرية تريد البقاء أو أقلية تبغي أن تصير أكثرية ، فالوحدة ليست باجتماع هذه وتلك وسكوتهما كليهما بحيث لا ينقض مضجع أحد ويتمتع كل واحد بنصيب من المغنم المشترك .

هناك مخالفون وإزاء المخالفة تأديب بواسطة « المحتقرين » الذين يجلسون « في الكنيسة قضاة » ( ١ كورنثوس ٦ : ٤) فيُسلمون المذنب إلى قضاء الله وقضاء مسيحه لتتم تنقية الكنيسة كلها بتوبيخه وتمحو الجماعة لطخة وصمتها .

الفرز ، في الكنيسة ، شرط بقائها لأنها جسم حيّ . والجسم الحيّ يفرز أوساخه ليعيش . هذا أساس النمو في الكائن العضوي . وما لم يكن ذلك فإقرار بأن الكنيسة ملك لمن يسوسها ومسرح شهواته . وأمّا القصاص فإيمان بأن الكنيسة تتجاوزنا جميعاً وبأن ولاءنا وأن حياتنا في تقديمها لنا . ولذلك افترض قانونها في الأتقياء أن يقدّموا أنفسهم للمحاكمة فيها حتى ينصاعوا لرأي الأخوة ويروا فيه حكم الله

في الظرف الذي يعيشون . وعندما كنا نتساءل، أثناء المحاكمات الستالينية ، كيف يعترف الشيوعيون بذنوبهم بعد تبكيت الحزب لهم كان التفسير الصريح ليس أنهم أخذوا جرعة دواء تستنطقهم الحقيقة - كما كنا نحسب - بل صرخة لهم من الضمير الحزبي و انطلاقاً من إيمان بأن للحزب مفاتيح السماء والأرض . التهرّب من التأديب في الكنيسة من قبل فريق والتغاضي عنه - من أجل «السلام» - من قبل فريق آخر - إذا صحّ هذا الافتراض - يعني أن الشيوعيين يفوقوننا في إيمانهم بقضيتهم وأننا نستطيع أن نتعلم منهم الكثير سوى إيماننا بقضيتنا .

الأزمة ، بالنهاية ، أزمة إخلاص . هل يقدر الارثوذكسيون أن يبرهنوا عن إخلاصهم بالنضال عوضاً عن أن يكتفوا بالشكوى الكلامية من « البهدلة » ؟ ذلك أن البهدلة الكبرى ليست بحصول العثرات فلا بدّ من الشكوك ، هذا قول الكتاب . ولكن « الشرشحة » هي في عدم المقاومة لمن سبّب الشرشحة وعدم محوها بالاقتصاص . المهزلة الكبرى هي في تآمر الصمت عن المرتكبين وبالتالي مشاركة للارتكاب . والمهازل الكبرى - في المسرح العظيم - مطلة دائماً على المآسي .

**الأحد ٢٦ حزيران ١٩٦٦**



# العثرات في الكنيسة

« لا بدّ من العثرات ولكن ويل لمن تأتي العثـرات عن يده » . تقـريران للمسيح يستوقفنـي الآن أوّلهما لأدفـع للقـارىء بعضـاً من تأملات إذا عانى في الكنيسة أزمة . ويلمس المرء ـ في الضيق ـ عزائم تنهار كأن الكارثة تنقض إذا زاغ عن الحق مسؤول . وعلى الحقيقة التي في هذا الموقف ، الخلط فيه أننا نوحّد بين الكنيسة ورؤسائها توحيداً مطلقاً كأننا قائلون إن الكنيسة مؤسسة تعلو وتهبط تبعاً لمستوى أُولي الأمر فيها . والحق أن المؤسسـة وجـه فقـط لحياة الكنيسـة وأن البشر أنفسهم جزء منها . فإذا قلنا إننا نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية فلسنا بقائلين إننا نؤمن بهـذا الأسـقف أو ذاك ولا بمجموعـة الأساقفة بشراً . ولنا أن نتبينّ فساد هذا وذاك تبيّناً واضحاً وأن ندرك المزالق التي انزلقوها والأنواء العاصفة بهم . الإيمان يقضي أن نتجاوز أخطاء كل إنسان إلى صورة الله التي فيه ولا تمحوها زلّة ولو توغّل في الشر توغّلاً كبيراً . الرجاء يتخطى اللحظة والمنظـور معـاً ليقيمهـا في الأبديات ولو احتجبت عن الكثيرين وفي غير المنظورات التـي إليهـا نتوق وهي عندنا يقين .

الكنيسة ، في مبدئها ومنتهاهـا ، المسيح . إنها بيت ، حجـر زاويته في السماء ، ينمو من عرش الله إلى أرضنا . الخطيئـة لا تزيل حقيقتها . الإنسان لا يلغي المسيح جوهرها . الكنيسة ، بالرغم من الهالكين من أعضائها ، متأصلة في قلب الله وملئه . إنها الحقل الإلهي الذي غُرست فيه الحنطة مع الزؤان . ولـكن الـزؤان لا يخنـق الحبـة الصالحة . هذه يفتقدها الرب بوعوده وتعزية سلامه في كل حين ولو تزعزع الـكون . والمسيح لا يعتمـد الأساقفـة وحدهـم ركائـزه له في الأرض . كل نفس خيّرة مسرح له . ليس الرب في العدد أو بالعدد . إنه ، في الكنيسة ، لمختاريه . بهم يستمر في الكون ويتجلّى .

هذه النظرة تستتبع تجنداً كبيراً من قبل الكثيرين لا تلك الاتكالية الفتّاكة التي تجعلنا نتخذ الأحبار والقساوسة وحدهم أعمدة كأن لهم وحدهم القول الفصل . إنهم أصحاب وظائف في جسم هو نحن . والجسم ، كلاً ، مرجع وظائفـه جميعـاً يحضهـا على الحيوية ويثيرهـا للعمل . والسؤال ، عند شيوع الزيغان ، ليس تحديد خطـأ هذا أو ذاك إنما السؤال هو ماذا فعل الجسم وهل كان حقاً ، حيث نحـن ، جسد المسيح ، هل كنا نحن حريصين على المسيح كلمة وفعلاً وحقانية في الناس أم كنا نرصد بعضنا بعضاً ليميت بعضنا بعضاً ؟ الأزمات ـ في كل مجال بشري ـ تخمد إذا استطاع أحد المتخاصمين أن ينقل الآخر إلى ملاقاة الرب . هذه الرؤية لما يفـوق الخصـام هي بالضبـط تجـاوزه . بالعمـل المشتـرك وتطلـع كل واحـد إلى فوق نسمـو على التحسـب والحذر .

عندما يتفاقم الضعف يجد الإنسان نفسه أمام فرصة التطهر . إن

الملاحظة الدائمة للمسؤولين خطرهـا الأسـاسي أن نكفّ عن معاينـة نفوسنا بما أصابها من ويلات . هذا التحديق يوفِّر علينا تعب المسؤولية الشخصية ويجرّنا إلى القسوة . والقسوة ناتجـة من أننـا ربطنـا حياتنـا بالناس ، إنها بِنتُ الخيبة والخيبة بنـت العشـق والعشـق يؤكد الله لا الإنسان . من يثق به لا بالمخلوق يعرف محدودية كل مخلوق ، بطلان الراعي والرعية معاً . يعرف أن لا حقيقة لإنسان إلاّ بقدر استيعابه لله وإسلامه الكامل له . والراعي يستطيع أن يحوّل ، في ذهنه ، الكنيسة إلى دنيا فاسدة ككل الدنى ولكن في ذهنه فقط لأنـه لا يقـدر ، مهما ارتكب ، أن يبطل فيها ركائز المسيح . ولذلك كان بالنسبة للمؤمـن الراسخ في مسيحه ظلاً عابراً مصـيره الدينونـة . الأسـقف ، آدمياً ، فريسة الشهوة . يمكن أن يكون ، في كنيسـة الله ، صورة لربّـه من حيث الوظيفة أو كأنه في سلوكه على صورة شيطان . وإذا كان حب الأنا وراء كل مشتهى فللمرء أن يحقق رغائبه المجنونة في هذا المجتمع الذي هو الكنيسة أو في أي مجتمع آخر . الكنيسة ظرف لإبليس ككل مؤسسة ولكن إبليس لا يستطيع أن يفترس المختـارين . هكذا يدوم المسيح في كنيسته بالرغم من رقصة الشياطين فيها . يدوم بذلك القطيع الصغير ، أحبائه .

**الأحد ٣١ تموز ١٩٦٦**



# فتنة مطارنة

ليس هناك ، في آخر تحليل ، أزمة ارثوذكسية بل أزمة مطارنة . ناس انزعج خاطرهم بسبب ترشيح اللاذقية فافتعلوا أزمة ليدخلوا إلى المجمع المقدس شاباً ينفذ سياسة كشفوها في تعاملهم مع جريدتي « النداء » و « إلى الأمام » التي تقوم فقط ـ كما تصرح بياناتهم ورسائلهم المنشورة في هاتين الصحيفتين الشيوعيتين ـ على معاداة حركة الشبيبة الارثوذكسية ومحاولة القضاء عليها . وقد سمّينا فتنتهم أزمة لأن صاحب المنزلة الرفيعة تكون شهوته بالغة المدى ، تطن وتضج ، يكتب عنها في هذا السجل الكبير للسيئات الذي يسمّى التاريخ . شهوة رئيس القوم توهمه بأنه ذو قضية وأن الشعب له فيها نياق وجمال . ولكن جلّ ما يعلق في أذهان الناس خطايا الكبار أنها ترفع الأقنعة عن وجوههم .

هذه القبضة من الرهبان كان موقف المؤمنين منها إمّا عدم الاطلاع واللامبالاة ـ وهذا هو الوجه الحقيقي للأزمة ـ أو أنهم تشككوا وصدمهم العثار وتزعزع إيمانهم بكنيستهم وربهم . اليوم أو غداً إذا تمت هذه المصالحة التي عنها يتكلمون بين الفريقين أتكون تبادل

قبلات بين رهبان ورهبان ويظل البغي في النفوس أم تكون توبة عند الراجعين وعند كل من سهَّل لهم الخروج بتماديه بتغنيجهم ؟

ثم ماذا ستكون شروط المصالحة ؟ الكتاب المقدس لا يعرف مصالحة تكون مؤامرة صمت . نحن أمام فتنة افتعلها أساقفة لم يتخذ حيالها السلطان الشرعي موقفاً رسمياً صريحاً حتى الساعة . الموضوع بلوري في بساطته : هناك سيامة مخالفة للقانون ، باطلة في الأساس . الرئاسة المسؤولة إن لم تعلن هذا على السطوح تكون غير رادعة للفتنة ، غير داحضة للباطل ، حيادية إزاء الشر . حتى اليوم القول بعدم الشرعية يورد على ألسنة الناس أو هذا أو ذاك من المطارنة منفردين . الذين عقولهم قولبها القانون الكنسي لا يزالون يتوقعون من المراجع الروحية العليا الكلمة الفصل . إعلان الحق هو بدء الحق . الرأفة تقر القانون أولاً ثم تتخطاه إن كان بهذا التخطي من فائدة لنفس الخاطيء أعظم من فائدة القانون . ولكن القول بالمحبة مغالطة إن لم يكن ثمة إقرار بالمعصية . الله نفسه لا يقدر أن يتجاوز عن إثم من لا يعترف بإثمه ، إذ لا موضع لله إطلاقاً في نفس متشبثة بسوئها . الخطيئة ينبذها صاحبها بقلبه وعلى لسانه . « كرامة » المطارنة المنسحبين تقوم فقط بتوبتهم . هذه هي الطريق الوحيدة للكرامة التي تكلم عنها الله في كتابه . « منعة الطائفة » بالصدق والطهارة لا بمجاملة بين رهبان مغزاها أن بعضاً يتمرّد ويبقى سيادة الأخ المحبوب في الرب والثاني يضمّه إلى صدره ويعتزّ بدهائه .

ثم المصالحة من يدفع ثمنها ؟ من يعزّي النفوس المجروحة ، القلوب المتأذية ؟ « ضربونا وتسالموا ؟ » يتساءل الشعب . ولكن هذا

العار الذي ألحقوه بنا من يغسله ؟ هل الله هو الظافر في هذه المعركة ؟ أين نصر الله إذا أصرّ العائدون ـ فيما إذا عادوا ـ على هذا التوافق العجيب الغريب بينهم وبين صحف جعلوها لسان حالهم وينادي أصحابها أن الدين أفيون للشعوب . هذا التلازم بين هاتين العصبتين الذي لم يبق بحاجة إلى برهان وقد أحدث في الكنيسة تخريباً هل هم مستعدون على فكه ؟ الكنيسة الروسية ، اختنا الكبرى ، عرفت بشجاعة عظيمة أن تحرم الكاهن اوسيبوف وأعوانه عندما نادوا بولائهم الشيوعي . كنيسة ألكسي[1] فضحت محاولة التسرّب الشيوعي إلى إكليروسها وطلاب اللاهوت عندها واتخذت منهم موقفاً صارماً . وسلفه البطريرك سرجيوس في كتابه عن « حقيقة الدين في الاتحاد السوفياتي » يطبع في موسكو أن المذهب الماركسي مختلف كلياً عن المسيحية . بعد أن انكشف الترابط العملي بين هؤلاء السادة الأجلاء ومخطط تشويع الطائفة الارثوذكسية بشكل ساطع ماذا تعني المسالمة إلاّ اعتراف هؤلاء السادة بأنهم ضلّوا عالمين كانوا أم غير عالمين بأن الشيوعية اتخذتهم وسائل لها ؟

وأخيراً من يدفع ثمن التهجمات المطبوعة على حركة الشبيبة الأرثوذكسية ؟ على المطارنة ـ من أي فريق كانوا ـ أن يجيبوا لماذا يكافحون أبناءهم ، لماذا لا يسوقونهم أمام المحاكم الروحية ولو كان الأب الخصم والحكم بآن . عندما يقولون إن الحركيين أعوان الاستعمار يتهمونهم بتهمة تقودهم إلى السجون عليهم أن يأتوا بأدلتهم عليها لئلاّ يكونوا من المفترين. عليهم الاّ يجعلوا أبناءهم يعتقدون أن

(١) البطريرك الروسي آنذاك ( الناشر ) .

مكافحة كتلة اكليروس للحركة كانت تطبيقاً لتوصيات خروشوف في مؤتمر للحزب الشيوعي السوفياتي عقده في عهده ودعا فيه إلى مكافحة حركات الشباب المسيحي. هناك من يقول أن صرخات الحركة من أجل النهضة الروحية وإشاعة التعليم وتنشئة اكليروس مثقف والاهتمام الجدّي بالمساكين ووقوفها ضد استباحة الأعراض في المحاكم الروحية هي وراء هذا الحقد عليها. المؤمنون لا يريدون أن يصدّقوا أن استمرار التدهور الروحي والخلقي والإداري في الطائفة الارثوذكسية هو القاسم المشترك بين فتنة المطارنة وجريدة النداء.

هذه أمور يجب أن تنجلي كلها قبل أن يؤمن الناس أن المصالحة - إذا تمَّت - هي ليست فقط « بوس باللحى ».

**الأحد ١٤ آب ١٩٦٦**

# حصيلة المجمع المقدّس الانطاكي الأرثوذكسي

انعقد المجمع المقدس أصلاً لمواجهة أزمة إنشقاق وانفرط عقده في بدء الأسبوع ولم يحُل منها شيئاً . العناية الإلهية وحدها ، بشكل أو بآخر ، خفّفت من حدتها . ولكن أشهراً مرّت ولم يصدر عن الرئاسة الروحية العليا ـ بصورة رسمية ـ كلمة لوم بحق الخارجين على المجمعية كأن مصير الوحدة الكنسية ترك أيضاً للعناية لكي تتدبره بمرض أو موت . وهذا يعني أن الإدارة الكنسية لا تزال عاجزة عن الرجوع إلى القانون ـ لا أقول بصرامته ـ بل على أدنى ما يكون عليه الرجوع هذا أي بقرار لوم . وهذا يعني أيضاً أن هذه الدورة المجمعية الطويلة أحدثت خيبة كبرى لأن الشعب كله كان ناهداً إلى لون من ألوان التأديب وإذا بالمطارنة يعودون إلى أبرشياتهم والعلاقة فيما بين أصحاب الشرعية وأصحاب التمرد قائمة شكلاً ، قائمة عشائرياً ، غير راسية على أسس المحبة والفهم والصفاء . انفضّت الدورة على الغموض تاركة في النفوس حسرة بسبب ضياع هذه الفرصة الذهبية بالقضاء على الباطل أو الحد منه .

إلى جانب الفراغ القانوني هذا مُلئت أبرشيات اللاذقية وأميركا الشمالية وزحله بعناصر فتية ، مقدامة ، رسولية الغيرة يرجى منها

الكثير ويُطلب إليها الكثير . وظهر ، عند السادة الأجلة وعند الشعب بنوع أخص ، تحسّس عام بضرورة انتقاء الأفضل . وكان الاختيار ، هذه المرة ، على خير ما يمكن أن يكون .

وقد انتُخب أيضاً أربعة أساقفة فخريين لا يرئسون رعايا أصلاً وقد أصبحوا مع الأسقفين المعاونين للبطريرك في دمشق ستة . وبغض النظر عن فضائلهم والبواعث التي دعت إلى انتخاب هذا أو ذاك منهم ـ وهذه أمور حكمتها عند السادة الأحبار ـ حسبنا هنا الملاحظة أن الكرسي الانطاكي قفز بذلك إلى إيجاد صنف إكليريكي كان محصوراً جداً لأن هذا الكرسي كان شديد التمسك في أن يكون المطران مطراناً حقيقياً أي مسؤولاً عن ناس لا مطراناً إسمياً . وكان مجرّد ظهور الأساقفة الفخريين تقليداً متأخراً يناقض الرعاية الحقيقية والنصوص القديمة القاضية بأن لا يُجعل الإنسان إكليريكياً بالمطلق والتجريد عن المكان بل أن يكون قساً أو أسقفاً على بشر موجودين . هذه هي متابعة لمنطق الألقاب والتشريف الذي تفشى عندنا ، بعد الحرب الكونية الثانية ، وجعل القسس العزبين جملة ، ارشمندريتية في حين أن هذا اللقب كان محصوراً في العلماء منهم . ومتابعة أيضاً لمنطق الكهنة المتزوجين الساعين أن يكونوا ذوي رتب وألقاب . بمصباح ديوجينوس نفتش اليوم عن قس يكتفي بشرف القسوسية ومسؤولياتها .

الحصيلة الكبرى التي كانت الدورة والأزمة ظرفاً لها هي أن الشعب الارثوذكسي أخذ يشعر بأن قضية المسيح كانت وراء الموقف الشرعي وبأن المسيح كامن في دقائق الأمور كما أخذ يحس بأن مصارعته ليست إزاء لحم ودم بل مع قوى الشر العاملة في الكنيسة نفسها .

وصار المسيحيون غير الارثوذكس يقفون إلى جانب الشرعية يقيناً منهم أن هذا الموقف تضميد لجراح المسيح . كما أصبح المؤمنون بالله قاطبة مدركين أن القضية الارثوذكسية الآن ليست جانبية إطلاقاً بالنسبة لأي منهم وبأن قوى الظلام اختارت ساحة الارثوذكسية لمكافحة النور ظناً منها أن شعباً أُهملت رعايته كثيراً لا بدّ له أن يستسلم وإذا به يبرهن ، في سوريا ولبنان ، أنه يرفض التبعية ويُريد كنيسةً طاهرةً الحكم فيها لله ولمسيحه .

ولعلّ الشعب السوري واللبناني ، في الوطن والمهاجر ، يميل الآن إلى الاعتقاد أن الارثوذكسيين صائرون ، شيئاً فشيئاً ، إلى الخروج من العثمانية الوجلة ، المتحذلقة ، الالفاظية - مروراً بالمخضرمية المتحيرة - نحو رصانة التقديس ومواكبة الفكر بمسؤولية العارف العامل .

اليقظة الإيمانية كانت ، بالنهاية ، نعمة الله عبر أزمة لم تنته . أثناء هذا الصيف الذي ينقضي سجَّل التاريخ المسيحي وعياً وصموداً في كل مكان وإلهامات وبطولة في اللاذقية . بعد إمحاء أسماء كثيرة من ذاكرة الناس ، سيذكر تاريخ الكنيسة بل تاريخ الشهادة اعتصام اللاذقيين ، أشهراً ممدودة ، لكي يصل إليهم من يريده الله . دور العلمانيين في الكنيسة ، هذا المبحث اللاهوتي ، لا يحتاج إلاّ إلى الكلام في إخلاص هذه المدينة الطيبة لقضيتها الكبرى .

هذه اليقظة جعلت الناس يتلمسون طريقهم إلى الاصلاح الأكبر المطل علينا من فوهات السماء .

**الأحد ٢ تشرين الأول ١٩٦٦**



# المسيحية والطائفية

اصطلح القوم على ميثاق سمّوه وطنياً يقوم على العدل ، قالوا ، والعدل عندهم ، أن اعترف بالآخر شريك مغنم نتوزّع فيما بيننا الأرزاق والأمجاد . وبكلمة أخرى وضعنا أنفسنا في ذهنية الآخذين . وهذه الذهنية ، في ذروتها ، تعني الإنصاف . وبين الإنصاف والمناصفة يكاد الفرق أن يكون عديماً . وإذا سألنا : من ولي الأمر في هذه الأمة كان جواب الميثاق تقسيم هذه الولاية . لعبة لا أدق منها ولا أصدق .

هذا التعاقد يضمن مصالح الأطراف المعنيّة بحيث يعطي كلاً منها « أماناً لنفسه وأمواله وكنائسه ـ أو مساجده ـ وسائر ملته » . أي أننا تجاوزنا الفتح فلم يبق من غالب ولا مغلوب وما ظلّ أحد ولياً على الآخر مبدئياً ـ كائنة ما كانت المطامع ـ وبتنا في شيء من معاهدة . وعند الطرف المسلم ، على قدر فهمي تراثه ، هذه تضحية . فالمسلم لم يبلغ منطقه إذا طلب المناصفة . إنه يتنازل إذا ارتضاها ، إذ يحق له ، في مذهبه أيّاً كان عدده ، أن يسعى إلى الولاية . فليس من اصطدام بين عقيدته وسياسته إذا طلب المزيد . ومن الغباوة بمكان أن

نتحدث في الشأن السياسي ونجهل الأصول الروحية التي ينبع منها .

أمّا إذا نظرنا إلى المسيحي وسألناه : هل هو خاضع لمنطق مسيحي إذا تمسّك بالطائفية ؟ هل في ميراثه الروحي ما يجعله مستميتاً على اقتسام المغانم واكتساب الأرزاق والأمجاد ؟ هل شيء في عقيدته يحول دون تملك وثني عليه ؟ أما قالت تعاليمه بطاعة قيصر ؟ ولكن الدنيا المسيحية ، التي ليست بالضرورة دنيا الإنجيل ، حكمت وتحكمت واستبدّت وأحرقت أصحاب البدع . التاريخ المسيحي ، بعد قسطنطين ، لم يكن تاريخ المستضعفين ومساكين الأرض ولكنه كان رمزاً للعنف حتى دارت الدورة وأحسّ صعاليك العالم بحاجتهم هم إلى تسلّم العنف . هذا التنازل عن القوة ، عند المسيحيين أمماً أو أفراداً نافذين ، لم يصدر عن سماحة ولطف . عند خيانة المسيحيين جنَّت قيم العدالة والحرية والكرامة لكونها اختنقت فهربت من منبت زُرعت فيه إلى مشاتل البربر ليرعوها . فرعوها ما استطاعوا دون إله . والآن يذكر المسيحيون أن هذه القيم كانت دفينة كتبهم فيرعونها من جديد لئلّا يزولوا هم عن سطح الوجود . ولكن هل يعلم مسيحيو لبنان ذلك ؟ هل لمعلّمهم نصيب في سياستهم أم أنهم رفعوا إنجيلهم إلى مكان كريم يتلونه في الآحاد ترنيماً كأن كلمته كانت لتطربهم ، كأنه ليس لها أن تفعل في لحومهم ، أن تجعلهم الأمة الذبيحة المعدّة ليس للانصاف وحسب بل للموت خلاصاً للعالم ؟ هل نصارى لبنان جادّون في قولهم أن سيّدهم مخلّص العالم وأنه بالتالي مخلِّص المسلمين في لبنان ؟ هل هم يسرّون إذا تقدّم هؤلاء في معارج الرقي ؟ بل أذهب أبعد من هذا : هل السادة البطاركة ومطارنتهم وقسسهم و طوائفهم

متجندون في سبيل إيصال الماء والكهرباء والصحة والعلم إلى القرى الإسلامية ؟ أيطالبون بذلك ؟ أتنقض مضاجعهم لأن البشر في هذا البلد ليسوا « كاملين في المسيح يسوع » ـ وبترجمة هي أضعف الإيمان ـ عنيت أنهم ليسوا على أفضل ما يتمنّى لهم السيّد يسوع من فضيلة ومعرفة وارتزاق مهما كان رأيهم بالمسيح ؟

وإذا كنا عالمين أن الكنيسة ترفع الذبيحة الإلهية لسلامة كل العالم فأقترح أن يُتوسّل من أجل المحرومين في جبل عامل وعكار ، أن نصلّي في البيعة علانية من أجل أن يتثقف المسلمون هنا وهناك أو من أجل أن تقيم الصروح البطريركية والأسقفية صرخة عظيمة إذا كشفت لها الإحصاءات أن آخر أمّي زال في لبنان . تعادل ؟ أي تعادل هذا ونحن مؤمنون بإنجيل يدعو إلى ارتضاء خلاصة الظلم : أن أفنى أنا وبيتي وكل كيان أشرف عليه في سبيل ذاك الذي « عرّوه وجرحوه وألقوه بين حيّ وميت » . ولكن الذين جعل الله في قلوب آبائهم « رحمة ورأفة ورهبانية » ما منطقهم اليوم ؟ منطقهم أنهم إذا تنازلوا عن شبر واحد من « حقوقهم » تخور الدنيا تحت أقدامهم . أين : « من طلب رداءك فأعطه ثوبك أيضاً » ؟ خرافة ، سخافة ؟ لا مانع ولكن غيرّوا ، إذ ذاك ، هذه اليافطة ( فمسيحيتكم ليست أكثر من ذلك ) . أم الانجيل صالح إذا لم يكلفنا عناء ، إذا لم يخسرنا شيئاً ؟ الإنجيل صالح لمتوحشي أفريقيا . ولكن بالضبط لأن الذي بشّروا أفريقيا لم يكونوا جادين . معظم افريقيا الآن المسيح من وسطها . أجل صعب على الإنسان أن يكون نعجة . النعجة مجرّد وجودها يغري الذئب . أعرف ذلك جيداً . ولكن كتابكم يريدكم نعاجاً . لكم

الخيار بينه وبين أن تكونوا أنفسكم ذئاباً .

ماذا يعني هذا بكلام سياسي ؟ أنا لا أفهم سياسة . أنا أعرف أن المسيح منقذ العالم أي أنه منقذ السياسة أيضاً. أنا موقن أن المسيحيين وحدهم مشكلة العالم وأن الجواب عن هذه المشكلة إنما هو بين دفَّتي عهد جديد نقرأه برصانة.

**الأحد ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٧**

# موت الإله

لا تزال كلمات جان لاكروا ترن في أذني : « أنا لا أعرف سوى دولة مسيحية واحدة هي الدولة العلمانية . . . ليس أكره من الدولة التي تفرض الإلحاد إلاّ تلك التي تفرض الله » . أشياء قالها في اجتماع خاص ولكنها منثورة ، هنا وثمة في نضاله الفكري والتزامه . وقد ذهب حتى القول انه ضد المدرسة الطائفية وهو إنسان متجذر في الإيمان تجذراً كلّياً وله في اللاهوت مصنفات . فإذا تكشفنا فكر فيلسوفنا الكبير لَبدا لنا أن في الدولة والمدرسة الدينيتين نوعاً من الإكراه قانونياً كان أم عقلياً .

فالدولة تفترض في المواطن إيماناً قد لا يكون . ترغمه عليه وهو شأن وجداني . والشهادة بما لا أثر له في النفس كذب ورياء . والدين يذهب بسبب هزالة هذه الشهادة وكأن محالفي هذا الوضع يوثرون التظاهر بالعقيدة على وجود العقيدة أي أنهم هم أنفسهم يريدون حالة وهمية لا حقيقة تكمن في القلوب تطهرها وتنجيها . خوفاً على الدين من أن يزول وتحصينه بالضبط يزيله، يكشف ضعفه إذ يمده بقوة السياسة ، يبينه مرتبطاً بالسيف لا فحوى له تجذب وليس هو بالتالي صدقاً وعفة . « من يكلّمني عن الله يريد ثروتي أو حياتي »

( بروتون ) . حقيقة كاملة هذا التأكيد إذا كان الدين يسعى إلى قوة تنفيذية أو إلى بسط سلطان . إن أحداً من الناس يفيد من هذا السلطان ويتمتع بهذا النفوذ . الله مسخر كله لشهوة الناس . من يدلنا ، عند ذاك ، ان ثمة فرقاً في الأخلاق بين هذا الإله ومن يستفيد منه ؟ عزة الجماعة المؤمنة نفسها ، ان أتى الدين قسراً ، هي عزة قوم غير خالدين . الديانة المفروضة مجرّد وجودها ملوّث بالمضاعفات والمصالح بحيث لا يمكن أن يتجلّى بهاؤها فتتعطل فاعليتها آجلاً أم عاجلاً والبشر يقتلون إلهها كما يقتلون والداً متسلطاً أو طاغياً . وإذا كانت الثورة على حاكم مستبد قائمة في نفوس البشر فالثورة على الإله الطاغية مهيأة حتى تتيح لها الحرية فرصة الاندلاع . والإله الذي تحطمه ثورة كهذه إنما هو صنم كان تكسيره إعلان فجر جديد .

الأصنام خارج الجماعات الدينية حصراً . ان ربّاً نصنعه متحكماً بطّاشاً فارضاً نفسه علينا بشدة القانون إنما هو الصنم الأكبر إذ لا حقيقة في إله لا يلتمس محبة الإنسان التماساً ولا يعرض نفسه في الدعة والرقة . صفات كهاتين تقنعنا بوجود إله . الخصام بين إله حق وإله كذب هو ، آخر الأمر ، خصام حول صفات الإله . الحضارة كلها ، في آخر المطاف ، تكررها الصورة التي ننحتها في أذهاننا عن أخلاق الله . الخلاف هنا لا يكمن كله بين أديان ولكنه قائم بين اتباع الدين الواحد ، بين نفس ونفس إذ أن الناس يتصرفون وكأنهم مختلفون في صفات الالوهة .

وما الدولة العلمانية سوى التعبير عن الإمكان الوحيد لورودي إلى هذا الرب . أختاره أولاً ، اختاره ، ولكن لي حظ أن أرتضيه لأن

أحداً لا يُكرِهني على ذلك ، لأنه ليس صورة استاذ يضربني بالعصا وينتقم غاضباً . بعد نضوجٍ روحي كبير قد أعرف الله مؤدِّباً . ولكن التأديب ، عند ذاك ، صورة المحبة . أما الإله الشبيه بالناظر الذي يحمل مسطرة بيديه ويعبر ممرات المدرسة هازئاً مرعباً فلا أريده ولا أريد دولة تتكلم باسمه . إن سوس المعاصي يتأكلها كما يتأكل مؤسسة لا تدَّعي شيئاً مثل هذا .

كذلك الإله الذي تفرضه المدارس على كل الأعمار بعلامات وقصاص ، الذي يظهر للإدارة صلاحي إذا مارست شعائره وأنجح بواسطته في عينيها هو أيضاً إله مؤذ . من كنت أستغل وجوده بالإمتحان أو يستثمر لمصلحته المعلم قصر فكري وضعف خيالي ويخيفني منه بسبب النار وتعذيبات الشياطين أي إله مسخ كهذا ؟ جان لاكروا كان رهيباً على مستوى عميق ، عندما قال إن أساتذته الرهبان ، كانوا دائماً يسمّون براهين عقلية تلك التي كانت تستند إلى الإيمان المحض ، عندما كانوا يستعملون المعرفة ويقررون بها موقفاً دينياً وهي لا تقرره بحد نفسها . إستغلال العلم من أجل الدين لماذا يكون مباحاً أكثر من استغلاله من أجل الإلحاد؟ لماذا ننتفض هنا ولا نقشعر هناك؟ لماذا ندَّعي أن الملحدين وحدهم يتجاوزون حد المعرفة العقلية إذا استنتجوا منها ضد الله ما لا يسوغ استنتاجه؟

إذا كان الله رهين الدولة أو رهين المدرسة أو رهين السلطة الأبوية فلا بد له أن يموت . الإله الحر الذي لا يحالف قوى البوليس هذه أستطيع أن أحاوره .

**الأحد ١٩ شباط ١٩٦٧**



# إله الأوادم !

يعلم الله أن الناس يشوِّهونه ويجعلونه على صورتهم . صنعوه إلهاً للخمر وإلهاً للحرب وإلهاً للحب الشهواني . ولكي يحولَ دون تحريف حقيقته تكلم . الإنسان يحب شهوته ويميل دائماً إلى تأليهها . في القرن الماضي صنع لاهوتاً قدّس به الملكية الفردية . واليوم ينشىء لاهوتاً يفلسف به اختراعاته أو الجنس . بعض الأوساط اللاهوتية في أوروبا جانحة إلى تقديس الجنس . الجنس له شعراؤه ، صُوفيّوه.

هناك دائماً اصطدام بين ما يقوله الله عن الإنسان وما يقوله هذا عن نفسه. كلمة الإنسان ضالة بضلالة الإنسان. مخربشة كالإنسان. تسحره سحر الرغبة فيه. ولكن الحق دائماً مع السماء على أهل الأرض، لأن حقَّانية الكلمة لا تأتيها من حذاقة الإنسان، من ضياء عقله ولكن الحقيقة هي ما انسكب على الناس من فم الذي «وسع كرسيه السموات والأرض» ، ولا يسعه شيء .

ولكن الكلمة عليها خطر من الإنسان ، يهدّدها لأنها تهدّد

استكانته ، تتحدّاه ، تضعه على شفير اليأس لكونها تستدنيه من حب الفساد ، وهو يؤثر تمرغه على الخلاص ، يحوِّلها إلى شريعة ، إلى آدمية ، إلى تهذيب . التهذيب تكرار . الأوادم عاديون . الكلمة تصرخ . الآذان المرهفة لا تحب الضجيج . الأوادم لا يمسّون قذارة . الكلمة تذكر ألفاظاً ، تخدش الآذان الطاهرة . الكلمة غير مكبوتة . كانت تهز الكيان البشري . اليوم ليس عندنا كيانات حق . عندنا بنايات كرتونية . شيء أقل من الكلمة ينفخ فيها فتتداعى . ليس فيها شيء ليكون سقوطها عظيماً .

دائماً هناك من يتعثر إذا تُلي إنجيل عامل الساعة الحادية عشرة الذي يُنقده المعلِّم المبلغ الذي يعطيه لعامل الساعة الأولى . ليست المشكلة الأساسية عند الأوادم مشكلة الظلم في هذه المعاملة . طبعاً هذا تصرّف ثوري من صاحب العمل من شأنه أن يهدّد بالإضراب وبروح « شيوعية » عند العمال . المشكلة الأولى أن الأوادم يعتبرون أنفسهم أوادم ولكونهم أوادم فهم دائماً من عمال الساعة الأولى . لماذا لا تكون في السماء مراكز محفوظة كما هي الحال في البلديات والمطرانيات وما إليها . مشكلة الأكابر بالطبع مع الله أن « البويك » في الآخرة كثيراً ما يصبح عربة خيل وأننا في السماء سنضحك ملء أفواهنا لأنهم هنا لم يسمحوا لنا أن نضحك . أبسط مثل على ذلك أن تسريحات السيدات والجلابيب سوداء كانت أم حمراء لا تبهر ربنا . ولعلَّ الرب سيحكم على ناس أن « يقرنصوا » من البرد بضع ساعات قبل أن يباشر باستنطاقهم .

مثلاً هذا الأخ الآدمي الذي هو أخ الإبن الشاطر ، ولم يخرج

مرة عن طاعة أبيه ، الذي بقي كل حياته آدمياً ـ ربما بسبب بلادة مزاج أو خشية على صيته أو ادعاء لتقوى ـ هذا سيجوِّعه الله قليلاً قبل أن يقبله في الملكوت لأنه استكثر على أخيه العجل المسمّن . افتكر بأن الزعران لا يمكن أن يصبحوا طيّبين وبأن همّ الله أن يضيِّع وقته ويقوم باستعدادات لاستقبال أكابر التقوى . الأخ الآدمي لم يكن عارفاً بأن الله لا يستقبل الورعين المخلصين لأن البيت بيتهم ، لأنهم يدخلونه بلا استئذان ، لأنهم يحوِّلون أنفسهم ككل الارستقراطيين الحقيقيين الى خدام. يعتبرون أنفسهم ضيوفاً على الداخلين إليهم ، ولكن الأوادم ليسوا ارستوقراطيي الورع . إنهم بورجوازيوه. الأصيل في النعمة لا ينتفخ إذا تسربل البهاء ولا يعجز إذا داهمه الضيق. الأمير في كل أطوار حياته لا يصبح وضيعاً ولا حسوداً. لا يخسر شيئاً إذا افتقر.

**الأحد ٥ آذار ١٩٦٧**



# الأخلاق والدين والدولة

في ٢٦ نيسان الماضي أمر وزيرا التربية والداخلية اليونانيان شبيبة بلادهما بالحشمة . حظّرا ارتداء الميني جوب وألزما الطلاب بالمناولة وحضور القداس في الآحاد . والكنيسة في اليونان حليفة الدولة دستورياً ولا يبدو أنها اعترضت على إلزام الشباب بالصلاة . الكنيسة اعترفت بأنها لا تكتفي بالدعوة إلى الله وبأنها تتمنى على الحكومة أن تجعل الإنجيل شرعاً يُطلب تنفيذه بالقوة . والحق أن لا شيء يبعد التلامذة من الكنيسة مثل قيام الدولة حامية للإيمان . أن تحرم الثياب القصيرة والتحريض على العبادة بمرسوم يجعل أنصار الميني ضد الصلاة ويجعل أعداء الصلاة الجبرية مناصرين للخلاعة . لو قيض للشيطان أن يلجأ إلى سلاح يكافح به الله لما اتخذ سلاحاً آخر .

في دولة أخرى ، الدين فيها مرتبط بالسياسة ، إسبانيا ، أُقرّت الحرية الدينية بصعوبة كبرى . اللجنة المختصة في المجلس لدراسة الموضوع قبلت ، الأسبوع الماضي ، مادة من مشروع الحكومة ينص على الحرية « شرط أن تتفق مع منصب الدولة » .. وكان هاجس أعضاء

اللجنة ألاّ تصطدم الحرية الدينية بوحدة إسبانيا . على طرفي المتوسط الشمالي ، الذهنيتان الارثوذكسية والكاثوليكية واحدة .

الكثرة الساحقة من الشعوب ، هنا وثمة ، لا تفهم الدين إلا محمياً. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : هل أن حماة الدين يحتسبونه ذا تأثير ضعيف على القلوب حتى يدعموه بالسيف : والامّتان اللتان ذكرت تدينان مبدئياً بدين لا يعتمد ، لانتشاره ، على السلطان الزمني . الكنائس المسيحية ، عندما يتاح لها الظرف ، تتصرف عملياً ، تاريخياً ، كما لو كانت الدولة أساسية لقيام الدين . لا فرق ، وجودياً ، في الكثرة الساحقة من الأحوال ، بين دين مرتبط بشرع ودنيا ، ودين آخر غير مرتبط بهما أصلاً . واقعهما ، باللجوء إلى الدولة ، واحد . الفرق أن الكنيسة المسيحية تدّعي التنزّه عن الدنيويات وغيرها لا يدّعي .

الدين رسالة روحية مع انفتاح على العالم وتوجيه له والتزامه ولكنه ليس شكلاً للعالم . والدولة يمكنها أن تسمع تلك الرسالة لأن الدولة من بشر ولكنها ، في استقلالها الشرعي ، لا تنفذ أوامر سلطة دينية . وهل للأديان من سلطان قسري أم أنها تتمتع بهيبة وتمارس سلطة المحبة فقط ؟

ومن جهة أخرى إذا كان الإيمان يخسر لمجرّد استعماله القوة فالدولة خاسرة أيضاً إذا اتخذت موقفاً مذهبياً ما . تفقد ولاء من يذهب مذهبها . تكون متجاوزة مجالها الطبيعي ، متدخلة بما لا تفهمه ولا يعنيها ولا يؤثر بمجرى حياتها . لا يسوغ للدولة أن تكون دينية ولا

أن تكون ملحدة . كل موقف فلسفي تُرتهن به يزعزع الثقة بها ويدخلها في مغامرات باطلة . الإيمان والإلحاد قائمان إلى الأبد . ويعجز كل سلطان عن مقاومتهما . والإنسان الحديث بغنى عن محاكم التفتيش لإقرار إيمان أو تثبيت جحود . فمن السخافة والعبث معاً أن نجدد قروناً وسطى معكوسة . إن الدولة التي تتبنى الإلحاد يظهر إنها غير واثقة من قوته الذاتية ما دامت تعطيه قوة تنفيذية . إنها تشك به بقدر ما تشك الطوائف بإيمانها عندما تلجأ إلى الدولة لحماية فكرة الله من الزوال.

ومن مشاكل الجماعات الدينية أنها تغضب إذا كان الإلحاد صادراً عن جهة سياسية مسؤولة ولا تغضب بالقدر نفسه إن صدر عن إنسان عادي مع أن الجحود واحد في الحالتين . وهلاك النفس واحد إن كان الملحد أميراً أو صعلوكاً. ومن غرائب الأمور أيضاً أننا نضطرب للالحاد النظري أكثر من اضطرابنا للالحاد العملي القائم في المجتمعات الدينية نفسها. ونرتعد كثيراً إذا استخدم الإلحاد تدابير تعسفية ضد الأديان ولا نتأثر إذا كان اضطهاداً للأقليات العنصرية وتجريحاً للضعفاء كأن الله تسمّه الأنظمة الجاحدة فقط، كأنه ليس حالاً في العيون التي لا يمسح دموعها أحد.

الأخلاق والدين والدولة موضوع خليق بأن نثيره من جديد في صدق كامل ، في إخلاص لما يفوق كل وضع وكل تاريخ بل كل مؤسسة دينية يصنع فيها البشر إلههم على صورة بشاعتهم .

**الأحد ١٤ ايار ١٩٦٧**



# الشباب الارثوذكسي في أسوج

الأسبوع الماضي ، على مستوى عالمي ، كان قادة الشباب الارثوذكسي ، مجتمعين في أسوج . والبلد تيسر لهم الاجتماع فيه لأن بعضاً منهم وفد من أوبسالا حيث مندوبو الكنائس كانوا جالسين . ثمانون فتى ـ والفتوة نسبية ـ أوفدتهم حركاتهم وانضم إليهم مراقبون من كنائس أخرى أو من لهم بهم تماس على صعيد التعاون الواسع . هذه كانت الجمعية العالمية السابعة لـ « سندسموس » ، رابطة ذلك الشباب المشرقي . وبالطبع غدا الشرق في العالم مديداً . أميركا والمهاجر شرق أيضاً عندما تحيا الشعوب النازحة إليها إيمانها فيها .

مؤتمر نذكره للآفاق التي تطلع إليها . فقد امتاز بتعاون بين هيئات الشباب أمتن . وحددت المشاركة فيما بينها تياراً روحياً ينعش الجماعات الفتية حيثما كانت لتنمو في الرسالة والتنشئة الروحية ، لتكون مطلّة على مستقبل الكنيسة الشرقية في العائلة البيزنطية والعائلة الأخرى بفروعها السريانية والقبطية والأرمنية . عالم واحد هذا العالم الشرقي إيماناً وخدمة للدنيا . **الحساسية الجديدة تستدعي الخروج من الهيكل مع ملازمة الصلاة** . فالحياة مشدودة بين ما نرى وما لا نرى ،

بين الزمان الحاضر والملكوت الآتي علينا من كل صوب . الشباب أراد أن ينهج النهج الإلهي لا انعزالاً عن العالم بل بسبب من دنيا تجوع وتتحيَّر .

**أجل لم يكن هذا الشباب محموماً بسبب ما يحيط بنا من ويلات . لم يتحوَّل المؤتمر إلى مبحث « تطبيقي » كما كانت الحال في أوبسالا . ولعلّ مرد ذلك جزئياً إلى أن الارثوذكسيين لا يفصلون بحثاً ما عن أصوله اللاهوتية .**

أجل البلدان الإشتراكية لم تكن غائبة . فقد كان معنا راهب بلغاري وطالب لاهوت يوغسلافي . وعرج علينا وفد من الكنيسة الروسية . ولكننا اتخذنا التدابير القانونية لكي تصبح الرابطة هيئة تتعدى حركات الشباب إلى تمثيل الشباب المؤمن في البلدان الشيوعية لنمكِّن الارثوذكسية الشابة جمعاء من الحضور .

الجو الروحي صنعته ، بالدرجة الأولى ، تأملات إنجيلية ولا أروع قادها شيخ من مشايخ الحياة الروحية الارشمندريت ليف جيلله . ولكن فرادة العيش الروحي كانت في هذه المشاركة الطيِّبة بيننا وبين المؤسسة الضيفة والرعية البروتستنتية التي احتضنتنا . قرى مغناجة مسترخية على ضفاف بحيرة سليان تنادت لإيوائنا وإطعامنا طيلة أسبوع . قالت ، بلسان أسقفها ، إنها اعتبرت هذا الاجتماع حدثاً في تاريخ الأبرشية اللوثيرية . هذه الضيافة الأسوجية ، بما فيها من بساطة وانتباه شديد ، كانت لنا غذاء ، إطاراً لفكرنا ومعاناة أوضاع الشباب والكنائس . محاضرات ثلاث ساعدتنا على صياغة التقارير التي وُضعت لإضاءة سبيلنا . المحاضرة ـ القمة كانت

للمطران أنطوني بلوم ، معتمد بطريرك موسكو في أوروبا الغربية .

خطّان يمكن تأكدهما : **أولاً** : وعي الشباب اندراجه في خدمة الكنيسة إقليمياً وعالمياً . ولذلك أدركنا قضية إيقاظ المؤمنين على المعضلات التي تواجهنا ولا سيما في سيرنا نحو المجمع الارثوذكسي العام المدعو أن ينهض بالكنيسة كلها . **وثانياً** : الأهمية القصوى لاستعداد واحد في خدمة الوحدة الكنسية . ولعلّ هناك اتجاهاً يؤكد الضرورة لظهور العلمانيين جسماً واحداً في المسيحية جمعاء . سوف يأتي يوم - ولعلّه ليس ببعيد - تلتئم فيه هيئات الشباب في الكنائس الكاثوليكية والبروتستنتية والارثوذكسية معاً . **اجتماع أسوج أثبت أن الوعي الارثوذكسي مصدر من مصادر هذا التحاب** .

أنستطيع تحقيق ذلك ؟ لبنان وكنائس لبنان سيكون لها دور كبير في هذه الحركة . فقد أمست بيروت ، منذ أربع سنوات ، مقرّاً للرابطة . ستبقى كذلك في السنوات الثلاث الآتية بعدما أُعيد انتخاب الرئيس وأمين السر وكلاهما من عندنا .

**الأحد ٤ آب ١٩٦٨**



# كتاب إلى المطران صليبي

يا صاحب السيادة ،

رسالتك الميلادية حدث لأنها قول جديد ولأن من شأنها أن ترمينا في مغامرة كبرى إذا عنيتها واستوعبناها . كلام جديد أحسست أننا به خرجنا ، للمرة الأولى في تاريخ لبنان المعاصر ، من رتابة الإنشاء الاكليريكي إلى لغة الناس .

ثم إنك لا تخشى لفظة الثورة وتتوجّه إلى الشباب وتقيم له وزناً . هذا كله جديد يصحّ أن يصبح منطلق تأمل ومجال عمل . ولكن . . .

**الناس ملّوا أطيب القول . إنهم ينتظرون من الكنيسة أن تكون فعلاً** . هذا شرط عودتهم إليها . تصف سيادتك المسيح « فقيراً ، بسيطاً بين البسطاء » . ويبدو أننا كلنا قابلون أن يكون الفقر والبساطة شأن المسيح . **ولكن لسنا جميعاً متفقين إذا كان يجب أن تنعكس هاتان الفضيلتان في حياة المسيحية ونهجها** . لنا أن نتغزل بفقر السيِّد في دار مطرانية بُنيت في جوار الأشراف ولها نمطهم في العيش . أنا

لا أدعوك لتغادرها وتساكن أهل الكرنتينا مثلاً . وقد لا تفرض روحانية الفقر الإنجيلي بالضرورة ملازمة الأصاغر دون سواهم . فإن أشقياء البرجوازية الكبرى هم أيضاً مساكين يحتاجون إلى رعاية . **ولكن ما نستغربه هو أن كنيسة الفقير الناصري أمسى الأثرياء أبناءها المدللين .** فقد تلاحمت الرئاسات الروحية وإياهم تلاحماً يعسر انحلاله دون شيء من هذه الثورة التي تدعو سيادتك إليها . قلت ـ وما أروع القول ـ « **فما الانجيل إلاّ دعوة إلى الثورة بعد أن ملأها المسيح بالمحبة والحرية الباطنية . وما كانت الكنيسة إلاّ لتحفظ هذه الثورة المقدسة لكل الأجيال** » . هل يعني هذا ، فيما يعنيه ، أنك غداً لن تدعو الذوات الأماجد وحدهم إلى مائدتك ،ولكنك تنادي القابعين في الأكواخ ، الطالعين من الأزِّقة ، الذين يستظلون الموت ، وقد لا يعرفون آداب الطعام وآداب المجالس ، حتى لا تسري الأمور وكأنهم يقتاتون فقط من الفتات التي تسقط من موائد الأرباب؟

خاطبتَ سيادتك الشباب وأسديت لهم النصح . وهذه وظيفة الشيوخ . ولكن الشباب يريد أن يتكلم ، أن يتكلم في مجلسك . قد تقول : من يمنعهم من الكلام ؟ الطوباوية ، اللغو الاكليريكي ، تعظيم الوقار الظاهري ، لغة « خطايا شبابي وجهلي لا تذكر » ، كأننا مقتنعون أن الشيخوخة سن الحكمة والتوبة بالضرورة ، دفق للروح كأنها ريح عاصفة يقاومه المسؤولون حذرين ، وجلين .

لقد أقام المجتمع الاكليريكي والمجتمع الشرقي جدار صمت يرتطم الشباب عليه . **في كنيسة هذا البلد لا يُرجى ممن كان غير مطران**

**أو غير قوي سوى الصمت**. صاحب الرأي تشكرونه بـ «لا فض فوك» وتمطرون رأيه بقبلة أبوية. لا تقولون له إنه على حق، لا تقولون إنه تافه. الشهداء خطرون.

لا يكفي يا سيِّدي أن تقول: «**الكنيسة لا تريد أن تطفىء شعلة الحيوية في الشباب**». ادْعِهم وادْعِ الصعاليك أن ينتقدوك في حضرتك. امنعهم أن يجاملوك. «لاحظ نفسك والتعليم» بعد استماعك إلى نصح بنوي، فيعرفوا أنك أب للجميع وأن الآب السماوي لا يفرِّق بين شاب وكهل، بين سيِّد قوم ومَسودهم. **لا تدعهم يكفرون بالكنيسة لفرط محبتهم للعدل**. إذ ذاك تكون أنت زعيم الثورة التي بها تنادي.

وتكون، عندئذ، زعيم الثورة في لبنان. هذه فرصتك الكبرى لتحل كنيسة المسيح في قلب التاريخ.

تقول، أطال الله عمرك، إن الكنيسة «**تريد أن تكون الثورة شاملة ضد الجمود والسطحية والظلم الإجتماعي والإنحلال الخلقي والرجعية المريضة**». أكاد أصدق أذني. الثورة هذه، هاتها. من يعطينا أن تصبح كنيستك كنيسة الأعماق، كنيسة الحركة، كنيسة الفكر الإلهي النابض! ولكن...

هذا يدعوك إلى التجند ضد الظالمين والرجعيين. ولنا أن نفهم من ذلك أنك لن تعف عن مُباركَةِ إضرابٍ عادل، إضرابٍ غير إكليريكي. إنك ستطالب ليس بحقوق طائفتك بل بحقوق المحرومين من عمال وطلاب وفلاحين. وقد يذهب بك المنطق الذي

انزلقت فيه ـ ونِعمَ الانزلاق ـ إلى أن تدك حصن الظلم الأول في لبنان عنيت به الطائفية . **مطران يشن حرباً غير كلامية على الطائفية هذا هو حلم الدهور** . هذا هو الثمن الذي يجب أن تدفعه أنت وزملاؤك ، لتفتدوا الثورة من الفوضى .

بساطة العبارة ووضوحها عندك ألْزَمَاني أن أستجيب لرسالتك أمام الله بشكر وتأثر عميق وأمامك ببساطة ووضوح . أَكْمِلْ ، سيّدي التحدّي ، فالكلمة صار جسداً . منشورك الرعائي دستور . إنه كذلك بسبب قوته . أنزله إلى الشارع . كذلك فعل ابن الإنسان . بعد أن أطلقتَ النداء لا يسعك أن تنام « حتى يتم الكل » ويقوم ربك في إطلالات تاريخ مذهل .

**الأحد ٢٩ كانون الأول ١٩٦٨**

# الكنيسة المرفوضة

في غمرة الأحداث أهملنا حدث الأحـداث أعنـي ذلك البيان الذي أصدرته الشبيبة الطالبة المسيحية في مطلع الشهر الفائت . وكان هذا ثمرة لقاء بين ممثلين عن هذه الحركة ومن دعـت ليواجهـوا شأن العالم وشأن الكنيسـة في حضرة المسيح . **رأي هؤلاء أن بلدنـا ككل البلدان أليم وأنـه « الآن ، الآن وليس غداً » يقـال الحـق فيه** ، ذلك « الحق الحاضر » الذي دعا بطرس ، مؤسس الكنيسة في لبنان أن نَثبُت فيه بلا مماطلة ولا تسـويف . فذهـب هؤلاء القـوم إلى الموضـوع تواً وأفرغوا ، في نقد ودعوة ، ملء إيمانهم في محبة للسيد أضرمتهـا رؤية جراحه في لبنان .

البيان موجز حتى التقلص وقد يتيح المجال للاستيضاح ولكن فيه من الوضوح ما قد يقلق . إنه اختيار طليعي ، كنيسة تقوم على تحسس الإنسان الراهن ، لحقِّ الإنجيل علينا إذا دخلنا في يقظة والتزام للدنيا مسؤول .

بدأ أصحاب النص برفض . قالوا : نرفض الانتماء إلى جماعات

طائفية منغلقة على نفسها وعلى امتيازاتها . نرفض في الكنيسة الغنى والقوة السياسية ونريد كنيسة خادمة . نرفض كنيسة تساهم في الاستغلال وتسعى مع كل طبقات الشعب إلى حرية هذا الشعب . قالوا : نرفض كنيسة تابعة لحضارة الغرب وناشدوا المؤمنين النضال ضد مختلف أشكال الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي في إطار عالم عربي تدرك الكنيسة أنها جزء منه ، حتى انتهى المؤتمر بنداء إلى مكافحة التخلف في لبنان وإلى السعي إلى تغيير جذري للمجتمع اللبناني .

ويبدو لمن يطالع جريدة الأوريان حيث نُشر البيان أنه أثار ضده مواقف كثيرة ولا سيَّما أن معظم الموقِّعين ينتمون إلى كنائس كان الحوار فيها بين الرئاسات العليا وبقية الناس غير مأخوذ فيه . كان لا بد لبعض من الآذان التي لم تألف ، في المسيحية ، المجابهة أن تستغرب جِدَّة هذه الدعوة التي لا تنام على دفء اللفظة الولدانية ، الحلوة ، الدعوة التي إذا تكلمت عن غنى الكنيسة تستنطق الاحصاءات وتحاول أن تستعيد اللهجة الإنجيلية في حب أصيل مُبرِّحٍ للمعلِّم .

ولا يكون الرد على هؤلاء برد الوقائع ، برفض تحليلهم بل بقبول الحوار السَمِح بين الآباء والأبناء . فإذا كان الحكم في لبنان اليوم يقول بالحوار فالمؤمنون أحرى بذلك . التحذير من الأخطار والتهويل بسبب المبادىء الهدامة لن يكم ألسنة الناس الذين يريدون كنيستهم في النور . لماذا لا يؤتى بها كلياً إلى النور لئلا يُجدَّفُ على الرب بسببها ؟

أنا أفهم أن تكون الشيوعية آفة البلد . ولكن الاقطاعيين الذين يسببونها أليسوا هم أيضاً آفة البلد ؟ لماذا ترتعد فرائصنا أمام الإلحاد النظري ونغض الطرف عن الإلحاد العملي أو ما يوصل إليه ؟ ألكون الاقطاعيين أبناء لكنيسة معمَّدين ، يقيمون الفصح ويعاشرون المطارنة ولا يهدِّدون نفوذهم السياسي ؟ وفي جو المجاملة العامة والمصالحة الكبرى لا حاجة ليطالعوا الرسالة البابوية « في تقدم الشعوب » فإنها تستهدف رأسماليي الغرب . **أما زعماؤنا نحن والمحتكرون فلا أطيب منهم ولا أحلى ولا يمكن أن تقصدهم رسالة رعوية** . والأفكار الجديدة التي طلعت في الفاتيكان سنقولها في حينه عندما ينضج لبنان لنقولها ، إذا شب طلابنا وبقوا على قِحَتِهم .

الكنيسة اللبنانية في خير وسلام . الآن نصفِّق للحركات النهضوية التي تقوم في أوروبا . الدعوة إلى الفقر والتواضع تُلقي فيها دروس للمبتدئين في الرهبانية . فهذا، في كل حال، لا يُخسِّر الدير أوقافه . ولكن أن يأتي ناس عاديون ويصدِّقوا الدعوة ليجمِّلوا بها الكنيسة جمعاء فهذا إنزال لله في اللحم والدم ، هذا موجع ويبدأ الهلع . كلام الناصري حلا من ألفي عام نفاخر به الآخرين ، يجعلنا نعتقد بتفوِّقنا الحضاري وهذه حجة نضيفها أيضاً إلى الطائفية . ولكن أن تُطرح أسئلة جديدة على الكنيسة اللبنانية فهذا يقوِّض النظام ، إنها لثَورة يوسوس بها الشيطان الخناس في صدور الناس . **الناصري لطيف حيث هو الآن ، ولكن يجب طرده إلى السماء إذا حدَّثَتْه نفسه من جديد أن يحل في الأرض ليقول فيها عظة الجبل** .

الخطر من الكلمة ومأخذي على البيان أنه بالرغم من جِدَّته لم يكن على أقوى ما تكون الكلمة عليه . كان بالإمكان أن يكون أكثر تجذراً في الأصول الروحية ، أمتن صلة بها على مستوى التعبير ، أعمق رؤية . ولكنه جاء في اليوم التالي لحادثة المطار والروح في ضيق ليس بعده ضيق . فلو حُبل به في الصفاء واستنطق التراث لأتى أعلى صرخة وأخصب مادة .

مأخذي عليه أنه كان دون المستوى في العنف الإنجيلي الذي قال عنه السيد إنه مقتحم لملكوت السموات . لم يقل موقّعوه مع البابا أدريانوس السادس إنهم يريدون في الكنيسة إصلاحاً يشملها من الرأس حتى القدم ، إصلاحاً يكون الناس فيه خاضعين للكلمة يقولها أحقر المؤمنين ويستمعها الكبير ـ والله أكبر ـ بخفر وخشوع . **لم يقل أصحاب البيان إن الحكم في كنيسة لبنان لله ولمسيحه وإن المسيح اليوم هو المصلوب على خطايا لبنان ، المسيح الذي صار عندنا جرحاً كبيراً ، الذي بات لبنان «المسيحي» عنده غريباً لأنه بلد، الكنيسة فيه لا طوبى فيها للودعاء ، الجائعين العطاش إلى البر ولكن الطوبى فيها لأبناء هذا الدهر ، الظالمين الذين يحتلون في الكنيسة أرحب مكان** حتى جاز التساؤل إن كانت هذه الكنيسة ، في يقينها وفعلياً ، ذات تماس بالمسيح يسوع .

أصحاب البيان كانت خطيئتهم أنهم تجاسروا على التماس المسيح

والسعي إليه خلال الدمار . خطيئتهم أنهم أرادوا أن يدحرجوا الحجر عن باب القبر ليقوم دَفين ديانة لنا دنيوية ، ثرثارة إلى بعث مقيم .

**الأحد ٩ شباط ١٩٦٩**



# الاعتراض الحسن

خطاب المطران اغناطيوس زيادة ، في عيد مار مارون ، كان فيه من الدماثة ما يجعلنا نقف تجاه لهجته متأثرين . وأنه لمن دواعي الغبطة ، إذا تصارعت الفكر ، أن يأتينا رئيس كهذا عفّ اللسان ، لا يحمل الحقد ليستلهم الكلمة ويحاور الآخرين وديعاً . لن نعود إلى ما يحلو في هذه الرسالة وقد لفتت ، بما تستحقه من تقدير ، ولكنا نحاول أيضاً الاعتراض الذي يبدو لنا حسناً .

ثلاثة يراهم سيادته أصحاب اعتراض : الفوضوي والحزبي والشاهد ولا يجل منهم سوى الشاهد . والشهادة لا ريب فيها مقولة روحية وأمّا الحزبية والفوضوية فمقولتان سياسيتان . إنهما في حيّز والشهادة في حيّز آخر . إنهما موقفان من النظام ، والشهادة روح إزاء كل نظام ، إطلالة من الملكوت على شأن قيصر . ومن هذا القبيل ليست هي الاعتراض الحسن ولكنها الاعتراض الأحسن الذي لا ينفي اعتراضات أخرى لها شرعيتها في الحياة السياسية . فإذا أقام سيادته التمييز بين الروحي والزمني وكان أقل انخطافاً إلى النبوية التي تجلّت

في حديثه لرأى أن الشهادة تعميق للحزبية وروحنة لها وليست مجرد تجاوز يلغيها . الحياة السياسية تفترض الحزبية .

في الحقيقة ، وبالرغم من المظهر التعبيري ، لم يبق المطران زياده شاهداً محضاً إزاء النقاش الدائر في لبنان إذ يرى أن المسيح « قبل الأوضاع كما هي » ودعم ذلك بقوله أن الرب « جاء لا لينقض وعلّمنا بذلك أن الاعتراض الشامل المطلق على الماضي وأنظمته وتقاليده غير وارد عنده ، وغير مقبول في طريقته » . الحق أن كل قول في السياسة وكل إحجام عن القول موقف ذو معنى في السياسة . المسيح نفسه لما أبى مجاراة اليهود « في التفكير بملكوت زمني » كان يرفض الثيوقراطية اليهودية وبذا اتخذ موقفاً سياسياً قائماً على رفض الاختلاط بين الزمني والروحي فكان تعاليه هذا دعوة للأجيال اللاحقة إلى رفض فلسفة ومسلكية سياسية معيّنة . **شهادة المسيح هنا قامت ضد الأوضاع السائدة كلها . إذا أردنا وصفها سياسياً لقلنا انها فوضوية لأنها رفض لكل الفكر اليهودي السياسي ، إنها تنسف الوضع .**

ليس إزاء الحياة السياسية جاء قول السيد « ما جئت لأنقض بل لأكمّل » ولا يسوغ بحال أن نعتمده تبريراً لقبول الماضي السياسي في أي بلد . إنه موقف يعني المواصلة ، على نوع ينبغي تجديده ، بين العهد القديم والعهد الجديد ويدل على عميق طاعة المسيح لشريعة الله بتصعيدها من الشكل إلى الروح ومن الوضع إلى المعنى . ولكن هذا التعميق لم يكن مجرّد امتداد القديم في الجديد ولكنه **كان بدءاً مطلقاً وتغييراً جذرياً في الذهنية اليهودية** . الأشكال لم يبق شيء منها . الكهنوت اللاوي ، الهيكل ، الذبائح ، الختان ، محرمات الطعام .

زالت البنية العبرية كلها في العهد الجديد . « الأشياء العتيقة قد مضت ، ها كل شيء قد صار جديداً » . هذا هو الإنجيل في أبعاده العظيمة . **نحن لا نقول إننا نستطيع ، في منهج تفسيري صحيح ، أن نستخرج من الإنجيل شكلاً ثورياً للحكم . فالإنجيل لا يفرض الثورة بديلاً عن النظام القائم. ولكن، وفق المنهج التفسيري نفسه، لا يستطيع أحد أن يزكي، بالنصوص الإنجيلية، سياسة محافظة ولا سياسة إصلاح**. الإنجيل إستمرار تجاوز ، دوام سؤال. لهذا يعسر علينا فهم سيادته إذا قال: «الأوضاع القائمة مهما كان عيبها، فإرادة الله لم تكن غريبة عنها، لذلك لا يصح التنكر لها». أنّى لسيادته هذا الاستنتاج إذا كانت إرادة الله شيئاً وسماحه بالشر شيئاً آخر؟ فالسلطان قائم بالله إذا كان «خادم الله لك للخير، المواظب على الخدمة» (رومية ١٣) . هذه هي موصوفيته حتى لا نتنكر له. ولكنه إذا طغى وأفسد فيبدأ الحديث عن إمكان خلعه وقد أجاز ذلك توما الأكويني.

جواز الثورة عند معلِّم الكثلكة الكبير أليس منطلقاً من التشاؤم الذي ينكره سيادته على المعترضين ؟ أليس بولس الرسول أستاذ التشاؤم عندما يكتب : « إنه ليس بار ولا واحد وليس من يفقه . . . ضلّوا جميعاً . . . ليس من يعمل الصلاح ولا واحد ؟ » **طالما أن المسيح وحده موضوع رجائنا فليسمح الراعي الجليل لأبنائه وأحبائه من اللبنانيين أن يخالفوه في تقدير الأوضاع والقائمين عليها**. إنه يأخذ على هؤلاء التفاؤل «بأوضاع بديلة». أليس التفاؤل ناتجاً من فراغ يعانون، من أمل بظهور أشخاص جدد تألموا وتعلموا من آلامهم بعض إخلاص؟ قد يكونون خَيبةً هم أيضاً. ولكن من يدري؟

لم يبق من مجال لمناقشة ما تبقى من الخطاب . ولكن الناس نضجوا للمواجهات الكبرى ولا يسع المسؤولين الروحيين في الكنيسة المارونية أن يكتفوا بالدعوة إلى التهدئة والكثلكة في الخارج تجاوزتهم إلى جرأة كبيرة . فإذا كان الأبناء من طائفتهم ومن غيرها يطالعون أدباً مسيحياً غير محافظ ويختبرون أوضاعاً لبلادهم متردية لا يسعهم أن يسمعوا فقط صوتاً للآباء يقوى إذا دعا للهدوء والصبر ويخفت أو يتلاشى إزاء الحكّام وتكون الشهادة شهادة على الأجيال الطالعة التي لا تملك سوى حق الاستماع . هذا الشباب المعترض لم يكن حاضراً للقداس الإلهي . الذين حضروا لم يتلقوا لوماً ولا توجيهاً . كان كلام الله على لسان راع كريم وقور سيفاً ذا حدّ واحد . كنا نرجو ، بالرغم من الدماثة الأخاذة ، أن يعترض سيادته الاعتراض الحسن .

**الأحد ١٦ شباط ١٩٦٩**

# الكنيسة المأساة

المسيحي مرمي في مجتمع يعذّبه ويتألم أمام الله في كل حين لكونه لم يبلغ الهدف . يحاول الجهاد في كنيسة هي أول طفرته من الصليب إلى القيامة لأنها ، أساساً ، موطن العزاء ، مجال الشراكة ، مراس المحبة . إنها أصلاً ذلك الوسط الذي نذوق الله فيه ونحيا في سلام . وحولنا آباء إذا سألهم أبناؤهم خبزاً لا يعطونهم حجراً ، آباء يرتضون الأبناء كما يلقونهم ، مهما تعثروا إذ لا بد للخطأ أن يحل في عائلة الله ولا بد للحكيم أن يعالجه .

والأب نرجو ألاّ نشك في أبوّته لئلاّ نشك في أبوّة الله . لذا ينبغي أن يستمر الابن في الطاعة لكي يربح أباه لكي يتقدّس الأب والابن معاً . ويجدر بالأب ألاّ يعتبر ولده ابن زنى ، أن يألفه واحداً من البيت . قد يكون الأولاد مشاكسين أو فقط معترضين . قد يصبحون اعتراضيين أو من بني الأنبياء . حسن أن تكون لنا المرونة التي تجعلنا نرى فيمن يشب وينمو تلك الخصائل التي تمكننا من أن نلقاه على الصعيد الذي يحلو له أن نلقاه . الكبير إذن تحلَّى بتواضع الحوار . لم يثبت عقله في الشيخوخة . بعض من النضج أن نسمع على الدوام ،

أن نؤمن أن الحقيقة لا مقر لها ولا مرجع وأنها تنحدر من السماء حيث يطيب لها .

بسبب الحقيقة هذه **ليست الكنيسة فقط مكان الطاعة ولكنها أيضاً مكان الحرية** . الواجبات فيها ليست ملقاة على فئة الصغار وحدهم . الكل ملتزم الطاعة التي هي بالنهاية لله وحده والتي نمارسها نحو الناس لإيماننا بأنهم حاملو الإله . الطاعة للمخلوق لأنه مرآة الله وطريقنا إليه . السلطة ليست شيئاً يتجسد ، إنها انعكاس ، نور من نور . ولكونها وكالة تحزم وتحسم ولكن الكلمة الإلهية وحدها هي قوة الحسم عندها . ما عدا ذلك فهي باطلة . الله ليس مستعملها إذا صارت أداة العسف والاعتباطية . وإذا كانت السلطة وكالة فلها لطف الله كما لها شدته لأننا نمارسها إزاء إنسان . المهم كسب هذا الإنسان لربه أكانت الطريقة قوة أو ليناً . الراعي يراعي إذا رعى .

في الكنيسة تجري الأمور على خلاف ما في الدنيا : « إن رؤساء الأمم يسودونهم وعظماءهم يتسلطون عليهم أمّا أنتم فلا يكن بينكم هكذا » . وهذا كذلك لأن السيادة لله بدءاً ومنتهى . « لا تغيظوا أولادكم لئلاّ يفشلوا » . إن الفشل حاصل إذا أحس الابن بمغبونيته ، إذا أدرك أنه أمْسَى ابن الجارية. الله ، عند ذاك ، لا يعبر إليه خلال الرئيس .

**المهم ألاّ تتحوّل الكنيسة إلى حمام مقطوع الماء أو إلى برج بابل فإنها المكان الذي جاءت إليه الكلمة الواضحة** . المهم ألَّا يفترق فيها

الناس ولو اختلفوا . الاختلاف وارد فيما لا يمس العقيدة . وبصورة أبلغ الكنيسة مكان للشيوخ والشباب ، للتقدميين والرجعيين ، لليساريين واليمينيين ، لمن ارتضى الكيان ولمن تململ من الكيان . موضوع الإيمان ما ورد في دستور الإيمان . « وكل ما ليس من الإيمان فهو خطيئة » . وهذا يعني ، في سياقنا ، أن أحداً لا يستطيع أن يفرض في الكنيسة رأياً ليس من الإيمان ولا أن يجعل موضوعاً غير كنسي كنسياً . الكنيسة هي المكان الذي يصفو فيه الشعور ولا يعتبر الإنسان فيه نفسه فوق ما يجب . المائدة المقدسة يجتمع حولها أهل اليسار وأهل اليمين ، الذين يصبرون على تخلف الفكر أو الذين يصبرون على سعي الفكر في شؤون العالم .

**بعد بضع سنين قد نلاحظ أننا كنا نختلف على توافِهْ** . دائماً مشاكل الكنيسة في هذا البلد متأخرة عشرين أو خمسين سنة عما يجري عند غيرنا . بعض من الدرس قد يوفِّر علينا كثيراً من العناء إذا تضافرت النيات الصالحة وَصَفَتْ القلوب لكي لا يحس الآباء والأبناء أنهم في نزاع أبدي . نريد أن نعتقد أن الكنيسة بطُلت أن تكون حاجز صمت بين الأجيال فالكنيسة أصلاً اجتماع وتناغم وبنيان واحد في الروح القدس . فإذا صارت هي موضوع المأساة الأمثل فإلى أين نذهب ؟

نريد أن نؤمن أنها ليست الحقل الذي ينطح الإنسان فيه رأسه على صخر . في دنيا أضحت بلا حب نرجو ألاّ تصدمنا تلك الخيبة التي تُميت الإنسان إذا عرف أن كنيسة المسيح هي أيضاً المجال الذي لسنا فيه

محبوبين . « كأس ماء بارد » تُعطى إلى أحـد صغـار الأرض جعلـت يسـوع شكوراً أبـد الدهـر . نصلّي لكي تصبـح الكنيسـة من جديد مواجهة آباء وأبناء ، آذاناً من كل جيل تصغي .

**الأحد ٢ آذار ١٩٦٩**

# رجاسة الخراب

« متى رأيتم رجاسة الخراب التي قيل عنها بدانيال النبي قائمة في المكان المقدس ( ليفهم القارىء ) فحينئذ الذي في اليهودية فليهرب إلى الجبال » ( متى ٢٤ : ١٥ و ١٦ ) .

في كل عصر ، الخراب قائم في كنيسة الله . فالشر يتسلل ، في فرص الخير ، إلى قلوب الناس ، الناس الذين يتعاطون العبادة والكلمة والدعوة إلى الطهارة . الظلمة في صميم الكاهن ، في جوف روحه كثيف . الشيطان يريد مثل هذا حليفاً له ليطارد النور في كل مكان . الشيطان نزيل اللسان الذي يصلّي، يتسرب إلى الحديث بالالهيات ، إلى المجالس المعدَّة لتتكلم بشأن الله وملكوته **وإذا بحامل الرسالة خير عدو للرسالة** فإذا اكتظ الكلام فيه فإنه « محب لنفسه وللمال ، مفتخر ، متكبر ، مجدِّف ، كافر للمعروف ، فاجر لا ودّ له ولا عهد ، ملقي فتنة ، داعر ، شرس ، مبغض للصلاح ، خوَّان ، مقتحم ، منتفخ ، يغلب حب اللذات على حب الله ، له ظاهر التقوى لكنه ينكر قوتها » ( ٢ تيموثاوس ٣ : ٢ ـ٥ ) .

المأساة أن الكنيسة قرين هؤلاء الرجال « الجالسين في هيكل الله » الذين يتصرفون ويظهرون أنفسهم آلهة ( ٢ تسالونيكي ٢ : ٤ ) . وهم معثرة دائمة ، جرح أزلي للقلوب النقية ، دمع لا تمسحه يد . **الطيّبون في هذا العالم يسوءهم أن تستعمل كلمات المسيح وقربان المسيح لدوس المسيح** . إلى أين يذهبون إن صار النور في رؤسائهم ظلاماً ؟ « إن فسد الملح فبماذا يملَّح ؟ » .

المأساة أن هؤلاء الأشرار يقهقهون إن أنت تكلمت عن الله وشؤون الله . الحديث الديني يعطونك منه ما شئت ليغطّوا قباحتهم . يرون أنفسهم دهاة ويعتبرونك ساذجاً وهم أقل الناس فطنة لأنهم يظنون أنهم هم الفطنون وأنك غبي . يحسبون أنك صدَّقتهم لأنهم كلَّموك بالتقوى ولكنك تعرف حديثهم قناعاً يحجبون به وجهاً مقرحاً بالبرص .

ليس همنا هنا أن نستفيض بوصف هذه النتانة التي سادت الهيكل وعطَّلت العمل الروحي وأفسدت الحياة بكاملها . هاجسنا ألَّا تبقى حجراً جاثماً على صدورنا إلى الأبد . **فناء هذه الجثث القبيحة ليس بحل فإنها تستخلف جثثاً أخرى ، تأتي بمن يكمل بعدها رسالة الشر لأن الخطيئة تلوذ بالخطيئة والنفاق يحن إلى النفاق** . بالطبع يجب عزل الخبيث وطرحه خارج الجماعة لأن الخبيث لا يهتدي وينبغي إنقاذ الجماعة منه . المنطق الكنسي قام دائماً على الحرم ، على إلقاء الغصن اليابس في النار . كل جسم حي يقوم على التمثل والفرز . فالشر لا مكانة له في الكنيسة إن لم تبتلعه التوبة والظلمة لا خلطة لها مع النور . ما خلا ذلك مشاركة في أعمال الظلمة وسياسة إبليس .

ولكن إذا كان القيِّمون على الحقيقة لا ينطقون بها فلا يقطعون زمرة المنافقين من بينهم فالمأساة أعظم . عند ذلك لا تبقى سوى محكمة يسوع المسيح . « حينئذ الذي في اليهودية فليهرب إلى الجبال » . الذي في المواضع الواطئة فليتسلق قمم الصلاة والفضيلة . فليتطهر لئلاّ يقبل التسوية ، ليقول دائماً كلمة النبوة .

قد يكون الإنسان وحده في الجبال ، في ذروة التجلي . قد تكون هذه الوجدانية صليباً . الصليب دائماً نصيب الذين يقضون وحدهم في العلى . ولكن لا بد للجيفة أن تنحل والنتانة أن تتبدد . ويبقى الله وحده حاكماً غلاّباً .

**الأحد ٤ ايار ١٩٦٩**



# رسالة إلى أسقف

سيّدي ، هل يلوم الابـن أبـاه ؟ شكواي إليك أنـك الخصـم والحكم . الخصم لأبنائك جميعاً لأنك صرت على جانب من الضعف هو إلى الخطيئة أدنى . ومأخذي عليك أنك تحتمل الأشرار وتزاملهم ولا عهد لهم ولا ضمير وأنت تعلم لمن هم حلفاء وأنهم يقوِّضون بيتنا الذي تسللوا إليه خلسة . لقد شُلت يدك فباتت غير قادرة على حمـل سيف الحق وهم يقهقهون في رقصة الشياطين الكبرى إذ كان لهم ما أرادوه بعد أن أثاروا شهوة المشتهين فانقلبت لمصلحتهم خيانة .

أكتب إليك وقد تركت عائلتنا في مهب الريح . **إنها عائلـة الله العظيمة التي أمست ، بسبب اللصوصية من جهة والجـزع من جهـة أخرى ، بلا قيادة** . قيادة أشلاء هذه التي أنت منها بعد أن اجتازتها المحنة وتآكلها القلق . الأشرار وحدهم يجعلونها قيادة غير تافهـة فإن عندهم الجد ولهم أصول . فقد تعلَّموا المعصية وفق قواعد موضوعة ، معروفة بأصول وأنت لم تتعلم أن تجعل فكرك قوة . لقد ساقوك كما يُساق الصـبيان إلى أهدافهـم . فإنـك ـ شئـت أم أبيت ـ موضـوعياً

حليفهم . فَشَلُكَ روعة من روائع جهنم ، عيد في الجحيم . سياسة أعدائك متعة للذهن ، مُنَية للذوق ، خلاَّبة ورساليتك الألفاظية لا تجذب أحداً .

لقد أظهرتك الأزمة عاديّاً ، أقل من عادي ، رازحاً تحت ماضيك ، غارقاً في حاضرك ، تتطلع بغصص إلى ما يأتي ، إلى ما قد يداهمك في إنسانيتك الأليف . أنت تعاني في الصميم ما يعانيه كل مخلوق معذب تنتابه الشدة وتهاجمه الرغائب .

ولذا اكتب إليك . خبرتي للإنسان علَّمتني أن أعرِّيه. فالخطيئة لا سر لها عندي . فبيني وبينها حنين . مارستني وتدرَّبت على معرفتها في الناس سنين طوال . أمامها ينهار الجميع . ولذا أضحك في سري عندما أراك تخفيها وراء الأقنعة العديدة التي تصطنع . العيوب لا يخفيها برقع . هذه العيوب أوصلت عائلتنا إلى ما نحن فيه من ضيق . **أفهم أنك ، مثل كل الخلائق ، دمية بيد الشيطان ، ضحية من ضحايا هياجه الكوني ، صغير بين الصغار.** إذا علَوتَ عرشك فلا تعلو سوى درجات تُقاس. وإذا استلمت عكازاً فلست بمَلِكْ. أنت عبد لشهواتك ككل العبيد . ولكنهم دعوك إلى عرش لتتعلم السمو ووضعوا في يدك الصولجان لتقود نفسك والرعية إلى حيث يحلو لله أن تكونا .

أنا لا أشكك إذا لمست معاصيك فيك فالتحليل يُشرِّحك كما يُشرِّح الآخرين . هذا لا يعثرني بعد أن عرفت ألَّا أفتش عن القداسة

حيث الناس . السماء ليس ما يشير أنها مليئة بالكهنة أو برؤساء الكهنة . لعلَّ التجربة تزداد بنمو المسؤولية ولعلَّ الذين أوصلوك إلى هذه الرتبة أبلغوك المقام الذي أنت فيه لشهوة في النفس . لا ينفعنا الآن أن ننبش الموتى . أنت الآن هنا والتراث يقول إنك أبي . الإنسان لا يختار أباه . وقيل لي دائماً إن لك قُدسيَّة **وأنا كنت أمامك أنحني ولا بد أن أنحني من جديد لأنك تجيء من الذبيحة وترفع إليها ، لأن فاك يتلو كلمات الخلاص ويديك تلامس جسد الإله .**

أعرف كل ذلك في تمزقي ولا أدين . أعرف أن ذلك سيستمر ، أن الخطيئة ستطلع منك وخوفي عليك أن تلقى وجه ربك غير تائب .

لا شيء يحلو لي كما يحلو رجوعك وألمي في هذا أنك لم تصارع الشر وأنك استسلمت إليه فتَحكَّم بك تحكُّم الأخطبوط في الجسد العاري . ومع ذلك أحلم بعودتك . أقول في نفسي : ماذا حلَّ بأبي ؟ إن له كلمات عذاباً تنم على أن نفسه عرفت وداعة المسيح وأنه ولَّى وجهه شطر الجمال الأبدي . لقد ذهب أبي أيضاً في طرق السوء مع الذين لا إله لهم بعد أن غنَّى الإله . ماذا حلَّ بأبي ؟

**لقد افترقنا إلى أن تتوب . إلى أن تكتشف بساطة المسيح ، بلّورية المسيح** . كم وددت أن تكون على الجرأة والصدق اللذين اقتطفناهما من معاشرة السيّد . ولكنك تخاف . تخشى الناس الذين يُنسب اليهم وجود . تخشى الأشياء التي تحسب أنها فاعلة . أنت

علَّمتني أن الحكمة في مخافة الله الذي لا نشرك به سلطاناً في السماء وعلى الأرض . وإذا بك هاجِسُك السلاطين كأنك نَسَيتَ أن « كل بشر عشب » . لا أستطيع أن أتلو عليك صفات الله الذي « يجعل الزعماء كل شيء » . حسبي أن أذكِّرك محبتك الأولى للمعلِّم الذي يؤتيك في تعبك قوة وإذا فقدت القدرة يكثر لك الحول فلا تعيي في الطريق ولا تعثر عثاراً .

**أدعك الآن لأنك خفت الأشرار وأنت بالطبع تحسب أنك حفظت العائلة** . بالواقع فتحت باب بيتنا على مصراعيه للعدو . فتحته ليتربَّع في الدار وكنت من طَرْدِهِ على قاب قوسين أو أدنى ولكن للشيطان سحره .

ماذا نفعل حتى تجمع العائلة والأولاد جاعوا وليس من يطعمهم خبزاً ؟ المجاعة آنية . من يحتمل مسؤوليتها بعد تخاذلك ؟ أدعك وحدك تتدبر الأمر بفطنتك . أدعك إلى الفطنة التي قادتنا إلى حيث نحن . تجربتي أن أترك لك أبوَّتك . لست أنا الذي بعتها لخصوم الدار . أنا ذاهب إلى الصحراء حيث أدعو الله أباً . نزف موصول أنك ضللت ، أنك تركتنا نجوع .

**العائلة التي شَرُدَت بضعفك ستتابع سيرها بانعطاف الفادي** . جيلاً بعد جيل أهملها أقرانك الذين سمّوا أهواءهم بمختلف تسميات الفضيلة . أعلم أن الذين يبكون يعمِّدون الحياة . قد تردُّك هذه

الدموع لو رأيتها . عند ذاك ، الذهب الذي اكدَّر فيك يعـود ذهبـاً مصفّى وتَبيضُّ ثيابك وأنت من جديد على جبل التجلّي .

**الأحد ١٨ ايار ١٩٦٩**


www.christianlib.com

# رسالة ثانية إلى أسقف

«يعرض الإنسان عن أن يصبح قديساً ليصير كاهناً أو طحاناً أو ضابطاً»*.

الأب فيرجيل جيورجيو

سيّدي ، اليوم يجب أن يطمئن قارئي إلى هويتك . يطالعني فضوليون وينبغي أن أقيم لهم حساباً . فبادىء بدء لا مفرّ من تذكرتك أني أديب أو أني أتأدب هنا ، ولذا أتيتَ أنت صورة أدبية . أنت ، جملةً ، صنيعتي الفنية . ولكني لا أتعاطى الأدب من أجل نفسه . وفي التمثال الذي أصوغ أودّ أن تتعرف ملامحك . أنا أهوى الجمال لكوني محباً لله . لهذا تؤذيني القباحات التي جعلتها في لوحتي . ولكني رأيتها لأني مضطر أن أشبِّهك « بأسقف نفوسنا العظيم » . ما ظلمتك إذا وجدت في لوحتي خطوطاً انطبقت عليك . حق حقيقتك عليك إلاَّ تغفل عما شملك من وصف لئلاّ تكون قد ضيَّعت وقتي عليَّ وأعرضت عن فرصة نادرة تتعرى فيها نفسك أمام عينيك .

أما بعد فقد أصابك ذهول لأني بحثت في قضايا العائلة في

صحيفة سيارة . أنا أخشى يا سيّدي أن من يدعونا ألاّ نغسل الملابس القذرة أمام الناس يريد فعلاً أن تبقى هذه الملابس قذرة . يشككه النشر ولا تشككه القذارة . ثم هل لعائلتنا لسان حال نكتب فيه ؟ ولو كان لها ذلك فهل هي تسمح للأبناء أن يتحدثوا وأن يشتكوا أم أن عليهم أن يتألموا ويعبوا ألمهم صابرين ؟ الكلمة وقف على الأساقفة وعلى الوجهاء الذين تسمح لهم أن يؤنِّبوك فبينك وبينهم حلف . ولكن الأصاغر مثلي عليهم فقط أن يطيعوا فإنهم بذلك يتقدسون . وإن غيرتك على الصغار وفضائلهم العظيمة . أنت تجيز للصغار الغباوة . **نعم ، أنا أكتب في أمور الكنيسة للناس جميعاً لأن الكنيسة قلب الكون ، لأن أزمتها الدنيا وانفراجها سلامة للعالم .**

ثم واحدٌ تعجَّب أني وجَّهت إليك رسالتي عند هبوب العاصفة في بيتنا . متى تهدأ العاصفة ؟ في موضع في الإنجيل قيل إن الرياح سكتت لما أوقظ يسوع في السفينة . هل دعوت أنت وأقرانك المسيح لتجعلوه سيِّد السفينة ؟ العالم كله ، يا صاحب السيادة ، دمية شيطان والعاصفة قائمة إلى الأبد . وإنها اليوم فيك . أمّا أنا فأكتب إليك لكوني في صفاء راجياً أن توبِّخني إذا ما خضعتُ للهوى . « **إن الحقيقة ليست لزمن آتٍ . الحقيقة لا يسعها الانتظار** » . بيني وبينك هي الصلة .

أنا لا أخاف على شيء لأني لا أملك شيئاً ولست طامعاً في شيء. هذه حقيقتي وأنت صديقي إذا قبلتها وحسبي رضاء الله واستغفاره إن أنا زَللتُ. **أنا مؤمن ولذلك أتكلم**. الحَياء والانزواء طبيعتي ولكني لا أستطيع الصمت الآن ولا غداً فقد وُضع النير عليَّ

وأطعمني الله كتاباً. أكله جوفي وملأ عظامي كلها. وأنا مضطر على إذاعته لئلاّ أموت. لا أقدر أن أختار بين الكلمة والخرَس فإذا «لم أتكلم منذراً المنافق بشر طريقه ليحيا فذلك المنافق يموت في إثمه». أنا كنت أودّ أن أقضي حياة ترف واسترخاء ولكني عاجز عن ذلك. **لست أنا سيّد المخاض الذي يحلّ بي. لست أنا الذي وضعت المسيح في جوفي ولست حراً أن ألده أو ألاّ ألده في الناس وأنا في وجع حتى ينطلق.**

بعد هذا لا معنى لما يقال حولك من أني عنيف. متى كان الحق طلياً؟ أتدعوني أن أكون فاتر الدعوة؟ إذن يتقيئني ربك من فمه. وما كانت انتفاضتي سوى وليد تلك المحبة الأولى التي جمعتنا والتي «تجعلنا أن نريد الإنسان الآخر ينبوع غنى لا ينقضي». أنا أحبك سيّدي. لذا أكره سيّئاتك. **أقسو عليك حتى لا يبقى فيك سوء**، لأني أريدك أن تبني التاريخ، أن تتعملق لتدرك ذاك الذي تصاعد من بعد قيامته حتى الجلوس عن يمين العظمة. أريد لك العظمة الحق لأني أعرف الكنيسة مكان التجليات، مُنطلق الخلق والفتح المبين. عما تحاسبني أنت؟ تحاسبني أني ذو رؤية وأني أريدك على مدى الرؤية؟ أجل أرى الكنيسة دائماً كبيرة، أراها «السيِّدة المصطفاة»، وأحب أبناءها في الحق «لأجل الحق الذي يثبت فينا». لذلك لا أطيق زيغانك عن هذا الذي يجمعنا إليها، عما يبرِّر وحدة قيام مسؤوليتك. شراكتنا أنا وأنت في الإخلاص «للذي أحبنا وأسلم نفسه عنّا». **فإذا بلغت أنت من الغفلة ما يجعلك عن مسؤوليتك غريباً أتريدني أن أداعبك؟ أفلا** أكون قد خرجت عن الوفاء الذي يفرض علينا ألاَّ «نطلب مجداً بعضنا

من بعض»؟ لا ، أنا لست مستعداً اليوم ولا غداً أن أسكت عن الفساد الذي قد يدبّ فيك لتتأمل نفسك تأمّل الغانية أمام المرآة وتعجب بملامح ليس على القدر الذي تظن من البهاء.

حطِّم المرآة . فعلى قدر معاشرتك المعلِّم تصبح على صورته . هذه قضية محاكاة . عند ذاك لا يهمك أن تبقى متمطرناً . تكون قد تجاوزت أدب المظاهر . إن أنت صرت في الأعماق يكون هاجسك كيف تصير إلى القداسة . عند ذاك فقط تكون قد بلغت قامة الأسقفية .

**الأحد ٢٥ ايار ١٩٦٩**

# إلى الياس ع .

غداً عيد شفيعك وإنك لتستقبله وأنت كاهن منذ أيام . ولقد رفعوك إلى هذا المقام لأنهم قرأوا الحبَ على محياك ، ذاك الذي رسمته فيك الكلمة تتعلمه منذ الطفولة أخلاقاً من متحد بار وكتاباً مقدساً مع شبيبة كنيستك .

ماذا أقول لك وأنت شببت على غيرة إيليا ولطف الانجيل بآن معاً ولم يحرمك طلب المعرفة أن تدرك أن الأنقياء وحدهم يعرفون فتابعت . في المهجر ، تتلمذت على التواضع وآثرت ، وأنت هناك أن تتبتل لربِّك لا يشاركك فيه حبيب . وجعلوك منذ الآن في الرعاية وأنت على شيء من الفتوة لأن الأبناء جياع وليس من يعطيهم خبزاً .

ستكون أنت طعامهم . سيأكلونك **ولكنك قبلت أن تكون ذبيحاً وأن تقتلك كنيسة الله** . سوف تتدارس الكتاب كل يوم فلا بد لك أن تعكف على القراءة حتى تنقض عليك إلهامات توزّعها في الأحياء على الناس . ولا بد لك أن تصلّي بعنف لئلاّ تغتر وتخدعك شهوات الصبا . وما أهون انزلاقك إذا تملقوك أو نموا عليك . إياك أن

تفسد الخدمة بالتحكم أو الانتقام . فالأصغرون عندك الأكرمون . وأمّا وجه ربك فابغَ ، فله وحده الحكم ووجوه الناس تراب . وإذا أنت أحببت ملكت وإذا بغضت أهلكت وأنت في يوم الدين مسؤول عمن يهلك بغفلتك .

ومن تجاربك كثرة العلم . فقد تقضي ساعات بين الكتب تستمتع بالإلهيات والمؤمنون حولك عطاش إلى تعزية . أنت أولاً ماسح دموع وغاسل أرجل . وإذا ذبت هكذا أمامهم يعود ربك إليهم حضرة سماء .

ولكن الكلمة لا تذوب . **ينبغي ألا تنقطع** في فيك. **قلها ولو** توانى **القلب دونها فهي أيضاً تُرجع قلبك إلى الله . كلامه يربِّيك أولاً ، يربِّيك كالسوط . قله لتأمن وقله علّهم يرجعون . قله سنة بعد سنة وموسماً بعد موسم ولو رأيت الخطيئة تلازمهم كالعلق . المهم أنك أنت لن تنجو ما لم تتكلم** . وهم أوكِلت أمورهم إلى هذا الذي دعاك من الظلمة إلى نوره العجيب .

إنجيل المسيح مبرح . لا تخش النزف . اجرح والطف فأنت طبيب لا نديم . أنت رفيقهم إلى ملكوت يحققون فيه أنفسهم ولست قاعداً هنا لنرتزق . قد يمجونك في البدء فالإنسان فيما آل إليه من فساد ليس أليفُ الكلمة ولكنك أنت سلطتها عليك لتندمج فيها ، لتصبحها ولسان حالك ما دوى به شفيعك إلى الأبد : « حي هو الله الذي أنا واقف أمامه » . إن بقيت على هذه الوقفة أو عدت إليها بعد تكاسل فالحياة بين يديك أضحت وديعة إله وأنت في مواكب الذين يفتدون الزمان ويسوقون الأرض إلى الفردوس .

**السرّ في قداستك** . والقداسة ليست طهرية ملائكية . فمن كان ذا يدين فلا بد له أن يمس الأرض . ومع ذلك لا يرضى سيِّدك عن القداسة بديلاً فلا شيء في الدنيا يضاف عليها. إنها الوجود كله وابعاد الوجود. إنها تعني أنك لا ترضى معايشة الإثم لا فيك ولا في غيرك، أنك بالتالي جريح إلى الأبد ولا سيما أن الإنجيل جعلك حسَّاساً إلى حد التمزُّق المستمر. ولكن إن تيقظت ولم تُهمل محبتك الأولى، إن عُدْتَ إلى حرارتك بعد فتور واستغنيت عن المطربات واحدة واحدة فأنت مطيع لهذا الذي أسلمت إليه في تواضع قلبك وانكسار الروح. ما عدا ذلك باطل وقبض الريح.

ستبقى، عاماً بعد عام، سالكاً في الإيمان إلى أن تشيخ. في الإيمان قلتُ لأنك لن ترى الملكوت يسير قدماً وأنت عالم أن «حياتنا مستترة مع المسيح في الله». في زمن الكهولة سوف تضطرب. سوف تعاين أن كل شيء حولك ينهار والعزلة حولك وفيك رهيب. رُكيعات **الليل في غرفة ستكون وحدك فيها والكأس المقدسة إذا تناولتها في استغفار حق، ستكون واحتك في الصحراء التي اخترت أو التي اختارها لك من يعرض علينا الصليب** .

قم إلى المذبح غداً واختطفنا معك إلى السيد. هات الخبز والخمر لئلا نموت. شكراً لك يا الياس.

**الأحد ٢٠ تموز ١٩٧٩**


www.christianlib.com

# المارونيّة وحضور المسيح

من نستلهم في الحيرة ؟ أمام موت تاريخي لنا يتراءى ، في خشية الأشباح الليلية التي تتراقص في الأفق ، يبدو لنا الاختيار تمزيق كيان ، كيان أعماقنا . العقل وحده ، التفلسف السياسي وحده ، لا يحلّان المشكلة . لقد أُعيد كل منا إلى ولاء له أبعد من كل إدراك ، من كل منطق . لذا يحتاج المرء إلى نور كثير ، إلى كلمة تفوق كل عقل ، كلمة تمدنا بنعمة وسلام . شيء **أعظم من السياسة ، شيء كانعطاف إله يكون وحده الأعجوبة** . لعلَّ لبنان يحتاج في هذا الضيق الرهيب أن يصير معبداً لئلاَّ ينتحر ، لكي يصمد في وحدته ومحبته إذا « غمرته مياه الطوفان الكثيرة » .

في هذه الشدة وهي الأقسى في تاريخنا نتطلع إلى الكنيسة المارونية ونقول لها « بوداعة المسيح ولينه » : تكلَّمي أيتها الكنيسة المارونية ، تكلَّمي لأن صمتك يفسح في المجال لكل شهوة عند بنيك ولكل تأويل عند غير بنيك . قولك وحدك يحسبه الناس قول المسيحية اللبنانية . نحن نعلم كم تحبين هذا الجبل وكيف لازمته وتجندت فيه وكأنه التعبير عن أشواقك جميعاً . **ومع ذلك فأنت فوق الجبل لأنك تتوقين أن**

**تصبحي للمسيح الكوني** ، لذاك الذي رمانا مرَّة في مصير دمه ووثبات كلمته . ولست أشك في أنك لست سجينة التاريخ ، حبيسة الخوف فإنك « تغارين على أبنائك وغير أبنائك غيرة الله » . أنتِ لست فقط حافظة هذا الجبل ولكنك مع الناس جميعاً ، مع « دموع المظلومين » حيثما حل الظلم ، ومع الفداء . ففي الرامة أمس واليوم « بكاء وعويل كثير » وأنت هنا لتمسحي كل دمعة من عيون الأطفال وحتى « لا يكون بعد موت ولا نوح ولا صراخ ولا وجع » . ولا فرق عندك وأنت عروس لمسيح الكون أن يُذرف الدمع على جبالنا أو في جبال اليهودية والسامرة وفي مدن الجليل . **قولي إن الذين يضطربون في القدس أعزاء في عينيك وإن اختناقهم بعض من اختناق يسوع على الصليب.** واعلمي أنك إن استجبت لهم بالعدل تستجب لك السماوات بالبِر والرحمة ومَجدٌ يبقى لك ولو تزعزعت الأرض من تحت قصورك .

« احتملي جهلي قليلاً . احتمليني » لأنه يهمني أن أفتخر بانصافك بقدر ما افتخر بشهادة ماضيك واعتصامكِ في وادي القديسين من أجل ما حسبته حق المسيح عليك . الذين هم لفاديك لهم حق عليك بدالة الأخوة . تكلَّمي لتقولي ان قلبك يحترق ولو احترق معبد للمجوس . افصحي عن هاجسك من أجل الجار المعذب . ليس لك أنت أن تقولي إنه أخوك ، فقد أعلنه فاديك أخاً له من زمان . ماذا يعني لك البقاء ؟ ربك تكلم عن البقاء عن طريق الموت . « من أهلك نفسه يجدها » . هل تهلكين أنت نفسك لنحيا جميعاً معك ؟ ألا تؤمنين بانبعاثك بعد جولة الموت ؟ **لو افترضنا أن المأساة حصلت واندثر لبنان لماذا لا تؤمنين بأن لك مصيراً في تلاشيه ؟**

**أكنيسة أنت أم جيش للبنان ؟** « ها إن الأمم تحسب كنقطة من دلو . . . ها إن الجزائر كذرة تنفض ولبنان غير كاف للوقود . . . جميع الأمم لديه كلا شيء » . ولو حدث ذلك فأنت أنت تحملين كلمة إلهنا إلى الأبد .

نحن عطشى إلى هذه الكلمة « وليس لنا من مُعزٍ وفي أيدي ظالمينا قدرة » . وأنت واقفة وإلهك يخاطبك أن « عزِّي عزِّي شعبي » . كيف تَغُضين الطرف عن أن الجبل ، هذا الذي يتقدس بأناشيدك ، يرتمي على شراء السلاح ارتماء الايائل على الينابيع ؟ من يغذي فيه الخوف ؟ تتصرفين ـ وأنت صامتة ـ وكأن التسابق على التسلح المدني هاجِسُك . وعن اللبنانيين الذين لا يشاطرونك الرأي السياسي ـ وأنت في السياسة مبرزة ـ تقولين : لن يمرّوا . أمّا عن إسرائيل فلم يقل رئيس فيك : لن تمرّي . عادة ، لا تنقصك شجاعة التحدي . هل فاتتك الشجاعة في هذا المقام؟ أريد أن **أعتقد أنك لست هنا لملكوت أرضي وأنك تؤمنين بأنه «ليست لنا مدينة ثابتة» ولو كان لبنان اسمها.**

مسيحية لبنان ليس من أحد ينقذها مثلك . والناس لا يتوقعون منك حلاً سياسياً لإزمتنا الحاضرة . لازمي أَنتِ القول الإلهي . كوني كنيسة . ما نرتجيه منك ـ بسبب من مكانتك التاريخية ومركزك الحاسم ـ أن تنطقي كما يكون معلمك قد نطق . أسألك ذلك باسم هذه القداسة المتراكمة فيك مذ عانيت الاضطهاد . افتحي فاك باسم ربّك واقرئي علينا من روحه فيحيا لبنان . اذكري أن ثمة عشرة ملايين من المسيحيين العرب وأن لمواقفك إذا كانت انجيليَّة كريمة أهمية

قصوى في مصير هؤلاء وأثرهم . إنهم من العـراق إلى حدود المغـرب حضور المسيح في شرقنا . أنت وإياهم ضوء السيد أو اختفاء « تحت المكيال » في دنيا العرب .

**الأحد ١٤ ايلول ١٩٦٩**

# أنحن أمام أزمة ارثوذكسية ؟

ذِكرُ الارثوذكسية ، صُحفياً ، ملازم للأزمة . والتاريخ كله أوجاع إلى أن يأتي الله في ملكوته . ما عدا ذلك ألم من الأبناء والآباء الذين نسمّيهم روحيين على رجاء مسلك صالح . ولكن العائلة قد تتصدع إذا نهش الذئب بلا رحمةٍ جسماً أراده الله جسداً للمسيح .

الحديث عن كل ذلك لا يسرني ولكنه حديث أسار به من أراد أن يرفع الصليب عن كتف المعلّم والسامعون قلة أغرتهم هواجس الحياة . ولكن إذا لم أكتب هنا كيف يصل الخبز إلى أحبة المسيح ؟ قد يؤذي إعلامي آذاناً عفيفة . ولكن العثرة حدثت ولا بد من كشفها علّ الناس يتورعون ولا ينقادون في سبل المغالطة ولا تستهويهم النميمة التي تُلطخ بها سمعة الساعين إلى النهضة . لقد تمخضت هذه الكنيسة منذ سنين « ليتنصر النصارى » ويصبحوا منائر . وعلى ذلك أراد البعض ألّا تمر النهضة ، أن تتلاشى أصواتها ليبقى لبعض الناس منافع في الأرض .

أمام تصميم جهنمي كهذا كيف ننام؟ من **يخطّط يدرس فِعْلَته**

**بتدقيق والأوادم في بيوتهم قابعون ، منكفئون في الآدمية .** همهم أن يظلوا مرتاحين، نظيفي السمعة، ألا تتخدش آذانهم بكلمة سوء ينطق بها غير الأوادم.

ولكن يد السيّد حملت سوطاً . **حملته في الهيكل ليطرد منه التجار ، تجار كل زمان ومكان** . لقد أعطانا أيدينا لذلك إذا تكرر السبب الذي من أجله حمل السوط . وقد يكون ذلك في هياكل العهد الجديد . ببغض للاتجار ، بمحبة كاملة صافية لمن اتجر .

مفتعلو الأزمة ناس أيّاً كان لون الثوب الذي يرتدون ، ناس خطاياهم مميتة ، مؤذية حتى النزف . الظاهرون منهم على المسرح قليلٌ عددهم ولكنهم هائجون ، معطلون . يتقنون أساليب هذا العالم اتقان من تروض واختص .

إطار الأزمة ، هذه المرة ، أن الكنيسة الارثوذكسية مقبلة في ٧ تشرين الأول على دورة للمجمع المقدس تنتخب فيها مطارنة لحمص وحماه وجبل لبنان . ويتم ذلك بحضور أكثرية أعضاء المجمع المقدس إلى دير مار الياس شويا وقد دعاهم البطريرك إليه . ولكن صاحب السيادة المطران ابيفانيوس الجزيل الاحترام قد دعا إلى اجتماع آخر يعقد في دمشق متجاهلاً رسالة البطريرك . لماذا فعل ذلك ؟ بأية صفة ؟

العارفون يقولون إنه يريد بذلك تهديداً أو تسوية . أنا لست من العارفين . ولكن كل من أحب السيد ابيفانيوس يرجو أن يعود عن دعوته . فسيادته تدارس الكتاب الإلهي تدارساً كبيراً وهو إنجيلي

الوعظ ، بولسي التأبين على عمق روحانية في التعبير . **والأسقف في الكنيسة وظيفته الأساسية الحفاظ على الوحدة ولا سيما أن الوحدة هذه المرة واقعة فعلياً لكون المؤمنين قد ملّوا الخصومات الاكليريكية .** وسيادته قيل له ، غير مرة ، في أبرشيته إن مثل هذه النزوات ينبغي قمعها . ولفت المخلصون سيادته إلى أن الشيع المختلفة تتآكل رعيته وأن له نشاطاً يبذله غير هذا الذي يؤدي بنا إلى انشقاق . وسيادته لا يجهل أن الإنسان يزكّي ماضيه في شيخوخة وقور نرجو له أن تكون مديداً إذا صار رسول وئام وسلام . نريد أن نعتقد أن عقلاء هذه الطائفة سيقولون للسيد ابيفانيوس أن يطوي هذه المزحة وإنهم له غافرون بسبب ما يُعرف عنده من حماس مفرط .

ونحن أيضاً نود أن نعتقد أن أمر الرعية يهم المطران ابيفانيوس وهو « وكيل أسرار الله » فيها وأنه يريدها واحدة ، محبة للمسيح ، ناهضة أمام الشمس لا تباغُض فيها ولا مشاحنة وأنها لا تستطيع أن تقضي تاريخها منشغلة بمهاترات اكليريكية . ولكننا نود أن نذهب إلى أن هذه الرعية واقفة في المرصاد لمن يحاول زرع الشقاق . لعلّها في وقفتها هذه تردّ رئيسها إلى الصواب . من يأبى أن يضع سيادته في خدمة المسيح زخماً إذا استمر في اتجاهه يهدِّد الكيان الارثوذكسي ؟ من يردّ المطران ابيفانيوس لنفرح بعودته ، لنضع الخاتم في يمينه ونذبح له العجل المسمَّن ، لنجعله إكليلاً على كل رأس ؟ من يعطينا أن يتجلّى المطران في وعظه ورسمه وشعره ؟ من يجعلنا نفخر به ؟

ولكن قبل كل ذلك من يهمنا ألا تبقى هذه السطور أومثيلاتها

أحدوثة مجالس ؟ أودّ هنا أن أعتقد أن الحارس سيبقى على محرسه فإن الليل قد ادلّهم وشبح الموت مقبل في وطأة مزعجة . من يضرب الأشباح لتكون هذه الطائفة له نشيداً يحلو وبهاء وجهه في إنطاكية جديدة ؟

**الأحد ٢٨ ايلول ١٩٦٩**

# المطارنة المنشقّون

أخيراً استفاق الروم ودخلوا في سبيل الجد . أخيراً قالوا بلسان بطريركهم والمجمع المقدس **لقد تبنا عن مسايرة الأشرار** . أراد هؤلاء لأنفسهم الشقاق فانزووا وعزلوا أنفسهم عن العائلة الواحـدة ، عن المعيّة الرسولية المباركة . لقد كشفوا ، بصورة صارخة ، أن الكنيسة كانت لهم عبثاً تسلية مراهقة . فإنهم ذهبوا عنا لأنهم لم يكونوا منا . فاليوم نتنفس . كنيسة تبقى بلا كابوسهم ، بلا تهديدهم ، حرة من الرهن إلى أعدائها . إنها الآن وعد بكارة هذه الكنيسـة التـي كانـوا يستبيحون . إنها الطمأنينة وارتجاء نور أن نعزل الخبيث من بيننا ( ١ كورنثوس ٥ : ١٣ ) . لقد أخذوا شقاقهم معهـم . تسربلـوه كخرقـة رثة . أحبوه ، من زمان ، كعفن منتن .

**لذا ينبغي أن نحلل فعلتهم ونفهم مداها بدل أن تصيبنا الصرعة بسبب ما افتعلوا** . فلا بد من التصدع . فتاريخ الكنيسة تصدعات ، ذهاب مع الهوى والقداسة نادرة . أجل الخطيئة هنا تحـز ، تدمـي . ولكن هذا الذي حدث لا يمس الشرف الارثـوذكسي . **فالاثـم قائـم ويتحمله صاحبه وحده** . المرتكب وحده يجب أن يخجل . والمرتكب

يمجّه الجسم . يكبه ليبقى الجسم نظيفاً سليماً .

الكنيسة دائماً يتسرَّب الفساد إليها . الذكي لا يبكي . إذا اكتشف الفساد ينقّي نفسه منه ، يبتر العضو الفاسد . الإنجيل ليس ليِّنا إزاء الغصن اليابس . يتكلم دوماً عنه كشيء لا بد من قطعه وإلقائه في النار . العثرة الكبرى ، المدوِّية لا أن يعصى أسقف أمر مجمع مقدس بل العثرة كلها أن نتفرج على من يُعيث فساداً . « إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك » ( متى ٥ : ٢٩ ) . شرط الطهارة في الكنيسة نار فيها تأكل المضادين .

« يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا . . . قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون . . . كتبت إليكم هذا عن الذين يضلونكم . . . والآن أيها الأولاد اثبتوا . . . المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه » . بهذه الكلمات أوصى يوحنا الرسول أن نقف إزاء المخالفين . فالمؤمن الارثوذكسي الآن تدعوه كنيسته أن يشدد ولاءه لها ، أن يقطع كل صلة مع الذين تمرّدوا فلا يصلّي معهم ولا يدخل إلى كنيسة يدخلون ولا يحضر صلاة يُذكرُ اسم واحد منهم فيها . والكاهن الذي من أبرشية أي منهم مضطر الطاعة الكهنوتية ألا يلفظ اسم واحد منهم في الخدمة الإلهية بل يقيم رئاسة البطريرك .

هذا ما حدّدته الرئاسة المسؤولة في الكنيسة الارثوذكسية بقيد الضمير .

في كل معيّة يتجمع المؤمنون حول الكاهن وهم معه كنيسة الرب إذا كانوا مع السلطة الرسولية المسؤولة . والمؤمن من جاهد الجهاد

الحسن حتى النهاية والمعلومات تُشير إلى **أن المؤمنين في حمص أخذوا بالإلتفاف حول الشرعية** وأن الارشمندريت اليكسي عبد الكريم المنتخب مطراناً شرعياً على حمص قَدَّم خضوعه للمجمع المقدس ونبذ المنفصلين . وقد سلَّم البطريرك مسؤولية الرعاية إلى أحد الكهنة ريثما يصل الراعي الصالح . والأخبار تفيد أن الأسقف أثناسيوس سكاف المنتخب مطراناً شرعياً على حماه واصِلٌ من المهجر إلينا اليوم ليلتحق بأبرشيته . الشعب الارثوذكسي في سوريا يحيا الآن نهضة روحية لا مثيل لها وكل شيء يشير إلى أنه يؤيِّد الكنيسة المقدسة تأييداً كبيراً . **اليوم ليس مثله يوم اتضحت فيه وحدة الكرسي الإنطاكي** . الارثوذكسيون في سوريا ولبنان كنيسة واحدة لا شيء يفرِّقها . **سيبقى المنفصلون وحدهم إلى أن يتوبوا** . ولا شيء أحب علينا من توبة لهم نصوح .

كل الأدلة تشير إلى أن الكنائس الارثوذكسية ستقف موقفاً أخوياً لدعم الشرعية. ولنا رجاء كبير أن تقف الكنائس المسيحية في هذه البلاد من الأزمة موقفاً شريفاً. المهم ألاّ نضطرب ، ألاّ نخشى الأقاويل. الشرفاء من كل دين ومذهب يقفون معنا. عدوتنا بلبلة الفكر وصديقنا الاطلاع وملازمة الوضع القانوني بهدوء وصفاء وحزم، بشجاعة القَصْد والقَوْل والعَمَل. الوقت الآن ليس وقت مفاضلة بين أشخاص، ليس للمقارنة بين ضعف هذا وضعف ذاك . هذه مجانبة للموضوع وإلهاء. العصاة يستغلون المتذمرين. ولكن لا مكانة الآن للتذمر . الوضع اليوم وضع التفاف حول الرسوليَّة. إنها قضية مبدأ، قضية صراع بين الذين يلازمون الشرِكة الكَنسيَّة والذين خرجوا عنها.

القضية أن نكون مع المسيح وجسده أو أنْ نكون مع الظلمة. إنها قضية كيان ومصير. **نحن أمام اختيار فإمّا أن تتطهر الكنيسة أو أن تبقى في مسايرة الأشرار.** وقد تطهر الكنيسة طويلاً إذا أبعدنا عنها روح الشغب والمماحكة وفككنا رهنها لأعدائها. الكنيسة إذ ذاك، متلألئة بنور ربها «ولن يدخلها شيء نجس ولا ما يصنع رجساً وكذباً» (رؤيا ٢١: ٢٧) ولن يكون فيها ليل.

**الأحد ١٢ تشرين الأول ١٩٦٩**

# المصالحة الكذوب

الأزمة الارثوذكسية تزداد حدة إذ يمعن الأساقفة الأربعة المتباعدون عن الشركة الكنسية ، في شر سيامات غير شرعيّة . وآخر ما أقدم عليه السيد ابيفانيوس وصحبه أنهم أقاموا أسقفاً لا يحمل شهادة لاهوتية على أبرشية البرازيل وراعيها حي يرزق . وبذلك أتوا بفعلتين تخالفان نصوصاً مقدسة ادَّعوا أنهم اجتمعوا في دمشق ( في اوتيل قطان ) للحفاظ عليها . **ذلك أن من منطق الشقاق أن يستفحل** . ومن النفوس من كانت انشقاقية الذوق والتاريخ . ولا بد لها أن تتمادى به لتُسرّ ولو فارق العليل بنتيجة ذلك .

هؤلاء ناس لا يأبهون لما سمّاه الرسول « وحدة الروح برباط السلام » . ومن انفصل عن الروح هذه فإنه كالغصن ييبس فيُؤخذ فيُطرح في النار فيشتعل . هذا ليس مني . إنه حكمة الكتاب الذي يجب أن يُعلَّى وحده لندرك به الصفاء ، رؤية الله في ظلمات التصدع . فرقة كانت عليها هذه النفوس الأسقفية ، فرقة حاصلة منذ زمن . وبقلم مرتعش وقلب دام أخشى أن يكون هؤلاء الأحبار قد ذهبوا في الضلال مذهباً بعيداً . أخشى تمرمر أرواحنا . أخشى الخصام وتشويههم

لسمعة أبناء لهم. وأنّى لهم أن يتنصلوا من مسؤولية من جعل هذه الكنيسة وكأنها من هذا الدهر فقط، شيء كمزرعة جهال؟

إزاء هذا التفتت يُداهمنا خطران : خطر الاشمئزاز وخطر المساومة . أما الاشمئزاز فليس موقف مناضلين . أيقرف الإنسان من أمّ له مريضة، أَمْ يداويها . أمّنا الكنيسة اليوم في محنة. نحن إلى جانبها ولو كان معذِّبوها مطارنة . وكنا نرجو أن يكون الرئيس أخلص الأبناء . إن مشهد السقوط ينبغي أن يزيدنا وعياً ونشاطاً وأن يجعلنا متأدبين بأدب الرب . التواري هنا خيانة .

أما الخطر الثاني فيتراءى في موقف إنسان يقول : هؤلاء مطارنة وأولئك مطارنة . يجب إزالة الخلاف بكل ثمن . فلنقبل ما حصل وليُعينَّ هذا الأسقف هنا وذاك هناك ولننْتهِ من هذه المهزلة !

موقف يُغري لأن الارثوذكسيين يخشون الفضيحة وملّوا الشقاق . ولكنه موقف غير أخلاقي ولا يحل المشكلة إذ أنه يبقي الفضائح في كنيسة تكون قد تجمَّعت على مساومة وشَهِدَتْ أنها لا تقبَل سيادة القانون ولا تميِّز بين المطيع والعاصي وأخذت بمنطق الانتهازية، كنيسة لا تعرف المسيح حقيقة، صاحب «سيف مرهف الحدَّين»(رؤيا ١ : ١٦) . المصالحة عندنا توبة متواضعة لا تراكم أجساد أسقفية . **الكنيسة لا قِبل لها بأعضاء لها يعيشون بالتهديد، يخرجون متى شاؤوا، ويعودون متى حلا لهم الرجوع وهَمُّهم أن يقضوا لِكُل ذي شهوة شهوته**

ليفرضوا أنفسهم في شيخوختهم وفي من يستخلفون ويركنون إلى سوابق التغاضي والتساهل لتبقى الكنيسة مزمنة العِلَل لا تطلُّع لها ولا إصلاح فيها. الكنيسة ليست كتلة يظل فيها إلى الأبد بالضرورة كل مولود فيها. إنها جسم حي يحيا بالمسيح ويفرز أعداءه. تعيش بِقَطع الأعضاء الميتة عن جذعها. إنها ليست مجرّد تجمع. إنها روح وحقيقة وانقياد لتوجيهات السماء. لا يتساوى فيها من صلّى ومن لا يصلّي، العارف والجاهل، اليقظ والنائم. إنها لا تستمر بالمفاوضات ولا يتصالح الناس فيها على كرامة كيانها وعلى ما ورثوه من الصالحات. «وأنتم الذين كانوا فيما مضى غرباء وأعداء بالفكر والأعمال السيِّئة، فها هوذا اليوم قد صالحكم في جسده البشري، إذ أسلمه إلى الموت، ليجعلكم في حضرته قديسين لا ينالكم عيب ولا لوم» (١ كولوسي ١: ٢١ و٢٢).

المصالحة تعني ارتداداً عن الذنب نقر به. وما عدا ذلك فهو من الشرير.

لقد انفجرت هذه الأزمة لأن كنيسة انطاكية لم تمقت الذنوب التي ظهرت فيها مقتاً كبيراً ولم تتخذ عبرة من المدرسة الانشقاقية التي تربعت فيها فارتضت ممن لا يصلّي زعامة وممن لم يتروض برياضة الرب سيادة. فإذا بالزعامة فيها والسيادة لغير المسيح. وقد أمهلها الله لتتوب فلما ظهرت فيها معالم توبة، وقد حرَّك الله شبيبتها إليه، أبى أهل الدمار أن يتوبوا هم عن أفعالهم. أبوا - وهم خارج الكنيسة من يستوحون - أن « تتنبه الكنيسة في هذه الديار وتنعش ما بقي لها من

الحياة المشرفة على الموت » ( رؤيا ٣ : ٢ ) . إنهم لا يريدون إنطـاكية جديدة تنزل علينا وكأنهـا « مائـدة من السماء تكون لنـا عيداً لأولنـا وآخرنا » . وقد زيَّنوا للناس أن الحركة الارثوذكسية حزب .

أجل إنها حزب المكافحين للجهل وانعدام الرعـاية ، حزب لا يردّ على الشتم المكتوب والمطبوع ، حزب الذين يَتَعَلَّمون ليعملـوا ، حزب قَدَّم للكنيسة خمسين كاهناً وراهبـاً وراهبـة ، حزب بعض من أعضائه أول من جعل للارثوذكسية حضوراً في الجامعات ، أول من يتابع تحصيل دكتوراه ، حزبُ إصدار الكتب الدينية وإنشـاء المكتبـة الدينية والمطبعة الدينية ، حزبٌ يقوم نشاطه كله على دراسة الإنجيل ، حزب بسببه بطلت الكنيسة الارثوذكسية الإنطـاكية أن تكون في هذه البلاد صحراء وجود وفي المحافل الدينية العالمية عيَّة.

**ساء السيد ابيفـانيوس وصحبـه أن يكون الشبـاب الإنطـاكي رافضاً للإنحطاط يدوم ، أن يرفض للهزيل أن يأتي بالهزيل** . السيد ابيفانيوس وصحبه تقلقهم التحدِّيات الروحية وفكر بنَّـاء مسـؤول . أصحاب هذه التحدّيات لا بد أن نسمّيهم حزباً . عنـد ذاك يخـاف الناس التزام النهضة ومرافقة النهضويين . عند ذاك يرتضون الهزالـة التي لا تُزعج أحداً في راحته أو منافعه أو شيء من دنيوياته . **ولكن يستفيق أولاده من جديد على عدم الرعاية ، على صحـراء الـروح . وكان بالإمكان أن نوفِّر على الناشئة الصاعدة هذه الأرزاء لو رحَّبنـا بالنهضة القائمة اليوم ولم نحاول إطفاء الروح .**

ما عدا ذلك كله قبول بالانحطاط وفلسفة الانحطاط وإرادة البقاء على ارثوذكسية ـ مزرعة . الذين يرفضون المزرعة عليهم أن يسيروا «سيرة جديرة بالرب. . . ترضيه كل الرضا» (كولوسي ١ : ١٠).

**الأحد ١٩ تشرين الأول ١٩٦٩**



# تطلعات حتى ارثوذكسية حمص

مساء الأربعاء، عَشِيَّة عيد القديسة بربارة قصدت صديقاً لأعزيه عن موت طفل . جال في خاطري قول شكسبير « إن في السماء والأرض أسراراً تعجز الفلسفة عن استيعابها » . ورجوت أن يفتقد الله صاحبي وزوجه حتى يعود إليهما الفرح بعد أن شاهدا أمامهما الوجود سافراً قاسياً . وفيما كنت خارجاً من الدار التقيت أطفالاً مقبلين إليها مقنَّعين . لم يعرفوا أن واحداً منهم قد مات . لم يعرفوا بمقتل الأطفال في فياتنام ولا في اورادور أو في دير ياسين . هؤلاء الصبية يأكلون القمح المسلوق والزبيب وفتيان سونغ مي أكلت لحومهم الرصاص . « صراخ سُمع في سونغ مي . بكاء ونحيب وتأبى الإنسانية أن تتعزَّى لأنهم زالوا عن الوجود » . كانوا حدثاً طارئاً في درس حضارة جيء بجنود ليلقِّنوه شعب فياتنام ، ستنتهي المشكلة باستنكار في مجلس الشيوخ الأميركي ، بمحاكمة عسكر وعلى الأكثر بمسيرة يذهب فيها أيضاً ضحايا . فصل ثان لإبادة هنود حمر .

لنا من كل هذا عبرة وهو أن الإنسان المهذَّب المدلَّل إذا حَمَّلته بندقية تُحوِّله بندقيته إلى وحش . لا فرق في ذلك بين من تعلَّم

الديموقراطية ومن تعلَّم النازيَّة . التعذيب شأن من شؤون الحرب . الحرب في سبيل أية عقيدة وكل حق سليب ، الحرب في سبيل أي إله تلد التعدي لأنها حبلى بزرع جنون . قد لا يكون من الكفاح مفر ولكن الإنسان يجب أن يختار القضية وأن يُسمح له برفض القتال إذا كان لا يؤمن بصواب الرأي الذي اتخذه المسؤولون في بلده . **الحرب ليست شهادة . الرفض وحده شهادة** . الحرب ، في أفضل الأحوال ، وباء لا تستطيع الهروب منه . **لا نقدر أن نكتب فلسفة العنف** . قد نضطر أحياناً إلى شره ولكن لا نفلسفه . عند اجتياحه نصمد في الصلاة ، نتوارى حتى يجوز ، نبكي إلى أن يطلع الفجر ، حتى يطل الحب من جديد .

***

سال دم فتى ارثوذكسي في حمص . أسفنا حتى العظام لما وقع . شاب ضمَّته رحمة الرب إليها آمن بقضية وذهب ضحيتها . ولكن الضحية الكبرى كانت وكالة رويتر . أو شاخت رصانتها لتذهب في التصوير والتأويل شططاً ولم تكلِّف نفسها عناء التدقيق بهوية المرجع الاكليريكي اللبناني الذي سَلَّم إليها الخبر وبأهوائه ومصالحه ؟ وكان من الجدير بصحف لبنانية إذا تكلمت عن شؤون تتعلق بإحدى طوائف هذا البلد ألاّ تتكلم عن اضطهاد ديني عندما لا تحس هذه الطائفة بشيء من هذا الاضطهاد . **والغريب أن يتبرَّع قوم في لبنان بالدفاع عن الطائفة الارثوذكسية في سوريا وهي لا تشعر بضرورة حماية ولم يسبق أن تبرَّع لها بها أحد** .

السؤال الذي لا بد منه، ليفهم المرء شيئاً عن الحادثة ، هو السؤال عن المحرِّضين. من كان وراء الديناميت والسلاح والقنابل والحجارة الموضوعة على سطح المطرانية؟ ضخامة الإستعداد المدني المسلح لمجابهة المطران الشرعي تتجاوز بكثير إمكانات جماعة من شباب الطائفة بعد أن ثبت أن عناصر غير ارثوذكسية من جهه وغير حمصية من جهة أخرى وغير سورية من جهة ثالثة تجمهرت للدفاع عن حق السيِّد غفرئيل فضول الذي وضعه في حمص فريق المطارنة «المنشقين» . **أمن ولاءٍ واحد يربط بين هذه العناصر غير الارثوذكسية والارثوذكسية ولمن هذا الولاء؟** وإذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أنها المحاولة الأخيرة اليائسة لفرض أساقفة يوالون فلسفة وعقيدة وتحزباً يأمرنا الإنصاف أن نقول إنها ضد الإيمان. ويكون التجمهر المدني المسلح الذي حصل في حمص اقتحام اللادين للدين في عقر داره ولو لبِسَت اللادينية ثوب كهنة واستعارت الحماسَ «لمطران» مُبَعد وسيلة لها.

**الحادث نتيجة تجمُّع اتخذ صيغة فتنة مسلحة أتى وحيها من تنظيم حزبي ونفَّذه أعضاء وأنصار منتسبون إلى طوائف وأقوام ولغات عديدة** . وكان من الواضح أن مبتغاه صد المطارنة الشرعيين عن دخول الكنيسة بالديناميت والسلاح والقنابل والحجارة . والديناميت والسلاح والقنابل والحجارة لم تكن لتغنيج المطارنة وكانت المبادرة بدغدغتهم أن زجاج سيارتهم حطمته الحجارة . فارتحلوا وكان ارتحالهم الفوري دليلاً واضحاً على أنهم لم يكونوا يتوقعون تجمعاً كان من شأنه أن يودي بحياتهم . وفي كل حال ليست الشرعية هي التي

أثارت الشباب وحمَّلته سلاحاً وتحالفتْ مع تنظيم حزبي ليس مشهوراً بأنه في خدمة الكنيسة . لا يمكن أن يكون السادة سماحة وإبيفانيوس وفضول وأشياعهم غافلين إلى هذا الحدّ عن طبيعة الحزبيين الذين تشيَّعوا لهم . **أيعني هذا أن من المطارنة والكهنة من أَلْحَدَ ؟ ليس لي أن أدين . هذا من أمر ربي . ولكن لي أن ألاحظ أن هؤلاء صاروا حلفاء موضوعيين لقوم لا يستحيي المدرك منهم أن يجاهر بإلحاده** . هؤلاء الملحدون أولاد عيال وكثيراً ما يستحقون كل تقدير وقد قدموا للجنس البشري خدمة في الفكر والعمل نجلُّها كل الإجلال ولنا منهم أصدقاء على مستوى شخصي . ولكن الدين عندهم خرافة وسخافة وأفيون . وأدنى الواجبات على الكنيسة الارثوذكسية أن تتطهَّر من نفوذهم فيها لو تسرَّب إليها هذا النفوذ بواسطة الاهتراء الاكليريكي .

ارثوذكسيو سوريا لا تشك سوريا بإخلاصهم وهم بغنى عن شفقة تأتيهم من خارج بلادهم . لقد عبَّرت أيضاً إذاعة إسرائيل عن شفقتها على أصحاب التجمع المسلح في حمص . **الشيء المهم أن ارثوذكسية سوريا كلها من حوران إلى حلب مروراً بدمشق ووادي النصارى وحماه واللاذقية ملتفة حول الشرعية وليس فيها خلاف شعبي ولم يخرج التمرد إلى أبعد من عواطف القلة من المطارنة ويكونون قد وَلَدوا الانشقاق سَقطاً** .

إن إطراح الطائفة الارثوذكسية لنزوات أفراد قلائل أثبتوا أن نفوذهم ليس في طائفتهم لدليل عافية . لقد حدثت عثرات ولا ريب . ولكن الجسم الذي لا عثرة فيه يخلو من الحيوية فلا ينتفض أو يخلو من رؤية معايبه وصدق نقدها فيصمت أو يتستر . لا مفر من الشكوك

ويبقى الذين يزكيهم ربهم . الكنيسة نور يشق طريقه إلى الأبد في مآسي التاريخ . الكنيسة جراح ، صرخة مبتهلة . الإنسان المخلص يجثو إلى جانب الجراح ويضمدها ويدرس درساً كثيراً مسؤولاً لئلا يحكم بخفة فيما يمس جوهر الحياة .

**الأحد ٧ كانون الأول ١٩٦٩**


www.christianlib.com

# الفصل الثاني

## الوحدة المسيحية



# إنسان اسمه يوحنا

« كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا » . آية الانجيل هذه اقتبسها البطريرك اثيناغوراس المسكوني لما تحدّث عن البابا الراحل . ذلك لان اسقف رومية العظيم كان ممهداً، كسميّه المعمدان، لسبل النور. والنور العتيد استعلانه هو رؤية الكنيسة المتوحدة في غمرات المحبة . وان آية هذه النفس السخيّة ، للانسانية جمعاء ، هو ان التواضع ذروة الكبر ، والبساطة آخر مراحل الفضيلة. وبهما امتاز بابا رومية في تلك السنوات القليلة التي قضاها على سدّة كان يحلم ان تكون على مستوى الارض .

انّ مَن عبر تعقد اللاهوت الى صفائه يكون قد جاز العلم الى المعرفة اليقينية الحاصلة في التأمل المبارك ، ثمرة للتطهر . ومن اشتهى ان يصبح بعد التمثيل الديبلوماسي ، كاهناً عادياً ، يكون من الذين عرفوا قصور الجهود البشرية دون العطاء الاكبر ، عطاء النفس في سماحة الاخلاص للناس اجمعين .

انسان ، اول ما فكّر به ، منذ اعتلائه الكرسي ، في عفوية ليس لها مثيل عند مسؤول ، ان يجمع شمل المسيحيين من اقصى الدنيا الى

---

بمناسبة وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين .

اقصاها ،انسان كهذا له من طيب العنصر ودماثة الخلق النصيب الوافر. وفوق كل ذلك تنطلق الكثلكة من انطوائيتها التقليدية الى السبق في الانفتاح . الا يشير هذا الى ان تأثير الرجل كان بحيث ان جـــاذبيته الشخصية فعلت في المسيحية الغربية ما لم تفعله قرون ومكنت ما لم يكن ممكناً قبله وجعلتنا نؤمن ان الذي كان في الماضي ، في مجال التقارب ، من جهة الكثلكة ، كلاماً مهذباً ،صار اليوم حقيقة في النفوس وحركة في القلوب صادقة .

ثم هذا الراعي الصالح ينتبه الى كل التيّارات الخـّيرة في كنيسته ، المحبة للانسان ، الواسعة حتى حدود البشريّة قاطبة ، ويلملمها في بودقة المجمع . كنيسة فيها من القوى المتصارعة طاقات كبيرة : المحـــافظة الشديدة والتصلـّب العقائدي والتخلـّف الفكري من جهة وفيها شعلة الروح وحيوية الخلق وكثافة القداسة وفيها الطمع بلقاء كل ما هو انساني . كيف يؤتى بالمتجمّدين الى التعبير الجديد والاساليب الحديثة وكيف تفيد الرعاية من هذه الدعوى التجددية ؟ كل ذلك كان يتطلب حكمة لتعهّد دعاة التقدم والوجلين معاً مع نظرة محبّة لكل من هو غير لاتيني وغير كاثوليكي وغير مسيحي وغير الهي .

كنـّا امام الكثلكة نغبط الحركات الفكرية والروحية النابعة من النهضة فيها . وكانت النهضة رجوعاً الى الكتاب المقـدس والى الآباء الاقدمين. أي ان النهضوية الكاثوليكية ،في فرنسا والمانيا على الاخص، كانت اشتراكاً مع كلّ ما هو أصيل في الارثوذكسية مـــن جهة وفي البروتستنتية من جهة اخرى . ولكنـّا ما كنا نحس ان رومية متبنية لهذا التيار حتى جاء يوحنا الثالث والعشرون واراد ان يجمع اطـراف الدنيا الكاثوليكية الى قلبها . واذا بمجمع الفاتيكان الثاني يتيح المجـال للجهر بما كان كامناً في الصدور ولرفع المشاكل الفكرية والرعائية الى

المستوى الرسمي. فأكتشف المسيحيون، بفضله، ان المشاركة في الخيرات الروحية ممكنة بينهم جميعاً وآمنوا ان اسلوب الطغيان المذهبي آخذ بالزوال وان العهد الذي دشّنه البابا يوحنا عهد بساطة ووداعة ، عهد انجيلي النفحة ، ينحو نحو التراث الاصيل ويتطلّع الى مصالحة كبرى ، بين الشرق والغرب ، في المسيح .

ولا ريب ايضاً انه، للمرة الاولى في التاريخ ، تخرج البابوية على الروح الصليبية فلا هجومية ضدّ احد بل اقرار الحقيقة والتعبير عنها ، بعمق وايجابيّة ، فتواجه كل قضية لبنيان الكنيسة وخير الانسان عموماً ، لا دفاعاً ولا نقضاً .

وحتى يقوم البناء يجب التخلص من كل ما هو بالٍ ، من كل تعلّقات زمنية سياسية ، من كل تلازم لطبقة او حضارة . فالمسيحية لا شرقية ولا غربية بل حرية ودعوة صابرة . لقد أبان يوحنا الثالث والعشرون ان الدين يمكن الاّ يكون تزمتا ولا تخلفا ولا رجعية ولا غيبية بل هو حقيقة فاعلة ومحبة وتقدميّة بالرغم من المأساة وأصالة انسانية وتماس لكل ما هو خير وحق وجليل .

يوحنا في ذمة الله وعلى صفحات الخلود . ما نرجوه الى الله ان يقيم له خلفا يقتفي عفته وتواضعه وبساطته لعزاء الاكثرين .

ان يوحنا الروماني كان حدثا في القرن العشرين لانـّه كان حقيقيا كالانجيل وجديدا كثورة .

الاحد ٩ حزيران ١٩٦٣



# أسبوع الوحدة

اليوم تشرع كنائس كثيرة في الصلاة من اجل اتحادها . لقدعم هذا التوق النصرانية كلها ولكن جمال الاسبوع في انه يكشف رغبة التضامن والتقارب في جو من الابتهال وكأنه يحقق ، في فترات قصيرة ، وحدة المؤمن بالمسيح. وقد اخذ هؤلاء ، بتدرج بطيء، يشعرون بعقم الاساليب الجدلية وأذى التوسع على حساب الإخوة ودخلوا في نهج الحوار الذي يعني اولاً تحسس ما عند الغير من ثروات هي من الينبوع الوحيد .وهذا التحسس يفترض الاصغاء والتواضع وطول الاناة لكي اكتسب كل الحقيقة التي عند اخي واعود معه الى المناهل الواحدة . ابني اللاهوت المسيحي معه لا ضده . نحمل معاً على اكتافنا اوزار الدنيا . هذه المعية سميتها نهجاً ولكنها اكثر من ذلك بكثير . هي الدرب وغاية الدرب وتفرض علي بالنتيجة ان ابحث عما يجمع بيننا ، ان اتساءل اذا كانت الفروق بالحقيقة فروقاً ام اختلاف تعابير وعند ذلك ان كان بالامكان ان تتكامل التعابير .التساؤل قرين السعي وكلاهما عملية شاقة طويلة لان الغيرة بدون المعرفة لا تخلص .

لذلك كنا امام عثرتين عثرة التسرع التي يتسم بها الغيورون وعثرة التباطؤ التي يقف عندها الحيارى . فالخطر محدق بنا من جهة الذين لا

يكترثون للالهيات ويكتفون بوحدة عملية لا بد ان تنفصم ولنا في التاريخ على ذلك شهادة مريرة. العناق وحده لا يحل المشكلة . ومن جهة اخرى من الخطل ان نحسب انه سيأتي يوم يذلل فيه اللاهوتيون المتهنون ، بقوة التأمل الفكري ، كل العقبات . يجب ان نحيا معاً ونتحادث ونبتهل معاً للاله الواحد وهو الذي يزيل عثرات الفكر والعيش في يوم يرتضيه .

لا بد ان يكون الاسبوع الذي ندشن اجمل من كل ما سبقه لان الشرق والغرب المسيحيين أعربا، في اورشليم، عن توقهما الى قبلة العرس. لقد حُفر هذا في قلب الله ولا يستطيع بولس السادس فيما بعد ، والارثوذكسية على خديه ، الا ان يراها كريمة في عينيه ، سليلةَ قداسةٍ عبر اجيال وفكر انقدح ولا اعمق . وعندما ستعلن رومية، في الدورة الثالثة لجمعها ، ايمانها بحرية الفكر ، لن تبقى ، في اعين الروم، منطلقاً صليبياً . لما عاينت ، على شاشة التلفزيون ، إمام احبار الكثلكة يسير على قدميه ، في زحمة جموع مضيافة ، قلت في نفسي اولاً : انه صار انساناً مثلنا وقلت ثانيا: للمرة الاولى يرى الاسقف الروماني ان طريقتنا للتعبير عن القربى غير الطريق التي عهدها . ولعل هذا كان اهم ما في حجه . مسيحيو الشرق أمسوا ، بالنسبة اليه ، ناساً من لحم ودم ، ماشاهم على طريق الجلجلة .

الاحد ١٩ كانون الثاني ١٩٦٤

# الشرق والغرب في رومة

قال توينبي : الغرب هو المتعدّي الامثل . ما صح في السياسة صحّ ايضاً ، الى حدّ بعيد ، في معالجة الكنيسة الغربية لشؤون الشرق المسيحي وذلك على توالي العصور . يدرك اليوم ذلك المجمع الروماني كما يدرك خطايا السلف الى البروتستانت ويستغفر. هنا الكنيسة الكاثوليكية في أعظم مظهر رسمي لها ، تتوب وتتواضع . تتخذ موقفاً جديداً كان الانجيليون يعتبرونه شرطاً اساسياً من شروط اللقاء ، ولعلها فهمت ان القلب هو اقصر طريق من العقل الى العقل .

ايضاً يعترف الآباء بأن للشرق تراثاً روحياً ولاهوتياً وطقسياً وتنظيماً هو من صلب رسولية الكنيسة وجامعيّتها. هذا التأكيد ليس بجديد ولكن من شأنه ان يثير قضية التنوع ليس فقط في نظم الادارة بل في مضمون التعليم اللاهوتي واسلوبه . هل يعني هذا ان هناك مكانة فعلية وشرعية لغير اللاهوت السائد حالياً في الغرب ، لا شك ان الكثلكة بتقبّلها المبدئي لتعدد الطرق الفكرية والادارية جعلت نفسها في موقف دقيق بحيث لا تستطيع ان تتهرّب – اذا جدت فيما قالته – من التساؤل حول امكان التوفيق بين التقليد الغربي والتقليد الشرقي .

اما موقف الارثوذكسيين ، على العموم ، فاكثر تحفظاً لان التقليد الغربي الخاص لا يزال عندهم في موضع الشك. وما سُمّي بالتراث الشرقي هو التراث . ومفهوم الارثوذكسية لطبيعة الكنيسة ونظامها ترى انه هو الايمان ولا تراه جزءاً من ميراث أوسع . وتناول القربان عندها لا يصح الا مع الذين استقامت اراؤهم في كل مجال الايمان بل المناولة هي التعبير الابهى عن وحدة الايمان . ولذلك من المرتقَب ان تستقبل الاوساط الارثوذكسية بقليل من الحماس قـرار الفاتيكان الداعي الى المشاركة بالاسرار . وما جاءت الوكالات به ان هذه المشاركة بالاسرار ستُسمح في بعض الظروف يعني —على الاقل— ان الكثلكة لا تقر حتى اليوم الاباحة الكاملة لتبادل المناولة بين الكنيستين. ما هي هذه الظروف وما هي حدود الاباحة او حدود التحريم ؟ هذا ما سنعرفه قريباً. فاذا لم تقبل الكنيسة الشرقية الحدود تكون الكثلكة قد كسبت ، عند العامة ، صيت كنيسة متسامحة . وهـذا له اثره الكبير في استعطاف الناس على مواقفها . ومن الطبيعي ، عند ذاك ، ان تُحدِثَ الخطوة التي اتخذتها الكثلكة منفردة ، رد فعل سلبي في الكنائس الارثوذكسية . قد تظن هذه الكنائس ، عن خطأ او صواب ، ان الهدف من هـذا التدبير ، في الكنيسة الغربية ، هو استقطاب الشرقيين وانه صورة جديدة من محاولات دمجهم بها ، الامر الذي يدعونا الى الاعتقاد بأن كل عرض من طرف واحد يجب ان يقابله الرضى من الطرف الآخر حتى يكون ذا اثر . أليس ان كل القضايا المتفرّعة من السعي الوحدوي لا يمكن ان تُبحث بجدوى الا في مجمع مسكوني حقاً يضم ممثّلين عن كل الكنائس .

المفارقة في مجمع الفاتيكان أنّه، في نقاط ينوي فيها اللقاء لا يتوصل الى اللقاء، ذلك ان الغربي لن يتحد بالشرقي ما لم يجلس احدهما مع الآخر تحت سقف واحد ويقرّا معاً ما يفرّق بينهما وما يجمع .

الاحد ١١ تشرين الاول ١٩٦٤

# الفاتيكان فى طريق الفقر

مما اشترطه البابا بولس لذهابه الى الهند ان يكون لباسه بسيطاً على نحو غاندي . ان الكثلكة تريد ان تزيل عن نفسها عار الغنى وقد عرفت ان مداراتها لاصحابه كان من أقسى الضربات عليها . ومن ابلغ ما قيل مؤخراً ، في هذا الصدد ، قول احد خبراء المجمع الاب هيرنغ : « ان الفقر واجب ادبي صارم على الاساقفة . فلاتخاذهم كمال الكهنوت ميزتهم الفقر الكامل . هذا واجب كلي عليهم لئلا يخفق المجمع . » وقال اسقف من البرازيل بصراحة مذهلة « نحن منقطعون عن المساكين بحيث اظل غريباً عنهم ولو حاولت ان اصبح فقيراً واذهب اليهم ، فكاني آت اليهم من عالم آخر . ينبغي ان تكون ثمة لجنة يحضر اليها من يشاء ليقول لنا كل ما يريد لاننا لا نعرف حقاً ما يقول الناس بنا . »

كلمات كهذه ، اذا صارت نهجاً ، تنقذ العالم . الفقر وحده ينقذ العالم . والتخلي عنه في الكساء والمسكن والعبادة يغذي الميول الدنيوية وينشىء الانتفاخ الذي يحول دون رؤية الله .

لم تسلم الكنائس الشرقية من هذه التجربة . وقد خدعها ظنها بأن

هذه الامجاد انما هي تؤول الى الجماعــة لا الى الاسقف الذي يحملها على كتفيه وقد يكون اصلا من الرهبان الوديعين. ولكن من قال لكنائس الشرق ان تحمل مجداً ؟ أليست الكنيسة جسد المسيح ، ذلك الجسد الذبيح العاري ؟ اما كان يسوع شريد الجليل وفي اورشليم ضجيع التراب ؟ كيف تكون الكنيسة اذكى مـــن معلمها وكأن سبيلها الى القيامة غير ما سلك ؟ واذا كانت هي فاعلة على قدر تشبهها بالسيد فلماذا تختار وسائل في الفعالية هي ابعدها عن الهدف وانقصها حكمة؟ثم هذا الاسلوب جعل الكنيسة ظرف خطيئة مباشراً لقادتها وكأنما الانسان معرض الى الترف كلما ارتقى في المسؤولية فيها . ان من صــار اسقفاً مسيحياً يجب ان يصبح ربيب الاغنياء وسميرهم . لا يحق له ان يشتهي المرقَّعة ويجب ان يتجاوز بساطة الراهب الذي كان. لا يحق له ان يكون انجيلي السيرة على هذا الصعيد . يريدونه محاطاً بالارجـــوان والحرير والذهب الخالص وان يعـبُرَ بها جميعاً ليتباهوا بهذا الذي يفسده السوس. اما ماذا يبقى ، عند رئيسهم ، من تواضع وزهد واحتقار لما يملكون ، لكي ينير بها سبيلهم الى الخلاص ، فليس هذا همهم . وكيف لا يكون ناعم العيش ، ولو اسقفاً ، غريراً ؟ وكيف يتزعمُ الزعماء طائفة لا يكون فيها الرئيس على صورتهم ومثالهم حاذقاً في امـــور الدنيا ؟ والعظماء جوادون بالرزق ، قيمون على الجاه ، يستمد الانسان منهم وجوداً بعد وقوعه في الاغراء وخلاء نفسه من الحب الالهي .

ان تكون الجماعة المؤمنة فقيرة من حيث هي جماعة ، يستند فيها الاحسان على هبة العامل ، كل عامل لا على الغني رئيسياً لكي يبقى الفضل لقداسة العمل وخفية العطاء ، ان تنفق من مال الاحياء اولاً لا

من الاوقاف لئلا يعرقل الموتى سعي اهل الارض ويمسي سخاء الراحلين ذريعة للبخلاء ، هذه بعض من مبادىء لكل طائفة دينية عرفت نفسها قافلة مشدودة الاحقاء في مضي مستمر .

الاحد ٨ تشرين الثاني ١٩٦٤



# وحدة وخلوص نية

من الكنائس من يصلي كل يوم لوحدة المسيحيين . ومنها من اتخذ الاسبوع الواقع بين الـ ١٨ والـ ٢٥ من هذا الشهر فترة ابتهال متواصل من أجلها. ان تكون الصلاة مرتكز هذه الرغبة الوحدوية يعني ان الانسان طرح القضية بين يدي ربّه وانه يرجو الى الاله الاحد ان يجعل ، في العقول والحياة ، وحدة تعكس وحدانيته وتطلق في الارض رسالته .

بيد ان الصلاة لقاء مع الآخر كآخر اي كما سمح الله ان يكون . لقاء معه في بيئته الدينية ، مع تاريخه واخوته . ان ألقاه حيث يجب ان يكون حيث ينتعش روحياً ، ان ألازمه صامتاً ، غير موبخ وغير لائم . الخيوط التي تربطه بقديمه وجماعته اساسية لي لفهمه وخدمته . هناك يستطيع ان يتقدس لانه حيث ينادى باسم المسيح فللمسيح حضور مبارك .

لا يمكنني ان اتصل بفرد من طائفة اخرى اتصالاً وجدانياً وفي خلوص نية الا اذا احببت طائفته . والمحبة ممكنة في الاختلاف. وماذا تعني رغبتي في ضمّ الناس الى طائفتي سوى ان تبرير وجودي هو في هذا الامتداد العددي وباعتقادي ان القوة العددية هي ، بالنهاية ، الغالبة ؟ والحق ان الطائفة الاخرى ، ان بقي منها واحد فقط في الوجود ،

فمشكلة قائمة بالعمق نفسه الذي تقوم فيه المشكلة لو كانت طائفته مؤلفة من ملايين . الانسان الذي يبتغي امتصاص الآخرين كائن يأبى الحوار ويأباه لانه غير اهل له . هو انسان منغلق ،يتحدّى بعقمه. والطغيان، في هذه الامور ، اشد انواع الطغيان ويزيل كل صفة روحية ، بالنهاية ، عن صاحبه .

هذا يفرض اني لا استطيع ان اتولى شؤون عباد اهمل اولياؤهم رعايتهم . هذ الاهمال ليس مبرراً لاخرجهم عن عقيدتهم . هذا يفرض ايضاً اني لا احاول التأثير على قاصري الادراك لاحوّلهم عن معتقدهم. النضوج وحده يحاور . وهذا يتطلّب اخيراً الا استغل ضعفاً مادياً او ادبياً لأبث دعوة وان يكون عطائي دوماً سخياً،غير مشروط .عندما استثمر الضعيف لاردّه عن مذهبه اكون محتقراً له ولمبدأ سيادة الضمير. الاكراه في الدين هو ايضاً الاكراه المعنوي .

لا سعي الى الوحدة ولا صلاة صادقة من أجلها ما لم نقلع عن النهج التوسعي على حساب فريق من الكنائس المسيحية . ان ننمو معاً الى الوحدة دون افتعال المآسي الفردية وتخديش جسد المسيح الواحد بها ، ان نسير معاً ، ولو بطيئاً ، الى الهدف الواحد ، ان ننتظر المتخلفين عن الركب بصبر ، هذه بديهيات الجهد التقاربي الذي نحيا في بركات الهامه اليوم .

الاحد ٢٤ كانون الثاني ١٩٦٥

# الحرم المرفوع

انفصال السنة الـ ١٠٥٤، وهو التاريخ الاصطلاحي لانقسام الشرق والغرب المسيحيين، كان في البدء قطعاً للشركة الكنسية بين القسطنطينية ورومية . على مستوى القانون الكنسي ، الكرسي الروماني والكرسي المسكوني هما المعنيان في الامر . الحرم الذي تراشقا به يستطيعان وحدهما ان يرفعاه .

امام حدث له هذا المبلغ من الخطورة ينبغي الا يحول الحماس ، أياً كان اتجاهه ، دون التفهم الصحيح لبلاغ هو غاية في الوضوح . ينبغي ان نعي ما لم يأت التصريح عليه . انه لم يقل ان الخلاف بين الشرق والغرب في العقيدة او التعليم قد زال . أنه لم يذكر ان الارثوذكس والكاثوليك هم على ابواب المشاركه في الاسرار . ما قررته رومية لمؤمنيها ، بهذا الصدد ، يربطها وحدها . لقد حذرت الوثيقة من كل تفسير متجاوز . انها ، والحق ، ابلغ وأوجز من تلك الوثائق التي تحدث فيها مجمع الفاتيكان ، على انفراد ، عن الارثوذكسية . أليس هذا البلاغ ، بحد نفسه ، البرهان على ان كل حديث عن الآخر، ليس الآخر حاضراً فيه، ناقص كيانياً ؟

ما لم يقله بولس واثيناغوراس هو انهما يرفضان كل موقف لا حق اتخذته كنيستاهما فيما بعد الانشقاق تجاه الآخر على الصعيد اللاهوتي او الطقوسي او القانوني (على مقدار ما لكل شيء في الكنيسة مع الالهيات من تماس) . نحن لسنا بعد على عتبة الاتحاد . الحواجز التي تحول دونه لا تزال ضخمة . ولكن لو جاء رفع الحرم مثلاً قبل تحديد رئاسة البابا على الكنيسة الجامعة وقبل اعلان عصمته لكان من السهل نسبياً ان يعني الوحدة التامة .

ماذا قال الحبران العظيمان اذن صراحة ؟ قالا : ان النعمة تدفع اليوم الكنيستين الى تجاوز الفروق لتصبحا من جديد « واحدا » . اعترافهما بأن الكنيستين هما في حركة النعمة يفيد ان كلا منهما يؤكد الطابع الكنسي عند الآخر . ويعد تعليلات تاريخية تحمل، بطبيعة الوثيقة طابع التعميم ( غير ان الكنائس ليست صفوفاً في التاريخ )، يؤكد البطريركان الاولان في النصرانية اولوية المحبة التي لولاها لما ارتضى الله ذبيحة . اكدا عزمهما ان ينهجا نهج الحب ورأيا ان للتوبة الصادقة وتنقية القلوب فعلاً حاسماً في أيجاد الفهم الصحيح والتعبير المشترك عن الايمان الرسولي . هذا موقف انجيلي صميمي يتحسسه الانسان الحديث الذي لا يفرق الصيغة الايمانية عن الوجود . ولعل من أهم ما قالاه ان هاجسهما الوحيد ، فيما يبتغيان، « تحقيق ملكوت الله في شركة الايمان الكاملة والوئام الاخوي وحياه الاسرار » .

هذا ما قالاه صراحة ولعل ما ليس دونه اهمية هو ما جاء ضمناً . هنا بولس السادس لا ينعطف ولا يتنازل ولا يضم احداً بين ذراعيه الابويتين ولا يمنح الشرقيين شهادات في كرامة طقوسهم وورعهم . بولس السادس يتصرف تجاه اثيناغوراس ، في الصياغة والروح ، كأخ . هذا

جديد كلياً من تسعمئة سنة . هذا ليس من التراث الروماني الذي الفناه منذ مطلع الالف الثاني . المؤمن لا يستطيع الا ان يقول ، في مبرة الخشوع ، انه كلام قذفه الله في قلب كل من عبديه . الا تبارك اسم الله من الآن والى الدهر .

الاحد ١٢ كانون الاول ١٩٦٥



# زيارة البابا

قد يكون المعنى السياسي لحج الأسقف الروماني ثانوياً أو غير ما أشارت إليه بعض من الصحف . ولكن يعسر أن نجرده من كل مغزى سياسي والكثلكة بعيدة عن أن تتقلص زمنياً لتعود إلى العهد الذي كانت عليه النصرانية قبل قسطنطين حيث كانت عارية عن كل سلطان خارجي . هذا يتطلب من الفاتيكان التخلي عن كونه دولة ذات تراث ديبلوماسي عريق . ان شيئاً من هذا لم تهيىء له نصوص المجمع الحالي . وانه لأمر يقتضي تنزها عن الدنيا خارقا وتواضعا يعنيان أننا من الوحدة على قاب قوسين أو أدنى .

الإحتفاء الرسمي بالضيف الكبير وبضع مئات من الصحفيين وإنشغال الدنيا بالحدث تنبىء عن اننا بعيدون عن إعتبار هذا الحج عودة إلى البساطة وهي قرينة الخفاء والفقر وتحقيقها يفترض الرجوع الواقعي إلى ما قبل قسطنطين . إنه حلم لم يمر بخاطر معظم المسؤولين عن الكنائس المسيحية . نية قداسة البابا الشخصية « للصلاة والتوبة والتجدد » لا تحجب

ملوكيته . وهذه شاء البرنامج أن يؤكدها بنوع خاص ابتداء من قرية بيت عنيا التي انطلق منها السيد إلى آلامه راكباً على جحش ابن آتان . ان حج الملوك لعسير .

ومع ذلك قد تؤتي هذه الزيارة العالم كله ثمارا سيكشفها لنا الزمان المقبل . ولذلك كان من الباطل أن نفرح قبل الأوان وكأننا نستطيع أن ندرك معاني الأحداث قبل أن تكون . المعنى الوحيد الذي نقدر أن نتحدث عنه دون تكهن هو أن البابا بولس ذاهب للإبتهال والتبرك . من أجل هذا وحده يجب أن يدعو المؤمنون ، لأن تقدم الحبر الروماني في معارج الحياة الروحية من أعظم الأمور التي تهمنا بالنظر للسلطة الشخصية غير المحدودة التي يتمتع بها في كنيسته . كنيسةٌ كهذه ، الباباوات القديسون ينقذونها وينقذون ، بسبب طاقاتها الكبرى، الدنيا المسيحية بأسرها .

سوف يؤكد البابا امرين السلام والاتحاد المسيحي . ان إستعماله للفظة « فلسطين » في الخطاب الإختتامي لمجمع الفاتيكان يمكن تفسيره بأنه استخدم اللفظة المحببة للعرب وانه لم يعترف بالتالي بتجزئة الأرض المقدسة . ومن الواضح أن العالم لا تكفيه مجرد دعوة كلامية إلى السلام لأنه ملّ العبارات ولأن نبياً عبرانياً علمه أن اللفظة يمكن أن تكون ذات غير مدلول لما قال : « يقولون سلام سلام وليس سلام » . ان قداسة البابا عنده من المراس البشري والحكمة الإنجيلية لكي لا تتحمل دعوته ما يمكن تأويله بأنه حياد عن طرح قضية العدل بغية فرض وصاية طائفية على القدس .

أما فيما يختص بقضية التقارب المسيحي فقد صرح قداسته

بأنه « سيقدم للمسيح كنيسته الوحيدة المقدسة ويدعو إليها الأخوة المنفصلين » . كان من المنتظر أن يتحفظ « الأخوة المنفصلون » الذين اغتبطوا بمجيئه دون هذه العبارة .وإذا كان النعت ينعت المنعوت فالعبارة « الأخوة المنفصلون » تؤكد الإنفصال أكثر مما تؤكد الأخوّة . قد لا يكون من المفيد كثيراً، في نطاق التقارب ، أن يحمل البابا نفسه مشاق السفر بعد تسعمئة سنة من مقاطعة الشرقيين ليقول لهم ، في عقر دارهم ، انهم منفصلون كأنه يلقنهم من جديد درساً في تاريخ الإنشقاق . أن يعانق بطريرك الغرب أخاه في المسيح بطريرك أورشليم الأصيل عند مدخل كنيسة القيامة نصف الطريق إلى الإتحاد . المسيحية الكاثوليكية والمسيحية غير الكاثوليكية فمان بحاجة إلى قبلة . تكون رومية عند ذاك ، ومعها العالم المسيحي بأسره ، قد عادت إلى عهد الشهادة .

الأحد ٢٢ كانون الأول ١٩٦٣



# عثرات الوحدة المسيحية

من أبرز التيارات اليوم ، في الدنيا المسيحية ، موجة وحدوية عارمة كلَّفت جهوداً فكرية وابتهالات ودموعاً وتبتلاً . ولكنها ـ ككل حركة روحية ـ تحدق بها الأخطار لأن الشر الخفي في النفوس قادر على خنقها، وقد تموت لافراط الحماس لها ونفاذ الصبر عند دُعاتها وتعصب لها لا مثيل له إلَّا التعصب ضدها . وقد تتلاشى بسبب من هذا الكسل العقلي الذي يجعل الغيورين عليها غير مدركين للمصاعب اللاهوتية التي تعترض تحقيقها .

المتحمسون الفاهمون طليعة عزيزة . وأمّا الكثرة الساحقة فقال عن أمثالهم الرسول : « يشهد الله أن لهم غيرة دون معرفة » . وتجربة الطليعة في الماضي أنها كانت تنادي ولم يكن صوت لمن كانت تنادي . وتجربتها اليوم أن تساير الجاهلين لحقيقة الأمور وتحتسب أنهم أدركوا ما هي أدركت وهم لم يصلوا فعلاً إلَّا للفظة الوحدة أو إلى مضمون سطحي جداً وغامض لها فتكون الطليعة والجمهرة غير ساعيتين إلى هدف واحد . ومن مظاهر هذا التبلبل بالفهم أن العامة أخذت تقول : « صرنا واحداً » والأمر لا يزال مجرّد حلم . وما تحقق في سبيل

التقارب قليل قليل وكله كلام من طرف واحد وإصلاح داخلي من طرف واحد . والتقارب يتم بين كنيسة وكنيسة تلتقيان على صعيد المساواة وليس هو مجرَّد مطارحة غرام من جانب واحد . وأما اللقاءات التي تمت بين قداسة البابا بولس وقداسة البطريرك أثيناغوراس ، شخصياً وكتابة ، ومنها رفع الحرم بين كرسييهما فما هي إلَّا رغبات أخوية طيِّبة . ولكنها ليست سوى رموز لوحدة لما تتحقق ولا سيّما أن البطريرك المسكوني لا يرئس الكنائس الارثوذكسية لأن الأمر بينها شورى .

ينبغي أن نعرف ذلك لئلَّا تصطدم أمانينا بواقع ليس وحدوياً بعد وقد ننتظر طويلاً . ولا ينفع المؤمنين أمل كهذا إذ قد ينقلبون على رؤسائهم الروحيين ويحتسبون أنهم خُدعوا . وقد بلغت العامة في كل الكنائس رشدها . فالحماس يجب أن يطابق الاحقاق الوحدوي لئلَّا يكون خالي الحكمة ، خالياً من الإنصاف ، خالياً من الإلهية .

ثم إن كان هناك من وحدة فعلى الصعيد المحلّي ينبغي أن نتوق إليها . وهذا يعني أن الطلائع الروحية الفكرية يجب أن تتأنى قبل كل شيء على المؤخرة . فصاحب الآفاق الضيِّقة خليق بنا أن نخضع له جناح الذل برحمة وأن نرجو ارتقاءه صابرين لئلَّا تجرح إيمانه معرفة العارفين . فالوحدة قبل أن تتم بين كنيسة وكنيسة يجب أن تتم بين أبناء الكنيسة الواحدة . فنحن لا نستطيع أن ندفع ثمن الوحدة الداخلية في كل مذهب ، طليعية هوجاء . نحن لا نعمل لتلاقي طلائع وطلائع بل مؤمنين بسطاء من كل الكنائس .

وينتج عن هذا أمران : الصدق في المعاملة وقداسة الحياة . أما الصدق فيفرض أن نستشير الكنيسة الأخرى في كل أمر يعني لبنائها وألّا نحرجها إحراجاً بتدابير ظنناها معجِّلة للتلاقي وتراها هي غير منسجمة مع لاهوتها . الصدق يعني أننا لا نستطيع أن نفكر عوضاً عن الآخرين ونفرض فيهم التبعية . إنه يعني ألّا نغرق الحوار الصميمي في غمرة من المحبة كلامية . والحب الطاهر يجلله حياء الصمت ورعاية المحبوب في دقائق شعوره .

وفي كل حال تركيز كل المساعي على الوحدة أمر غير طبيعي في حياة الكنيسة . فالوحدة مع السلف الصالح أعني الولاء للحقيقة لا تقل أهمية عن الوحدة مع المعاصرين . ثم لا معنى لوحدة لا تأتي ثمرة للقداسة ناضجة . فنقاوة القلب بالتواضع الحق والمحبة التي لا رياء فيها ، هي الطريق المُثلى نحو الوحدة لأن « من اتّحد بالرب فقد صار روحاً واحداً معه » وفيه التقى مع أعزة الله أجمعين .

**الأحد ١٧ نيسان ١٩٦٦**



# الوحدة الحقيقية

الإنسان لا يقول الحق إلَّا إذا صنعه ، إذا كان هو الحق أو كاد يكون. إقصاء الكذب، كل الكذب من القلب لمواجهةٍ بين اتباع المسيح لا عكَرَ فيها، متواضعة كالصلاة، متحدية كالنبوة، هذه هي الخبرة التي يدعونا إليها أسبوع الصلاة من أجل الوحدة، ذاك الذي نَستهلّ بعد أيام معدودة.

وفي تداعي البنيان الديني ، هنا وثمة ، تبدو لنا رغبة الوحدة نزراً يسيراً . الناس لا تعيش بالأشواق . الشوق ، إن لم يتحوَّل إلى تحقيق ، مخدِّر كالسراب ، ملهاة اكليروسية فاغتراب عن جسد المسيح فإقرار لبقائه ممزَّقاً نازفاً .

ونحن في اشتياق ممدود إن تَشَدَّقنا بالمحبة وأفرَطْنا في اللياقات اللفظية وتقاربية تتمسرح لتوهم الرعية أننا من الوحدة على قاب قوسين أو أدنى. المحبة، أبهى حقائق الله وأفْعَلُها، هذه التي غزت وحدها التاريخ، جعلناها كلمة تزني لما أردناها أن تُغطّي الإساءة حيناً واللافعل أحياناً. كلمة بربِّكم لا تستعملوها في أسبوع الوحدة لئلَّا

تنرفز . اللغط في المحبة يعني أننا لا نزال نراهق في مسكونيتنا كأننا نحب الحب والتحدث عنه . يقضي النضوج أن نتحوَّل من التعشق إلى أن نبني معاً عائلة الآب في الأرض . وعلى مستوى الكلمة أن نتطارحَ الإنجيل ونعمق التراث ونأكل ما في أوائل المسيحية من طيِّبات . المهم أن ننسى ما يقوله الآخر في شخصي وما يجب أن أقوله فيه . ليس المهم أن أصغي إليه وأن يصغي إليَّ بل أن نتنصت معاً لما يقوله الله لنا الآن ولما سلَّمه مرة إلى القديسين .

هذه المعيَّة الحق تتعدى الرؤى الطوباوية . هي في اصطراع الأحداث ، في الواقعية الروحية الصادمة ، هي أمدى كل النداءات . بتنا أبعد شوطاً ممن قام بالوعود الوحدوية . وللخطر المحدق بنا اليوم أن نظل دعاة بدلاً من أن نقيم بناء الله . كما أن الخطر الآخر أن نظن أن الوحدة أمْسَت أمراً واقعاً . في كلا الموقفين غنائية مسلِّية ، طرب فاسق .

ولكن هل نحن حقاً معاً على درب التوحد ؟ هل الحق في ذلك على من يركض أو على من يتبصر في سيره ؟ وإذا تباطأ بعض من الركب أليس ذلك لأن المسرعين قد قرروا وحدهم كيف يَعْدون وبأية سرعة يَعْدون ؟ وإذا كان التلاقي هو سبب المضي فنحن بحاجة إلى تأنٍ عظيم يملي علينا ألَّا نفترض في الآخر قبوله لتدابير اتخذناها نحن بمعزل عنه ولم يصل إليها إدراكه أو إخلاصه . المعيّة تفرض دائماً ، ولو على سبيل النهج ، ان كل كنيسة فريق ، إنها ليست الكل على سبيل التصرف ، إن الآخرين ليسوا تلاميذ في صفها .

والمعيّة المعيّة ، هذه البسيطة تعني - إن عنت شيئاً - لقاء المسؤولين الروحيين من غربيين وشرقيين . اللقاءات العادية جداً حول فناجين من القهوة بين أكابر الرعاة لا تتم ، في لبنان حتى الآن ، إلاَّ بين أفراد قلائل . وعلى مستوى الأدنين من رجال اللاهوت هل نحن نهيىء من يتعرف إلى تُراث الآخر معرفة صميمية كأنه شريكه الداخلي يستلذ ما لديه من باقيات صالحات ؟ وإذا لم نفعل نحن هذا فذلك يعني أن على بعض منا أن يستورد المعرفة من رومية وفرنسا أو من أثينا وموسكو كأن المسألة خارجة عن نطاق أرضنا ، كأن أورشليم وإنطاكية بطلتا أن تكونا الينبوع . السؤال الذي هو صرخة الأحشاء هو كيف نسير معاً لإحقاق تماس بين النفوس يرتكز على اليقظة والتخطي بآن ، بروح الخدمة لغير المسيحيين لأن غسل أرجل الغير هي الغاية القصوى لمجيء ابن البشر ؟

الوحدة ننحتها من فعل ، من تطهير الكنائس من كل فتنة وجهل ، من أدناس محاكم « روحية » ، من طغيان المال وتحكم السياسة ، من ذهاب واحد إلى البرية حيث المسيح في نزاهته وبساطته ولطفه . الكنائس إذا شرحت صدورها للصليب ، إذا رفعت الذين يئنون إلى القيامة ، تضحى حقيقة مدوِّية تنزع الأقنعة عن مرائيها . وإذا احتسب من هم فيها أنهم أعقل من الإنجيل وأدهى فحديثهم عن التوحد دجل . أية دعوة هذه إلى الوحدة إن لم تكن وحدة فورية مع الفقير الذي من أجله صار الكلمة جسداً ؟

حديث الوحدة يبدأ بيننا من الطهارة .

**الأحد ١٥ كانون الثاني ١٩٦٧**



# فصحنا المشترك

« فصحنا المشترك » كلمة لأثيناغوراس ، العظيم في تطلعه إلى شرق وغرب يتحدان . كلمة ـ رمز لأن الفصح أرادته الكنيسة الأولى يوماً واحداً في العالم من أجل مشاركة البهجة وإعلان ظفر الرب حياة للشعوب . وعامة المسيحيين عندنا تنادي بتوحيد العيد من جديد . وكنت أحسب ذلك هاجساً سطحياً ، جانبياً يتوخى أصحابه المظاهر الوحدوية معرضين عن اللب . ويقيني الآن أن العامة قد تكون أقرب إلى الواقع الروحي من معشر العارفين إذا هي ألحَّت بضرورة تقرير يوم واحد للقيامة . هذا هو حدسها للوحدانية الكبرى . هكذا تذوقها عربوناً وتأمل ألَّا يعرقل رجاءها حذر المسؤولين من التغيير .

هذا التغيير من أي طرف يجب أن يأتي : أمن الشرقيين أم من الغربيين ؟ أرجو أن نكون قد تجاوزنا الجمود المذهبي والسلفية والعنفوان الطائفي لئلاَّ « نتولدن » ونقول : بل أنتم تبدلون تقويمكم لا نحن . يُغيِّر الأمر من كان التغيير أسهل عليه ، من له الحق فيه ، من سَمَحت له سلطاته العليا بذلك . ولذا تجاسرتُ على القول ، السنة الماضية هنا ، إن الطوائف الكاثوليكية الشرقية هي المدعوة أن تُماشي

الارثوذكسيين في هذا الأمر لأن هذه الطوائف إنما منحها مجمع الفاتيكان هذا الحق . وبالفعل أخذ الأقباط الكاثوليك يتبعون ، بكل بساطة ، الحساب الشرقي في فصحهم . الحل في أيدي الكردينال المعوشي والكردينال الصائغ وسواهما من أئمة هذه الطوائف ومجامعهم . الناحية القانونية ثابتة لديهم كلياً.

أما الناحية القانونية عند الارثوذكسيين لجهة التغيير ، أي تغيير ، فليست واردة . إنهم لا يزالون مقيدين بأحكام المجمع المسكوني الأول القاضي بأن يقيموا الفصح بعد اليهود ولا يستطيعون ، دون موافقة اخوانهم في بقية العالم ، تعديل هذا القانون . والتعديل ـ بصورة عادية ـ يتم عندهم في مجمع مسكوني . وقد لا ينعقد لهم مجمع مسكوني بعد سنوات . ثم اعتماد يوم واحد فيما بينهم رمز لوحدتهم . أما رومية فلا ترى أن وحدتها تتصدع إذا اتبعت طوائف الشرق المنضمة إليها يوماً غير الذي يقع فيه فصح اللاتين . ولها في ذلك تقليد إذ أن ملة الروثينيين الكاثوليك في أوروبا الشرقية تُعيِّد مع الروم حتى اليوم .

بعدما أَثرتُ هذا الموضوع العام الماضي أصدر مقام ديني سام بياناً في الصحف جاء فيه أن المفاوضات تجري بين الرئاسات الروحية لتوحيد الفصح . والحق أن لفظة « مفاوضات » تجاوزت الواقع . لم يكن هناك سوى اتصالات شخصية بين هذا أو ذاك من الأحبار . ولكن كنيسة الشرق لم تدخل في حوار مع رومية ولا رومية طلبت تفاوضاً كهذا . والتفاهم المؤقت هنا حول العيد يمكن أن يتم قبل إيجاد

حل نهائـي على صعيد عالمي . على هذا المستـوى العـالمي لا بدَّ للارثوذكسية والمقام البابوي أن يلتقيا . ولكن الآن نحن في صدد لقاء ممكن بين جماعات أباحت لهم رئاستهم العليا التغيير وجماعة لا تملك حتى الآن هذا الحق . نحن على مستوى اقليمي محض . والكنيسة الكاثوليكية آخذة باكتشاف قيمة الكنيسة المحلية . فمن منطق تطورها أن تتلاءم والحاجات المحلية . رومية تريد أن تتأقلم كنيستها في أفريقيا وآسيا بإدراج بعض من عادات القبائل وما يمكن تنصيره من تراثها الوثني . فبالأولى أن تتأقلم في أرض تعود مسيحيتها إلى العصر الرسولي وأن تخطو خطوة نحو اخواتها الارثوذكسيات . إن كان من ملاطفة فلِمَ لا تكون هذه ؟ وقد أخذت رومية تُظهر مرونة أذهلت العالم . إن من أقام الدنيا وأقعدها في الفاتيكان حول أمور أخطر من هذه بكثير ألا يستطيع في قضية شكلية أن يتغاضى عن حساب في سبيل مظهر وحدوي يقول المثقف والعامي في شرقنا العربي إن له أهمية روحية كبرى ؟

الاعتراض الممكن على ما اقترحتُ أن الرعية الكاثوليكية قد لا تقبل بهذا التبديل . والحق أن هذا هو ظن السلطة في فكر الرعية لا ظن الرعية نفسها . فالناس العاديون في الكثلكة أخذوا يتأففون من الانقسام . والواقع أن المسؤول الكبير قد تختلف ذهنيته عن نفسية شعبه . إنه يَتَّعِظ بالماضي وتفسخات الماضي . أما المؤمن العادي فمشدود إلى الحق الحاضر ، كما يقول الرسول ، إلى « تعال أيها الرب يسوع » . وعندنا خبرة انتقال الارثوذكس من التقويم اليولياني إلى اليولياني المصحح وبكلمة إلى اعتماد الحساب الغربي عملياً فيما يختص

بالميلاد والأعياد الثابتة . فالارثوذكس ـ وهم أشد تمسكاً في طقوسهم من غيرهم ـ لم يعترضوا على قرار كهذا . والكاثـوليك المشهـود لهـم بطاعة وقور لرؤسائهم ، والذين اقتبلوا الفاتيكان الثاني ثورة أو شبه ثورة لماذا نظـن أنهـم سيرفضـون التعييد الارثـوذكسي إذا فهمـوا أن الارثوذكسيين هم بحسابهم لا عن عناد صبياني بل بسبـب استحالـة قانونية قد تطول. إذا أَفْهَم الرعاةُ الكاثوليك شعبهم ذلك فأنا موقن أن حركة شعبية لن تقوم ضد تدبير كهذا. وإذا بقـي أثـر من شك عنـد السادة الأحبار الكاثـوليكيين فيما أدَّعيه فهـل من بأس إن استمزجـوا المؤمنين ؟ رومية من عادتها أن تستمزج الألوف لإعلان عقيدة. هل هو تجاوز للمعقول، من أجل أخوة لها بالمسيح ، أن يقوم استمزاج حول قضية رعائية كهذه؟

**الأحد ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٧**

# لقاء اسطمبول وأبعاده

لقاء بولس وأثيناغوراس يكشف أمنيات ، يشحذ التوق ، يقيم الرموز . ولعلَّ منفعته في أن الرمز نفسه له قوة المعنى . والنفع الآخر أن البطريرك المسكوني - إذا ردَّ الزيارة الكريمة - سوف يغزو مسيحيي رومية وهو يطل من شرفة الفاتيكان عليهم بهيبة الأنبياء . في الكثلكة ، هذه سنَّة الإيمان . وهذا يعني أن بولس السادس قلق عليه. لقد أثبت ، غير مرة ، أنه يخشى إثارة القضايا الجذرية . ويخاف موجة إنحلالية تتسرب إلى كنيسته من بعض التفسير البروتستنتي المتفلت ( بولتمان وتلاميذه ) كما يخاف أن تنجرف الكثلكة في موافقة الحساسية المعاصرة . القديم والجديد كيف يتعايشان فيها ؟ كيف يجمع بين المنقول والمحدث دون خيانة للتراث ولا تجاهل للفكر الناشىء ؟ ألعلَّ الشرق ، في روحانيته ، يعطينا قديماً منفتحاً على الجديد لكونه لم يتحجر بقوالب لاهوت مفلسف مقنَّن ؟ لا شك أن الشرق بعيد عن فردية الغرب وأدنى إلى معاني الشراكة والشورى والعفوية في التعبير الطقوسي . والكاهن فيه متزوج يعرف معنى الأبوة ويتصل بالشعب اتصالاً لا تسلط فيه . وسر الاعتراف بعيد عن

التحليل والتصنيف وأقرب إلى الإرشاد والرحمة . كل هذه قيم نرى الغرب الكاثوليكي يتوق إليها وينتظر مجمعاً يذهب بالجذرية أبعد من الفاتيكان الثاني . **لقد وضع المجمع الأخير الكثلكة على طريق الصدق . منتهى الصدق غير ممكن بلا مرافقة الشرق .**

أما الشرق فمكسبه الأساسي من مواطنة الغرب أن هذا الأخير يلح عليه بالمعاصرة . يريده أكثر تفهماً لمشاكل العالم الحديث . وهذا مليء بالتحدِّيات بعض الارثوذكسية لا يراها وبعضها مكبَّل سياسياً بحيث لا يستطيع أن يخوض البحث فيها . مرض الارثوذكسية التاريخي اكتفائية تجعلها قليلة القلق . إنه داء الأغنياء ولعلَّ أفتك ضعف في الكنيسة الشرقية أنها لا ترى خطر الدولة عليها رؤية صافية . تلتحم بها التحاماً . تنصاع أكانت الدولة قيصرية أو شيوعية . تتقوقع في بهاء الصلاة ومبرّات الصوم هرباً من الشهادة الصارخة المدوِّية . لعلَّ المسيحية الغربية تُعلِّمها الاقتحام ولا تنزع عنها التواضع .

**إن أسفار أثيناغوراس المقبلة إلى صحبه البطاركة من شأنها أن تدفع الارثوذكسية إلى التقابل في مجمع عالمي** . لستُ متأكداً أن المسيحية المشرقية مستعدة له ذهنياً ، أجل سبقته آلام كثيرة والمشاكل عديدة. ولكن المعالجة الفكرية لهذه المشاكل لم تَتَّخذ بعد مداها الكافي . أخشى أن يأتي المجمع الارثوذكسي العام مرتجلاً ، قزماً . ثم لماذا هذا الفكر يُصاغ وحده بالانعزال عن الغرب ؟ ماذا ينفع الإنسان فكر لا ينحته مع أخيه ؟ الارثوذكسية تؤمن كثيراً باللاهوت الذي تُطعِّمه المحبة وتباركه الصلاة . إنها لا تطمئن إلى العقل المحض .

أفهم أن تبقى على المشاورات التمهيدية فيما بينها أو تطرح نفسها ـ على الرجاء ـ في مجمع يضم الشرق والغرب . **إن الشيء الكثير من نواقص المجمع الفاتيكاني الثاني عائد إلى أنه كان مجمعاً غربياً صرفاً . فكرة البابا يوحنا الأولى الداعية إلى مجمع يبتغي الوحدة كانت أقرب إلى روح النبوءة . النبوءة والحكمة قلّما تجتمعان إلّا إذا كانت النبوءة هي وحدها الحكمة .**

على صعيد الدنيا جمعاء وفي الظروف التي يقاسيها العالم ضراعتنا إلى الله أن يكون لقاء **شَيْخَيْ كنيسة المسيح دعوة للقاء الأمم بالأمم والأعراق بالأعراق** . نرجوه لقاء الزنوج بالبيض وذهاب الظالمين إلى العدل والمظلومين إلى السلام . الكنيسة المسيحية لا تلتئم عراها لتتبرج وتزهو . عزتها في الفقراء والمحرومين ، في هدم الجدار القائم بين الشعوب لأن الخلاص ليس كرازة وحسب ولكنه افتقاد السقماء ولطف بالضعاف لا يُحد . إن عناق الكنيستين خميرة من شأنها أن تخمّر عجنة العالم . أيريد الله أن يعلّمنا ، من خلال الكوارث ، أن الإنسان لا يكفيه تنظيمه للدنيا شر نفسه وأن محبة الله ، إذا قُذفت في نفوسنا ، هي الزخم الأساسي الذي يحوّل الإنسان إلى إنسانيته بعد طغيان الشراسة عليها . المسيحية ولاء للميراث ولكنها أيضاً توق إلى الله الآتي إلينا بالمصالحة البشرية الكبرى . وحدة الكنيسة يفرضها التطلع إلى المستقبل الذي يجب أن نبني ، مثلما ينعشها الرجوع إلى الينابيع الأولى .

**من أجل وحدة المسيحيين قصد البابا بلداً إسلامياً . ألا يعني**

**ذلك أن هذه الوحــدة هي شرط مخاطبــة الإِســلام ؟** أليس الشرق المسيحي ، المتحسس روحياً وحضارياً مشاكل الإِسـلام ، كليم هذا تاريخياً وبالتالي رسوله إلى غرب تنصَّر فعلاً بالوحدة ورسـول الغـرب إليه ؟ في المزامير آية غريبـة : « **الله** من التيمـن ( أي من الجنـوب ) يأتي » . **الجنوب هو دنيا الإِسلام والقوى الأسيوية الأفـريقية . من عدالة هذا ، الله سيأتي** . يجب أن تعترف أوروبا ـ وأمـيركا وليدهـا ـ بذلك . أوروبا مجزَّأة اليوم بين شرق سياسي وغـرب سياسي . فهـل تظل على تجاهل الجنوب إذا اتحدت كنيستاهما ؟ بولس وأثيناغوراس لقاؤهما الرمزي يحمل ، بالرجاء ، هذه الأبعاد المذهلة .

**الأحد ٣٠ تموز ١٩٦٧**

# انطباعات من روما

في الأسبوع الذي عبر أمس الـ ١٨ من شهرنا غمرت روما موجة روح وحياة كأنها « هبوب ريح عاصفة » . مجمع الأساقفة حول رئيسه منعقد . وفي الشارع الذي ينتهي بساحة القديس بطرس الشعب الكاثوليكي بممثليه الـ ٢,٥٠٠ يحاول قبض مصيره . « شعب الله في مسالك البشر » ، في اندماجه بالتاريخ كان الموضوع الذي تأمَّله المؤتمر . تأمَّله؟ بل خَضَّه خضّاً بصراحة كانت الشدة القديمة تكتمها . **والصراحة غدت ، عند تلك المئات ، بساطة المسيح، بعضاً من عنفه ، في مشاكسة ظهرت حتى التحدي للسادة الأحبار الجالسين هناك عند الطرف الآخر من الطريق .**

الناس من كل صوب هنا ، من كل لون . الزنج والصفر والبيض سواسية في جماعة الله . الفكر اللاهوتي أو ما إليه يصوغه الوضع الانساني إلى حد كبير . كانت أفريقيا وأميركا اللاتينية تلحَّان على العدل في نقل الرسالة ، في تجسيمها. والآتون من هولندا ومن ناثروها يتحدثون عن اختبارات جديدة في الطقوس، يحثون على الجديد في كل مستوى. نساء الهند، يجلببهن الساري، جئن بوقار

الشرق. وفد مصر، في أصالة وادي النيل والوافدين إليه من الشام، يطالب بمساهمة العامة في انتخاب المطارنة. ماروني يتحرق من نشاط مندوبـة من إسرائيل عرجـاء كأنهـا أُرسلـت لتستعطـي سياسـة الاستعطاف، كبش المحرقة حتى هنا.

المراقبون غير الكاثوليك المندوبون عن كنائسهم أو محافل دينية مختلفة تحسسوا حرارة الإخاء الروماني، قالوه. إيطاليا بعض شرق. والكنيسة التي كانـت « رئيسـة في المحبـة »، كما يقـول اغنـاطيوس الإنطاكي، تستعـد لاستقبـال المحـب الأول في المشرق المسيحـي، اثيناغوراس. نُراقب، نُستشار، نُناقش. يتقبلـون كلامنـا بلـطف الترحيب. يبتغون المزيد من التراث المشترك. لا شك أن بعضاً يراهق لأن النير لم يوضع على كتفيه برفق فيما مضى. سعي إلى التجديد صادق لمعاصرة البشر في التواضع. **الكثلكة في تفتيشها عن الحق، في تململها فقدت كل عنجهية.**

الفكر هنا وحـده يخاطـب الفـكر. المطـران والكاهـن، بكل وداعة، يصغيان إلى من يناظرهما، يفهمان اللا. انبعاث؟ لا شك ولكن ليس بالرجعة إلى القديم فقط. المستقبل أيضاً يحمل طاقة حق. الجبة الحمراء انقلبت هنا إلى سترة سوداء وانقلب التبيين خفاء. أخطاء في هذه اللجنة أو تلك، في المؤتمر كله ولكن الانتفاضة بدء طريق. من ألف العتاقة لا يستغرب التمرُّد وما يبطنه من عثرات. ولكن القول الصريح هو **أن « الشعب » في الكثلكة لم يبق قاصراً**. « كان إنسان رسول الله اسمه يوحنا ». بعد البابا الأخير النكسة غير معقولة. كفى

البابا الحالي أن يقول في خطابه الأحد الماضي : « الكنيسة منحت العوام . . . » حتى يتكهرب جو المؤتمر . **يريدون حقاً لا منحة ، حقاً نابعاً من المعمودية** . في إحدى الحلقات وقف كاهن ليخفف وطء الجملة عليهم قال : « يجب أن نعرف أن البابا قلق ، إنه في انهيار ويرتقب عملية جراحية » . بالرغم من العرش الذي رفعت الارستقراطية الإيطالية البابا عليه قبل أن يستهل القداس بدا الحبر الروماني للمؤتمرين في حدود إنسانيته . يخشى بولس الثاني هبوب العاصفة . يصبر على خشية التصدع . بعد هذه الصلاة الرائعة عاد بولس الإنسان ، كما سماه أحد أبنائه ، إلى عزلة صومعته بعد أن حيَّا المراقبين تحيَّة إكبار . استوقف حامليه لذلك ثواني وكأنه أمام منصتنا متأهبٌ لعناق .

دعوة الله ، مسكونية ، عدالة وسلام ، العائلة ، تعاون الرجال والنساء ، النضال الإجتماعي والسياسي على ضوء التزام الإنجيل ، هذه الهواجس كيف تتبلور في حياة الكنيسة الواحدة في الأوطان من جهة وقلب الكثلكة من جهة أخرى ، تلك هي المسألة . ولذلك **كانت هذه السنة في الكثلكة جمعاء « سنة الإيمان » وعند المسيحيين جمعاء ينبغي أن تصبح سنة صلاة من أجل رومية كي لا تزعزعها العاصفة** ، لتجوزَ المحنة مطمئنة إلى المعلم .

ليت الحياة الروحية التي لمسناها في صفوف المسيحية الغربية في أسبوع طاهر تصبح هي مصدر اللاهوت فيها . من منظار شقيق تجلَّى الروح محيياً كثرة من الوافدين . والروح أبداً أفضل من القوالب التي

يسعى الإنسان أن يحصره فيها . لقد انكسرت السدود بمنَّة الله وفضله . والفيض نفسه سيتكلم مثلما تكلم في الماضي السحيق ، الماضي المشترك . سيأتي الله « وينقي بيدره » . **من هذه الجماعات «المتنصرة فعلاً لا شكلاً » في كل كنيسة ستنشأ وحدة الذين يدعون باسم السيِّد يسوع** . مثل دفق المياه المضاءة ليلاً والدافقة في أحواض روما نرجو أن تكون المسيحية يوماً . تركنا المدينة العظيمة المتسربلة مسحة من الأبد وفي النفس شهادة لها وشهادة على الفاترين منا . وكان في الروح تطلُّع أن تصبح مدينة المعابد رمزاً . الدنيا كلها نشتهيها معبداً لله واحداً .

عدت من روما في تهليل الرجاء .

**الأحد ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٧**

# البابا والبطريرك والناس

البابا بولس والبطريرك أثيناغوراس تعانقا أمس على رجاء الوحدة . ولا نعلم بعد من مضمون حديثهما سوى التطلع إلى المرجوات الواحدة ونوع من الإشارة إلى قضية القدس . ولعلَّ أهم ما قاله الحبر الروماني ملاحظته أن تجديداً روحياً واحداً يأخذ الارثوذكسية والكثلكة معاً ثم رغبته في متابعة التطوير المشترك « عن طريق الاتصالات والتعاون الذي يجب أن نُحدد أشكاله معاً » . **بهذا الكلام انتقلنا إلى رؤية الكنيستين حقلاً واحداً للروح القدس تنموان تاريخياً نمواً واحداً بحيث تزداد حيوية كل منهما بالنهضة الحاصلة عند شقيقتها** . في هذا الكلام افتراض لاهوتي يتخطى واقع الانقسام وينقلنا من فكرة السير إلى الوحدة المفقودة إلى فكرة اكتشاف الوحدة القائمة وإخصاب إمكاناتها .

إن أقوال البابا تعكس هموماً في الفاتيكان وأرجاء العالم الكاثوليكي أن تأتي الاصلاحات الكنسية الغربية بالتفاعل أو بالتجاوب مع الفكر الارثوذكسي من جهة والفكر البروتستنتي من جهة أخرى . هذا السلوك يتضمن اعتقاداً رومانياً أصيلاً أن حدود الكنيسة

هي أبعد من رومية حسب قول ايريناوس : « حيث يكون الروح فهناك الكنيسة » . عبَّر عن هذا الموقف ليس اللاهوتيون فقط في هذا القرن ولكن الشعب العادي في الكثلكة . لقد أخذ مسؤولون كبار وغير كبار وعامة الناس يقتبسون من الكنائس الأخرى ما يتعرفونه قيمة في المسيحية أصيلة غابت عن الواقع الكاثوليكي مدة طالت أو قصرت ( أهمية الكتاب المقدس ، اشتراك العامة الفعلي في الطقوس ، التحسس لأمور العصر ) . إن هذا التداخل الفعلي بين الجماعات المسيحية كان من شأنه ألَّا يترك مواقف الحرم والفرز واللعنات بينها قائمة مثلما كانت : الشدة الذهنية صائرة إلى مرونة ذهنية لأن تجديد الحياة في الكنائس يفرض ذلك ، لأن الحياة دائماً أفضل من العقل المنغلق دون الغير ، **لأن السويَّ إذا أحببناه يقودنا إلى تغيير مواقفنا العقلية التي كنا نقف إزاءه . فإذا غدونا نقف معه في الحياة لا يسعنا أن نكون ضده على مستوى الفكر** . شيء من اللاهوت كنا نصوغه دون الانتباه إلى المسيح الكامن في الآخر والحاصل عنده شهادة قداسة وشهادة دم .

آجلاً أو عاجلاً لا بد للارثوذكسية جمعاء أن تماشي أثيناغوراس . وأن جولته على كنائس البلقان كانت تستهدف حصول البطريرك المسكوني على الاجماع الارثوذكسي . إن هذا التنسيق تريده رومية وقد تجاوزت فكرة التفاهم مع ارثوذكسية جزئية . الشرق الموحد الكلمة ييسر مواجهته للغرب ويعجِّلها . والواقع أن الفرق بين هذه الكنيسة الارثوذكسية وذلك في مقابلة البابوية ليس فرقاً في الأساس ولكنه فرق في الأسلوب ، في الكيفية . فلكل كنيسة مشاكلها الداخلية وظروفها

السياسية وعلاقات مع الكثلكة محلية تصفو أحياناً وتتعكر حيناً . **ولعلَّ العالم المسيحي كله غير واع وعياً كافياً بعد أن كل جزء منه لا يستطيع أن يحل قضاياه حلاً مكانياً ما لم يضع الحلول جميعاً في جعبة واحـدة .** التجزؤ نفسه خطيئة أو هـو الخطيئـة الكبرى. وفي حـال الانشقاق لا تُحـل قضايـا الشرق أو قضـايا الغـرب إلاَّ حلاً مؤقتـاً ، غير متكـامـل العناصر. في وطأة التصدع ليس لدينا سوى انصاف حلول .

ولعلَّنا اليوم أمام زخم جديد كانت رومية لا تعرفه سابقاً ألا وهو الزخم العلماني . وقد أشارت إلى مثال عن هذا الزخم الأخبار عندما قالت بأن لجنة في مجمع الأساقفة المنعقد في الفاتيكان ، في أعقاب قرار اتخذه مؤتمر العلمانيين الذي تحدثنـا عنـه الأسبـوع الماضي ، بأن هذه اللجنة أوصت بتحديد النسل . **البابوية اليوم لا تستطيع أن تتجاهل شعبها بعد أن علَّمته أنه أساسي في كيان الكنيسة وأخذ يعي ذلك وعياً حاداً** . هذا الأمر أخذ يطوِّر الكثلكة من كنيسة اكليروس إلى كنيسة شعب الله أي أن هذا يقـرِّبها من المفهوم الارثـوذكسي كثـيراً . **وهـذا يدنيها ، في الحياة ، إلى تفاعل اكليروسي ـ شعبي من شأنه أن يجمع بين العوام من الطائفتين روحاً ونضالاً ووحدة مشـاكل** . بوطـأة الواقـع العلماني دعا البطريرك الكردينال المعوشي إلى التسامح بالطلاق في حالة من الأحوال . بهذه الحيوية العلمانية نفسها سوف تَقبل الكثلكة بوجود كهنة متزوجين . كنيسة ، كل مفكريها عازبون منذ ١,٥٠٠ سنة ، تنشيء لاهوتاً وقوانين معيَّنة لا بد أن تتغيَّر بتغير الوضع الشخصي عند كثرة من مفكريها .

أهمية العلمانيين المتزايدة في الكثلكة قد تعني أنه قد يأتي يوم لن يصبر فيه هؤلاء على كارثة الانشقاق . شيء من نفاذ الصبر ، على مستوى آخر ، كان في مؤتمر العلمانيين . العلمانيون ، في معظم الديار الارثوذكسية ، ليست عندهم وسائل التعبير عن آرائهم . لا يملكون صحفاً أو أندية لذلك . ولا تبلغهم المشاكل المطروحة في العالم المسيحي بكل حرارتها . ولذلك لا بد للاكليروس الارثوذكسي المتحسِّس لقضية الوحدة أن يتريَّث إلى يوم تَقدر الشعوب الارثوذكسية الكبرى أن تعبّر عن شعورها . بدون الحرية الدينية الكاملة لا يعقل أن يتفاعل العوام في كنيستين ولا يعقل أن تنصهر الكنيستان في بوتقة واحدة .

البابا والبطريرك والرئاسات الكنسية ليست وحدها . **القضية الوحدوية لم تبق ـ حتى في الكثلكة ـ قضية اكليروس وحل قضية اكليروس . لقد صارت قضية الناس . العاديون عنصر فعّال في بحثها .**

**الأحد ٢٩ تشرين الأول ١٩٦٧**

# أية وحدة ؟

دعوة وحدوية في العالم المسيحي تقوم على قدم وساق وكان يوم أمس نهاية أسبوع صلاة لسؤالها والتبسط فيها . ومن فضل الله على الكنائس أنها آخذة في تجاوز مرحلة الأمنيات إلى مرحلة التقارب الملموس . ومع ذلك لا تزال الأشواط أمامنا وأمامنا العثرات وهذا الإنسان العتيق البالي الذي يريد الفرقة ويستغل كل تدبير عند الآخر طائش لعرقلة الدعوة .

وكان من الطبيعي في بدء المسعى أن يتعاطى المسيحيون أمرين : البحث اللاهوتي بغية تذليل الفروق وتعاوناً خيرياً ـ اجتماعياً يوحدهم في البذل . وقد احتضن هذين التيارين ، منذ أربعين عاماً ، مجلس الكنائس العالمي ولما وعت الكثلكة الرسمية ، مع يوحنا العظيم ، مهمتها التقاربية ، أدركت أيضاً أن واجبها الإطلالة على الغير بالمحبة فكراً وعملاً . ثم أوضح أثيناغوراس ما كانت الارثوذكسية تلح عليه دوماً وهو أن الحياة أبدأ من الفلسفة . وكانت قبلة السلام عند ضريح المخلِّص وفي القسطنطينية وورومية تعبيراً عن دعوة الشرق للغرب إلى الدخول معاً في مواجهة ومشاركة صادقتين .

ولا شك أن الإخلاص في نمو ولكنا بحاجة أن نمارسه زمناً لتطمئن القلوب . قد يستتبع هذا حكمة ولكنه لا يفرض التلكؤ ولا التفرج . فالسعي يقوم من كل جانب ويغيِّر النفوس . فمن كان متقاعساً ينشط ومن كان على شيء من الرعونة يهدأ . **اللطف والمعرفة - الخبرة يذللان وعر الطريق** وتتلاشى أمامها بنايات الفكر المجرَّد ، الموضوع ، المسبق . فإذا بنا نرى المسيحي الآخر انجيلي الروح وإذا بالكنيسة الشقيقة تربة قداسة ، موضع تجليات . **وإذا بالإنسان يعيد النظر بما في القديم من صيغ ومألوف فكر وعمل .**

وإذا اكتشفنا أن الآخر هو إيانا أو يكاد أن يصير لا بد أن تنهار قصور ذهنية ولا بد أن نشك في الأسلاف . ولكن أليس التطهير في هذا أن نرمي الماضي الكابوس ، أن يتقلص عندنا المخلوق إذا أخطأ المخلوق ؟ إن لم يقدنا السعي الوحدوي إلى طرح ما فسد في تاريخنا من مواقف فإنه ليس سعي توبة . التقارب ليس حذلقة لاهوتيين ولكنه رجوع شعوب إلى ربها .

على هوى ذلك أخذ المسيحيون يكتشفون أن انضمامهم بعضهم إلى بعض يفرض خدمتهم لغير المسيحيين وأن هذه الخدمة المشتركة شرط توحدهم . **أي أن التقارب المسيحي لا يمكن أن يكون على حساب غير النصارى وليس نتيجة خوف من نظام كائناً من كان** . إنه قائم في سبيل العالم . لن تنجح الوحدة إلاَّ إذا كانت تشبهاً بالوحدة الإلهية ومثالاً لوحدة العالم . الله وغير المسيحيين قطباها ، زخمها .

وهذا يعني أنها تقوم في لبنان مستقلة عن الإطار الطائفي

السياسي وتقوم ضد الانكماشية « المسيحية » . وإذا لم يتضح هذا التفريق فإنها تبوء بالفشل . الذي لم يتحرر داخلياً من الطائفية لا تكون نفسه ساعية إلى الوحدة . كلمة الوحدة ، عند ذاك ، قناع لتعصبه .

فالسؤال الكبير الذي يواجهنا هو هل يجوز التضامن ، في الحقل الوحدوي ، بين من يؤمن بالطائفية مبدأً قائماً إلى الأبد وبين من لا يؤمن . التقارب عند الأول مختلط بالفساد وبالتالي فاسد . لذا كانت المشكلة الاجتماعية والنظرة السياسية بعضاً من القضية المسكونية . **إلى أي حد يسوغ القول : إني واحد في المسيح مع الذي لا يريد تبديلاً في هذا الرجس الطائفي** ؟ هل مسيحنا واحد أم أنا أقرب ، في عمق الحقيقة ، إلى إنسان من كنيسة أخرى يقول بعدم الطائفية ؟

المسيحية تُعاش . وهذا يعني أن السعي الوحدوِّي في لبنان لن يكون صادقاً ما لم يعنِ تصدِّي الكنائس للمسائل الاجتماعية تصدِّياً صادقاً . الكنيسة لا تُنيب عنها قوماً ليصرخوا . إنها هي صرخة الفقراء . إنهم هم السادة فيها . وما بقيت متَّخمة بالغنى ، ملازمة لعظماء هذا الدهر ، غير غاسلة أرجل المساكين فأية وحدة هي طالبة ؟

في رؤية هذا الامتداد للقامة المسيحية ، في المشاركة نقرأ النصوص . مسيرة الخلاص لا نسيرها فقط من الكتاب إلى الواقع بل من الواقع إلى ما يجب أن نكتب . الكنيسة لقاء بين الله والإنسان كما هو . **عندما تتخذ الكنيسة وجهاً إنسانياً كذلك الذي كان لسيِّدها نكون قد بدأنا الحوار .**

ولعلّ أجدث عنصر يبعث على الرجاء أن الناس العاديين أخذوا يتطارحون أسئلة ويطرحونها بإلحاح يشبه التحدّي في هذه الكنيسة أو تلك بحيث لا يستطيع اللاهوتيون اليوم أن يكونوا ناس الكتب ولا ناس السلطة وحسب . المبادرة الروحية نفسها لم تبق ملكهم حتى في الكنائس التي كانت الأقرب إلى التسلط الاكليروسي . الكنيسة تصير اليوم ، فعلاً لا نظراً ، جماعة . لا بالنصوص فقط يجاب عن أسئلة الحياة . والناس لا يسألون للمشاكسة ولكنهم يريدون أن يحيوا بفهم ولا يستطيعون أن يقبلوا أن كلمة الله هي ضد الحياة . المطلوب أساساً ليس تكيّف الكنيسة بأوضاع الناس . هذا أبسط وجه في الرعاية . المبتغى جذرياً أن نصل إلى أعماق الكلمة بحيث نراها واحدة حقاً مع كل ما هو أصيل في الإنسان ومكاسبه . حركتان متلازمتان : الصعود بالناس إلى متطلبات الكلمة ونقل الكلمة ـ بالتعليم والنضال ـ إلى الإنساني الراهن .

الوحدة هي في كل هذه الأبعاد لديانة الإله ـ الإنسان .

**الأحد ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٨**

# صور من الشرق

القاهرة الأسبوع الفائت ، كانت حبيبة حلوة في إسلامها الأليف ومسيحيتها الرائدة . دار الكتب ، هذه المرة ، كانت محجتي . احتضنت الدار معرضاً للمصاحف ومنها مصحف من القرن الأول للهجرة . هنا وفي المتحف الإسلامي المجاور أنت في عالم الخط والزخرف . **المصراع ، المنبر ، البركة ، المشكاة ، الإناء الخزفي ، السجادة كل هذا عالم واحد مع صوت المؤذن الذي يأتيني الآن .**

في جامع الغوري قلت لرفيق جليس : « **أنا مطمئن إلى هذا المسجد ، إنه الشرق** » . العمارة ترعاك . على عظمتها نبقى في حدود الإنسان . الآيات والخطوط دفء العمارة ، إيلاف الإنسان لها . ليس الجامع عارياً ولا بارداً . هذا تلمسه إذا اجتزت إلى الأزهر . إنه بيت الشعب . صبيان الحي يلتقون فيه والشبان يدرسون أو يرتاحون من عناء النهار . والطلبة في المسجد حلقات حول الأساتذة يلقون دروساً في الفقه أو اللغة وذلك بفصحى يلقّحونها أحياناً باللهجة العامية . مسيحي مُجلبب لا يثير الفضول . منذ ١٠٢٤ سنة ، الأئمة يتعاقبون هنا على التعليم . الأروقة لا تزال على عهدها القديم : رواق

المغاربة ، رواق الأتراك . . . ولكن الكثيرين خرجوا إلى الجديد . **أزهريون عديدون يتلقون العلوم العصرية . المباني الجديدة ، خارج الأروقة ، رمز لتطلعات الإسلام المعاصر .**

***

الكنيسة القبطية أيضاً تسعى إلى المعاصرة . قلب مصر المسيحية معمارياً ، سيكون كاتدرائية كبرى في العباسية كان الرئيس جمال عبد الناصر قد تبرَّع بمئة ألف جنيه لتشييدها . لقد ارتفع الهيكل عالياً وسيُدشَّن في حزيران المقبل في حفل يضم مندوبين عن الكنائس كلها . علماء وروحيون سيشهدون لأعمال الله في كنيسة مصر . ستُنقل رفات القديس مرقس الإنجيلي ، مؤسس كنيسة الإسكندرية ، من البندقية إلى القاهرة . **الأزهر لن يكون غريباً ولا بعيداً .**

هذه الأمور ومواقف تعليمية تشير إلى تقارب يتوثق بين الكنيسة والدولة . لقد وعى الحكم ، منذ بضع سنوات ، أن الأقباط من الأمة أيضاً . ولهم مع مصر الثورة تناغم طبيعي : ارتباط عضوي مع الحبشة وتجذر في الأفريقية فلا ارتباط لهم بمسيحية الارساليات . لعلَّ مصريتهم بمختلف أبعادها أغلقتهم في الماضي دون السوى ولكن لهم من الطاقات البشرية ( إذ ينيف عددهم الحقيقي عن خمسة ملايين ) **ومن التقوى الرسولية ما يؤهِّلهم أن يكونوا في المصير المسيحي الشرقي رواداً .**

لا بد أن تستقطب الكنيسة القبطية يوماً كل المسيحية المتمصرة .

هذه تهاجر . فمن أصل ٢٥٠,٠٠٠ أرثوذكسي يوناني وسوري - لبناني لم يبق اليوم سوى ٢٥,٠٠٠ أي عشرهم . يبحث هؤلاء عن تعايش أخوي خصب يتجاوزون به صعوبات قديمة . فلا بد أن يكون لهم بطريرك جديد وأن تتحقق آمال العرب في أن يشترك بنو جنسهم برعاية المؤمنين . أبناء ديارنا الباقون هناك لهم جمعياتهم وأنديتهم وندوات للشباب روحية . خشوع ملموس ، اشتراك فعلي في أسرار الكنيسة ، **هذه بوادر لهم نهضوية .**

***

نهضة مصر ، في المرحلة الحاضرة ، موكول أمرها إلى حكومة ، وزراؤها الجدد أساتذة جامعيون جيء بهم لأن بينهم وبين الطلبة الذين تظاهروا إنسجاماً . نجاحها متوقف ، إلى حد بعيد ، الى مدى انسجامها والرئيس . الحكم ازداد في التياسر وبهذا المعنى خرج من نطاق أوحدية الرئيس . الحرية في نمو بمعنى أن الحزب الواحد لا يحكم منفرداً . هل هذه إطلالة للتعددية السياسية ؟ سؤال لا يزال سابقاً لأوانه ولكن المكتبات مليئة بدراسات عن ماركس ولينين وكاسترو وغيفارا . **هذا كله صدى للتمرد** ، اللا التي تبقى وحدها الحقيقة السياسية . اللا أيضاً في فرصوفيا وبراغ . إذا استطاعت تشيخوسلوفاكيا أن تزاوج بين الاشتراكية والحرية تكون قد حققت حلم الدهور . في هذا الاطار ستشهد الكنيسة من جديد لربها معتقةً من كل ارتباط .

***

في اليونان تساءلت إن كانت كنيستها حرة ، حرة من ميراث ضاغط . مبعث القلق أن يارونيمس كوتسونس جيء به رئيس أساقفة في ظرف دقيق . إنه عالم ، راهب متواضع ، بسيط حتى الشفافية ، عفيف حتى الخفر . هل زلَّ في محاكمة السيد بندلايمون مطران سالونيك ؟ هذا ما تعتقده كلية اللاهوت الاثينائية . **الخوف يساور الناس لأن المحاكمة أتت بعد أن حكمت الدولة على بندلايمون بالإقامة الجبرية .**

لقد استدعى يارونيمس رهباناً إنجيليي السلوك ليجعلهم أساقفة . ولكن التساؤل هو حول التوافق بينه وبين الحكم العسكري . وقد يكون أحد عناصر الجواب أن الكنيسة هي أيضاً مرتعبة من الشيوعية . لوحة معادية لهذه في المطار تظهر كنيسة دمَّرها الشيوعيون السنة الـ ١٩٤٤ . ومن عناصر الجواب أيضاً أن الكنيسة لا تزال محافظة بالرغم من إصلاحات طقسية وإدارية ( اشتراك العلمانيين بالانتخابات ) اقترحها رئيس الأساقفة . إن في كنيسة اليونان قِلَّة عزيزة تسعى إلى رؤية أعظم وأعمق نابعة من تراث الآباء . إصلاحات رئيس الأساقفة تبدو لهم « سطحية » ، مستمدة من نظرة تقليدية ساكنة إلى الحياة الكنسية . **الشيء العملي ، الرعوي ، التنظيمي وحده لا يكفي . الأخلاقية ، التقوية أيضاً لا تكفي . الرؤى الكبيرة أساسية عندهم** . المنحى الفكري الذي كان سائداً في الطليعة الروحية المحافظة أعني إنشاء مجتمع يستقر على أساس التراث اليوناني والتراث المسيحي ممتزجين منحى يذكرنا بالاختلاطية العروبية ـ الإسلامية . أما الرواد من اللاهوتيين الشبان فلا يحبون هذا المزج بين الكنيسة والميراث

القومي . لا يؤمنون بمسيحية يحميها عسكر . ولكن السؤال الذي يبادر الغريب هو هذا : **ألا يمكن اعتبار إصلاحات رئيس الأساقفة على « سطحيتها » الإطار الضروري لنفحة الأعماق** ؟ إن الدعوة إلى التطهير قائمة على قدم وساق ، في الواقع يطاح بمطارنة وكهنة . وهذا بناء بلا شك إذا تأمنت النزاهة وحرية المحكمة الروحية . الفساد في هذا العناق الذي يجمع بين الدولة والكنيسة . ولكن يارونيمس يدعو إلى الفصل وإلى استقلال الكنيسة المالي . فيما لو نجح يوماً يكون قد وقف موقفاً ثورياً حقاً إذ لا نعرف مثلاً آخر يدل على سعي الكنيسة لتتجرد من امتيازاتها .

وَدَّعنا أثينا وعلى كل منزل علم مرفوع ابتهاجاً بعيد البشارة وفيه أعلنت ثورة **١٨٢١** بعث أمة الاغريق من قبر العثمانية . وجهتنا الغرب نبحث فيه مع الطلبة العرب في قضيتنا الكبرى .

**الأحد ٣١ اذار ١٩٦٨**



# حدث مصري كبير

نقل رفات القديس مرقس الانجيلي من البندقية إلى القاهرة كان حدثاً بالغ الأهمية على مستويات عدة . رومية التي جيء به إليها منذ ألف عام تعيد ما بقي منه إلى كنيسة مصر التي لقي الرسول فيها الشهادة . عشرة مطارنة أقباط وأحباش يرافقهم خمسون شخصاً يقصدون الغرب ويحملون بقايا القديس هم ومبعوثو البابوية إلى القاهرة . كان هذا أول انفتاح من كل من هاتين الكنيستين على الأخرى . الكاثوليك والشرقيون القدماء من أرمن وسريان وأقباط وأحباش وهنود هم والأرثوذكس والانجيليون كانوا ، في القاهرة ، « **وحدة روح ورباط سلام** » . وفدوا من أقطارهم لتحية المسيحية المصرية ، لمشاركتها صلاة لها قديمة ، بهية ، معطرة كبخورها الكثيف ، مفعمة بتقوى الجماهير المثقفة وغير المثقفة ، التي لم تمس الحضارة المتفذلكة بساطتها الصعيدية الطيبة .

حدث كان معناه أن هذه الألوف المؤلفة من القبط أرادت ملازمة التراث الرسولي الذي أتى به ، إلى ديارهم ، إنسان كان لابساً الجسد الذي أُعيد إليهم بعد غياب قرون . يرجع الآن **ليذكرهم بأصالة أرادوا**

**لها الولاء جيلاً بعد جيل** . كانوا في تهليل ، الخميس مساء ، لما كانت الوفود تدنو إلى الكنيسة المرقسية في الاسكندرية . ولجنا الكنيسة وسط موجة من الزغاريد والتصفيق ، والناس على الأرصفة المجاورة ووجوههم طافحة بالبشر . **كانوا في سلام أخوي** ، **في مبادلة حب** . جرى هذا في حي شعبي حيث أبناء البلد يحملون المسيح . وكان هذا أبقى في نفوسنا وأفعل من الأحاديث اللاهوتية التي سمعناها في تلك الأمسية . للمرة الأولى، القبطي العادي يعرف أن الدنيا المسيحية بأسرها تفكر به بحب ولا تريد معه تجاوباً سياسياً . هذه المسيحية ، لم يبق لها وجود سياسي . مؤمنون من رومانيا وروسيا يلقون مؤمنين من الانكليز والفرنسيين وسواهم . والمصريون يودون هؤلاء وأولئك . المسيحية تظهر هنا ، **فعلاً ، غريبة عن الاستعمار** .

الجمهورية العربية المتحدة تقول ذلك . إنها احتضنت الاحتفالات . رئيسها كان في استقبال جسد القديس في المطار حيث كانت الألوف التي لا تحصى . ويحضر جمال عبد الناصر اجتماع اليوم الأول . **الجمهورية تعلن إذن أن الأقباط جزء من الأمة لا يتجزأ وتناديهم أن يعوا هم ذلك** . هل يرمون أنفسهم في مصير هذه الديار غير منكفئين ولا وجلين ؟ هذا يفترض حواراً إسلامياً مسيحياً عبَّر عنه - باسم الوفود - مطران طرابلس الأرثوذكسي ، السيد الياس قربان . قال ذلك أمام شيخ الأزهر وفي المأدبة التي أقامها للوفود ، باسم الحكومة ، محافظ الاسكندرية .

هذا التقارب أخذ يرتسم بعد الظهورات العجيبة التي تمت في

كنيسة الزيتون في القاهرة . كل الناس هناك يؤمنون بها : أهل الشك وأهل اليقين ، السذج والعلماء . **يقول بذلك المسلمون بالدرجة الأولى** . فإن الذين رأوا الظاهرة ٨٠٪ منهم يدينون بالإسلام وكأن مريم ، في مصر ، أضحت ملتقى أهل الديانتين . الوثائق العلمية ، تقارير الشفاء يوقِّع عليها أساتذة مسلمون . **في نفوس هؤلاء اليوم تجاه النصارى مودة ولطف وكأن الله قذف في نفوسهم رحمة عيسوية .**

في مصر اليوم لله تجليات .

**الأحد ٣٠ حزيران ١٩٦٨**


www.christianlib.com

# كنائس الدنيا

أوبسالا ( أسوج ) ٨ تموز

كنائس الدنيا ، منذ الرابع من تموز ، مجتمعة في مدينة أوبسالا الجامعية في أسوج . إنها الجمعية العمومية الرابعة لمجلس الكنائس العالمي . الوافدون إذن **أرثوذكس وإنجيليون وانكليكان** . مع ذلك قلت كنائس الدنيا لأن للكثلكة ، بمراقبيها المنتدبين ، حضوراً فاعلاً . هنا ٧٠٠ **مندوب** عن الجماعات المسيحية من مختلف الألوان اللاهوتية وغير اللاهوتية . الوجوه واللحى والأثواب الفضفاضة غريبة عن حضارة الشمال وتختلف عن الرؤوس الأسوجية الشقراء . لذلك تلتقطك عدسات المصورين من كل صوب .

إلى جانب الوفود الرسمية زوار ومدعوون وخبراء وأقلام قائمة وصحافيون وكل أجهزة الإعلام . ولعلَّ أهم عنصر مثير في القوم كلهم **عنصر الشباب** . إنهم أتوا إلى المؤتمر **وثورتهم في جيوبهم** . إنهم في مؤتمر دعتهم كنائسهم إليه ولكنهم على كل رئاسة متمردون . **إنهم في المؤتمر وضده بآن** . يحملون هموم الدنيا : الفياتنام ، اليونان . وفي

اليوم الأول من الجمعية العامة انسحب مندوب الكنيسة اليونانية لأن رئيس الكنيسة الحرة في هذا البلد قال إنه لا يضمن عدم القيام بمظاهرات . بالواقع فيما كنا الأحد ٧ خارجين من الكنيسة كانت الشبيبة في باحة الكاتدرائية تتظاهر صامتة من أجل الحريات في اليونان .

حتى كتابة هذه السطور لم يزج المؤتمر نفسه في صميم العمل . ذلك لأنه كان بحاجة إلى الاستماع إلى أحاديث تهيئه لأعمال اللجان الست المختلفة . ولكن ما يبدو واضحاً من المقدمات أن المؤتمر ينحو نحو الخدمة العملية الإنسانية اليوم . **أجل هناك هواجس وحدويِّة ، بحوث لاهوتية حول الكنيسة وبشارتها ورسالتها** . ومن هذا القبيل توزعت اللجان العمل بحيث ستأتي القرارات نابعة من موضوعات الفكر وموضوعات العمل . وهذان للحركة المسكونية جناحان منذ نشوئها في العشرينات . وعلى ذلك اتجهت الجمعية العامة ، منذ الآن ، إلى الشباب من جهة وإلى مشكلة العالم الثالث من جهة أخرى . ولعلَّ قضية الجيل الصاعد وقضية الأغنياء والفقراء **قضية واحدة الآن** . في أسوج هذا يظهر ساطعاً . هذا الشباب البرجوازي الأصل ، المُترف ، الذي حسبناه مُتخماً ، لا يهمُّه شيء كما يهمُّه العدل . كانت لنا سهرة موسيقية على الغيتار وآلات وترية أحياها مؤلف أميركي موجَّهة كلها في سبيل الزنوج والسلام في الفياتنام . ومن طريف الأمور أن مجلس الكنائس **استأجر ملهى ليعبِّر فيه الشباب ومؤلِّفون ملحِّنون جدد ، عن هذه الثورة القائمة في الأذهان** . هذا الصباح ، عند دخولنا القاعة كان شاب رافعاً لافتة وجالساً عند علم أسود .

الفوضوية لم تبق أبعد من الباب وتأتينا كل يومين في صحيفة يصدرها الشباب في المؤتمر .

نحن إذن في جو حداثة ، جو فتوَّة . الموسيقى الحديثة على غرابتها أيضاً معنا إلى جانب باخ في الخدمة الإلهية البهية التي أقامتها الكنيسة الأسوجية اللوثيرية أمس . تجاوب مع العصر على كل المستويات . كنائس الغرب تهزّنا هزّاً . **الطقوسية هنا ليست كل الحياة** . الفقير أولاً ، كرامته هذا صرخه في آذاننا السيد كاوندا ، رئيس جمهورية زمبيا الذي أتى خصيصاً ليحدثنا . كذلك الاقتصادية الكاثوليكية الانكليزية اللايدي دجاكسون قالت ذلك بأرقام وأدب عظيمَ . أقنعت الجمهور أن إنعاش العالم الثالث **ممكن فينا على أساس العدل وأن الدول الكبرى فقط لا تريد ذلك لأنها لا تحب** . هل ستوَّفق الكنائس إلى دفع الأمم في هذا السبيل ؟ يبدو أن كسب المذاهب المسيحية لشبابها متوقف على سلوكها هذه الطريق . اليوم التفسخ قائم بين الأجيال .

نحن هنا لنتبيِّن بعض المعالم إلى هذه المحجَّة .

**الأحد ١٤ تموز ١٩٦٨**



# انطباعات من أوبسالا

١٦ تموز . نحن في الأسبوع الثاني من الجمعية الرابعة لمجلس الكنائس العالمي . ولعله كان من الموافق أن تكون أسوج إطارها . فللكثرة منا تبدو هذه الاجتماعات وكأن الله ليس هاجسها . لقد انقضى الأسبوع في الأقسام واللجان ، وشأن العالم مسيطر . الكلمات التي تسمعها هنا هي الانماء ، العالم الثالث ، العنصرية ومكافحتها ، فياتنام وضرورة إنهاء الحرب فيها . الناس في سعي إلى نمط للحياة جديد ، يقولون وإلى طقوس متجددة تأخذ بعين الاعتبار انفصال الحضارة عن الله . أمور هذه الدهر وكدت أقول الدهرية تخيِّم هنا ، وفي المجال اللاهوتي بلبلة كثيرة . ماذا يجمع الأرثوذكسية و « كنيسة المسيح على الأرض بالنبي سيمون كيمبانغو » القائمة في الكونغو ؟

لا ، لا يبدو أننا من الوحدة على قاب قوسين أو أدنى . الألوان كثيرة بحيث يستحيل أن ترى خطوطاً تتقارب . في أي أفق تلتقي ؟ على كل حال ، كلمة واحدة أو اتحاد تكاد أن تكون مسموعة . هموم الكنائس أن يأكل الجائعون ، أن يتحرر العبد . . . وكأننا من جديد نعود إلى النزعة المسكونية الأولى المعروفة « بالحياة والعمل » . أتكون

الوحدة نتيجة انكباب واحد على نشاط عالمي ؟ صح أننا تدارسنا الكتاب وافتتحنا كل يوم الاجتماع بصلاة وختمناه بأدعية ولكن الجو «أسوجي» إذا جاز التعبير. الله صامت كما في أفلام برغمان، جميل، نقي كشوارع استوكهولم على شيء من العتاقة كأبنية العاصمة المطلة على البلطيق. الذين نبعوا من التوراة يريدون لأنفسهم مدنية مسيحية ـ علمانية ولو تنافرت اللفظتان، مدنية انحسر عنها ذكر الله ولكن بقيت فيها رموزه. يقول ناس إن اللاهوت نفسه يمكن القيام به دون الرجوع إلى الله. الله ليس موضوع كثيرين. عندهم إنه مات.

في فيلم «العشاء الأخير» مات الله في قس أسوجي، في كنيسة. رهيب هذا الفيلم ككل ما ينتجه انغمار برغمان. يبدأ الشريط بالكاهن حاملاً جسد الرب. ولكن وجهه ووجوه المتناولين مقلقة كلها. لا فرح فيها ولا مشاركة فيما بينها. وسرُّ الشركة لا يجمع أحداً إلى أحد كأن شفاههم لم تلمس الكأس، كأنهم لم يتقبلوا المخلِّص. المصلوب وحده في هذه الكنيسة، تتتابع صوره كثيراً ولكنه أليم جداً: مصلوب قرون وسطى أوربيه لا ينساب شيء منه إلى القيامة. لا أحد هنا في هذه الرعية كليم أحد. الكاهن نفسه يتكلم بيأس شديد، بكفر كامل وبعد حديث «إرشاد» كله ضلال، يتركه المؤمن الذي يسترشد وينتحر في الطريق. الكاهن لا يتأثر. يلتقي إمرأة الميت ولا يعزِّيها. ليس في جمعيتنا الرابعة ما يدعك تشعر أننا ذاهبون إلى الانبعاث إلاَّ إذا كانت طريق القيامة أن نسند ضعاف الأرض. ولكن ما الفرق، في النوعية، بيننا وبين غيرنا على مستوى هذا السعي؟

**قد تكون الارثوذكسية في هذا المؤتمر نفحة** . كذا يقول البعض . إنها تلحّ هنا على الصلاة ، على دوام الله وذكره . والأرثوذكسية ، في كثرتها ، آتية من تلك البلدان التي ألحت على مادية الأشياء . ولكن الأمر الساطع هنا أن انحلال الغرب وماديته أفظع وأفتك . يأتي الشرقيون ، قلت والذبيحة الإلهية هاجسهم ولا يفهمون دنيا لا تَسبحةَ فيها . لذلك يتأخر هذا الأسقف أو ذاك الأرشمندريت دائماً عن الاجتماعات الصباحية . الشيء الجديد أن الأرثوذكسيين أكثر الوفود المذهبية عدداً ويقولون القول الواحد هنا وهناك . واحدهم فيما يبتغون مع قلة عزيزة من الأقباط والسريان والأرمن وتحدِّيهم للمواقف « البروتستنتية » قوي . بالواقع ليس هذا تحدياً للفكر الإنجيلي ولكن لهذا الانفلات الغربي ، لهذا الاضطراب ومبعثه عقلانية وشكٌ تسربا إلى الكنائس وجعلاها في أزمة خانقة . **الشعور هنا يسود أن الكثلكة ، إذا ضمَّت كلمتها إلى الكنيسة الشرقية ، قادرة أن تنقذ نفسها والبروتستنتية من البلبلة** . الشيء الكثير ، في الكثلكة ، ينهار . اقتبال كهنة لاتين المناولة في الخدمة اللوثيرية كان صورة عن التفسخ الحاصل في كنيسة الغرب . مع ذلك ، في صحراء أسوج المترفة ، لا شيء يبدو صامداً مثل المسيحية القديمة . في ابتعاد الناس هنا عن ذكر الخالق كانت هذه المسيحيَّة الشرقية شاهدة ، كنا بحنين إلى من يأتي ، وسط الضياع ، ليصرخ «لا إله إلا الله» علَّهم يتَّقون .

**الأحد ٢١ حزيران ١٩٦٨**



# خواطر أولى من اسبانيا

حرارة الطقس الشديدة التي تلقيت لم يكن يماثلها سوى حرارة هذا الشعب. يشاركنا عيوباً وخصالاً ويحب العرب محبة دفوقاً. في محفل كبير قلت للناس: «أنا مسيحي عربي» فعقَّب على ذلك عريف الحفلة وكان من الأندلس: «أنا أيضاً مسيحي عربي». تراثنا في كل مكان حتى في الشمال في كاتدرائية بورغس مثلاً سقف القبة عربي ومن تحته يأتي الطراز الغوطي. في دير هنا أيضاً في بورغس أحد سقوف الدير اثر زخرفي نقش عليه قصيدة عربية. رئيس الأساقفة قال لي: «نحن نحب العرب». طاقة يجب استثمارها ولا سيّما أن للاسبان أهمية في الكنيسة الكاثوليكية كبرى.

الكثلكة هنا قسم كبير منها على شيء من المحافظة. برقية من قداسة البابا إلى «اسبوع الإرساليات» هنا قُرئت وقوفاً. في بعض النواحي، الأشكال قديمة: المطرانيات قصور ملوك، الطواف بالقربان في المدينة يشترك به المحافظ والسلطات العسكرية، العبادات الشعبية أمام جدران التماثيل المرتفعة وراء المذابح، التقديس الكلّي لما تقوله رومية ـ وما تقوله رومية يحسم البحث ـ كل ذلك يبقيك في أجواء

لم تعصف بها رياح التجدد كالذي نلمسه في بقية الديار الغربية ولا سيَّما في هولندة .

**ويعزو البعض هذا التشدد في المحافظة إلى الجيل الذي عايش الثورة منذ ثلاثين عاماً** . وكأن الفرق ـ في الدين والدنيا هنا ـ بين الذين عرفوا ويلات الأمة الاسبانية آنذاك والذين لم يعرفوها . الاكليروس الناشيء ، الكثير منه على هدى المجمع الفاتيكاني وما بعد المجمع . يرتدي اللباس المدني بالرغم من توجيه من السلطات معاكس . ولكن السلطات في الكثلكة اليوم لا تصادم . استغربت جداً أن كاهنين صافحا مطراناً مصافحة عادية بلا السجدة المألوفة عندهم ولا تقبيل اليد . في شؤون أخرى خطت الكنيسة خطوات بعيدة . القداس يقال كله بلغة الشعب بلا لفظة واحدة باللاتينية .

الكثلكة لا تزال في مخاض . ثمة تخوّف من مجمع الأساقفة المقبل الذي دعا إليه البابا . الكنائس تخشى أن تسحب البابوية منها الامتياز الاقليمي الذي اعترف به المجمع الفاتيكاني الثاني . الموجودية الوطنية كل واحدة منها قد تتلاشى بتدابير قانونية جديدة تتدعَّم فيها المركزية البابوية من جديد كأن الحساسية الرومانية لم تبلغ بعد مستوى العقل الكاثوليكي الذي أخذ يهتدي ، ولو بطيئاً ، إلى الفكرة المجمعية .

لا ريب الآن أن مفهوم السلطة في الكثلكة في أزمة ، ليس فقط لاهوتياً ولكن على مستوى الشباب الاسباني المؤمن . الرئاسة البابوية ،

بمضمونها التقليدي ، آخذة بالانهيار والتساؤل يبقى إلى أي حد تتفق آراء لاهوتيين كبار مع عقيدة الرئاسة والعصمة . **والتساؤل الأدق والأصرح الذي يرفعه الآن أحد المفكرين هو إلى أي حد الكثلكة خالية من التلاعب اللفظي** ؟ إلى أي حد تستطيع أن توفِّق بين قديمها وحديثها ؟ وهل الشرح الليبرالي القائم اليوم فيها لا يقوِّض دعائم إيمانها ؟ ألا تقضي بساطة المسيح بالقول بأن خطأ ما قائم في بعض النصوص ؟ السؤال الذي أثاره أمامي أحد اللاهوتيين هو كيف يوفِّق البابا بولس بين عودةٍ ظاهرة إلى المركزية وبين ما يقوله للبطريرك اثيناغوراس عن وحدة ومشاركة ؟

الحقيقة مع ذلك كله لا بد أن تعلن عن نفسها . **الجميل في الكثلكة اليوم أنها تحررت من عقدها** . الكاثوليك الواعون في أوربا يقبلون منك كل نقد مهما قسا . إنهم وصلوا إلى تواضع يجعلهم ساعين إلى الحقيقة كائناً ما كان قائلها . سيدة تدرس الفلسفة الجمالية وحضارة العرب قالت لي : « كنت أتأمل هذا الصباح الآية : « ورأينا نجمه في المشرق » وهذا عنى لي : « أن التقليد الشرقي سوف ينقذنا » . في هذا البلد المتأصل في الكثلكة يتكلمون عن الأرثوذكسية بحب .

أشك أن الأرثوذكسيين تحرروا بالقدر نفسه . خوفي عليهم أنهم خلف تراثهم ، أنهم لم يبلغوا إنسانياً قامة هذا التراث العظيم . لاهوتي إسباني يكتب أطروحة عن « معرفة الله في العهد القديم » قال لي : قرأت بعض اللاهوتيين الأرثوذكسيين حول معرفة الله ووجدت

أنهم حافظوا أكثر منا على مفهوم الكتاب المقدس في موضـوع المعرفـة الإلهية . كاثوليك الغرب يقولون اليوم كل شيء ببساطة . كنيسة تنتج بشراً كهؤلاء لم تَمُتْ.

**الأحـد ٣ آب ١٩٦٩**

# خواطر إيطالية

قصدت رافينا ملتمساً الفن البيزنطي . وفي طريقي إليها قرأت أن رئيس أساقفتها سوف يقترح على مجمع الأساقفة المنعقـد قريبـاً في الفاتيكان أن ينتخب الحبر الروماني ، بدل الكرادلة ، مطارنة العالم أجمعون .

حاولت أن أواجه المطران لأناقشه رأيه فلم أفلح . كنت أود أن أقول له شيئاً كالآتي : باقتراحـك لا تصبـح الكنيسـة ذات أسـقفية فعّالة . لا هكذا تمارسون الجماعية الأسقفية . بالعـكس ، توطـدون سلطان البابا على العالـم . الانتخـاب من قبـل الكرادلـة كان خطـأ القرون الوسطى ولكنه أقل خطأ من اشراك المطارنة كلهم . ذلك أن مجلس الكرادلة قائم على وهم حقوقي من أن الكرادلة إنما يقومون بهذا الانتخاب بوصفهم كهنة أو شمامسة في كنيسة رومـا المحلية . وشـاء ظرف سياحـي أن أدخـل كنيسـة القديسـين قزمـا ودميانـوس فرأيت الكردينال وليبراندس يتسلم احتفالياً رعاية هذه الكنيسة وكأنه فقط أول كهنتها . **الكرادلة بالتالي ينتخبون البابا لكونهم اكلـيروس المدينـة . الإصلاح يكون بجعل المدينة حقاً مسؤولـة عن انتخـاب أسقفهـا .**

ويغدو ذلك تعبيراً قانونياً على أن الكرسي الروماني استعاد الشكل القديم لاداريانه .

أما إذا أخذت الكثلكة برأيك يا سيد رافينا فيكون خطوة تباعد بينكم وبين الشرقيين إذ تكون الإقرار الإداري على أنكم لم تفهموا معنى الكنيسة المحلية التي كافحتم من أجلها . هذه الكنيسة هي كمال المسيح . إنها ليست بحاجة إلى هرم يعلوها إذ ليس شيء أعلى من المسيح مع شعبه . **حيثما الرعية مع رعاتها تتغذى بالجسد الإلهي والدم الكريم فهناك الفادي محقق الوجود** . وماذا بعد الفادي ؟ أنت تريد أن تتخلص من الولاية الرومانية المباشرة عليك ولكنك لا تلاحظ أن هذه الولاية ستبلغ ذروة قوتها عندما تهرولون جميعاً إلى روما لتقولوا لها انها رئيسة العالم .

ماذا تكونون فعلاً قد قلتم ؟ شيئاً كهذا : لقد ناضلنا في المجمع الأخير لتكون لنا « مجالس اساقفة » في كل بلد وذلك لاقصاء حكومة الفاتيكان ( الكوريا ) عن شؤوننا . ولذا نتدبر أمرنا بأنفسنا .

ولكن ألا ترى معي يا سيدي أنكم تكونون ، عند ذلك ، ممارسين بصورة جديدة المركزية التي أردتم أن تتهربوا منها وأنكم لا تزالون عاجزين عن رؤية كنيسة لا تكون الكلمة الأخيرة فيها للبابا .

لا تظنوا أنكم بذلك ترضون الشرقيين . بالعكس **لا أحبَّ على الشرق الحقيقي من أن يبقى البابا إلى الأبد أسقفاً إيطالياً تنتخبه مدينة**

**روما أو على الأكثر أبرشيته أو بطريركيته** . هذا هو النهج الطبيعي عند الشرقيين ليكون البابا بطريركاً للغرب أو مقدّم البطاركة في العالم .

***

ما أعجب روما ! تصلّي الآن بلغة الشعب . لقد استطاعت أن تستقل طقوسياً عن اللغة اللاتينية . الشرق وحده يجب أن يؤكد سريانيته أو يونانيته في صلاته . إزاء من ؟ هذا لا يعني أن روما تعدو كالآيائل . اللياقة وحدها جعلتني أستمر في القداس في كنيسة القديسين قزماً ودميانوس بعد أن سمعت : « من أجل المسيحيين المنشقين واتحادهم بالكنيسة من الرب نسأل » . كنا نرجو بعد المجمع ألّا تتكرر عبارات كهذه . بعد الخدمة الإلهية ذهبت لأهنىء السيد ويلبراندس . عانقني بقبلات ثلاث . قبلة يجب أن تلغي جملة في القداس رهيبة .

الوحدة في الأفق البعيد إلّا عبر حلول تفوق العقل والوصف كأن يهدي البابا الفاتيكان إلى الفقراء ويستأجر بيتاً لنفسه في حيٍّ لهم . ما عدا ذلك **الكارثة وحدها توحِّد ، فاجعة عالمية تتداعى أمامها أبحاث اللاهوتيين ، موت مشترك ، كما كان سولوفيوف يقول ، قبل انبعاث واحد . شيء كعنصرة مذهلة** .

***

شيء من هذا الذهول اعتراني يومين في رافينا وأنا أقضي ساعات

أمام الفسيفساء الرومانية والبيزنطية . لا يهمني هنا دقة هذه الصناعة والحذق في صناعة الحجر ورصفه وغنى تلونـه . كم من أخضر وكم أزرق على قبة « معمودية الأرثوذكسيين » ! إذا تركت الجمال لتصل إلى مفهوم التأليف أو لتدرك الأعماق الـروحية في الأسلـوب البيزنطـي لا يمكن إلا أن تختبر ، بصورة شبه حسِّية ، **إن هذا الفن مجال لقـاء مع الله . هذا حضور الله على الحجر عن طريق المُلهَمين** . إن كان الله ليس هنا فلماذا يكون فيك عند مشاهدتك هذا الذي يجدر أن تقول بسببه : « حسن يا سيد أن نكون ههنا » .

هنا رتل من العذارى يعدو إلى العذراء وإزاءه ، على الجـدار الآخـر ، جوق من القديسـين يخطـو إلى المسيح ( كنيسـة القـديس أبوليناريوس الجديدة ) . في كل مُصلّى يأخـذك ذهـب الأبـدية ومنـه يشرف القديسيون عليك بعيون هي وحدها ترى وببركات الهـدوء ، بأجسام ، كما في حاشية يوستنيانوس ، امتشقَتها السماء بسبب محبتها للمعلِّم . هذا تراه في وجه كوجه القديس مكسيمانوس الذي أضحـى صفاؤه تحدياً حتى تهرب إلى الجحيم تاركاً كل هذا خلفك أو تلاصق ملكوتاً ليس دونه وجود . الفن البيزنطي في رافينا يقطع أحشـاءك أو يجعلك مثله ذهباً مُصفّى .

***

الصورة ، النغمة ، الدعاء هذه كلها إطلالات الوحدة علينا . لقد أخطأ الناس لمّا حَسِبوا أن الكلام النظري ، الفلسفي لغة عالميَّة .

**الشعر وحده لغة التخاطب الكاملة . لذا أتى كلام الله شعراً ظاهراً أو كامناً ينفجر فيك** . حوَّلته حاجة الدفاع إلى نثر وانقسمنا أحياناً حول كلمات . إلهام جديد خليق بأن يُعيدنا إلى ما كان في الكلمات التي بين أيدينا من إلهام . في بيت لحركة مسيحية بقرب روما فسيفساء عصرية تمثل العنصرة بشكل ألسنة نارية تحل على العالم الحديث . الشخص المديد في اللوحة ، العذارء مطروحة كلها في ألسنة من نار ، الطهارة التي تأبى أن تنثلم أساس لغد لنا يتلهب بالروح .

قبرص **الأحد ٥ تشرين الأول ١٩٦٩**


www.christianlib.com

# الفصل الثالث

## الاسلام



# توديع رمضان

شهر الصيام لقد كرمت نزيلا
ونويت من بعد المقام رحيلا
وأقمت فينا ناصحاً ومؤدّباً
وشفيت منا بالفؤاد غليلا
نبكيك يا شهر الصيام بأدمع
تجري فتحكي في الخدود سيولا
أسفاً على الأنس الذي عودتنا
وصنيع فعل لا يزال جميلا
شهر الأمانة والصيانة والتقى
والفوز فيه لمن أراد قبولا

بهذه الأبيات وغيرها يودّع المنشدون رمضان . ذلك لأنه رياضة المسلمين على التقوى وانتهاج آداب الاسلام في صفاء العبادة ومبرّات التهجد. والصوم ، لا شك ، في معانيه مهما اختلفت الائمة في المفطرات . فكلّ ركن من أركان الاسلام قائم بالنيّة والاخلاص . ولا يهمنا في هذا المجال

اختلاف رجال الشرع فيما ينعقد به الصوم من النيّة لان الموسم موسم تطهّر وتقرّب وخشوع . ومن هذا القبيل هو حج الى البيت بل الى رب البيت . ولعلّه خير طرق العبادة في الاسلام لانه اعراض عن الدنيا في سبيل الله وحده : « الصوم لي ». فمعراج المؤمن الى ربّه ليست درجاته الامساك عن الطعام والشراب واللمس وحسب . هذه هي التكاليف الظاهرية . انه امساك النفس عمّا يؤذيها من مكاره، وعفة عن المعصية . انه اعتكاف في المساجد للصلاة والتلاوة ونجوى الله . وأول ذكر للصوم — صوم مريم — مرتبط بالصمت والهدوء : « اني نذرت للرحمان صوماً فلن أكلّم اليوم أنسياً » . في رمضان كانت ليلة القدر « وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها » . الملائك في حملها الروح أليست تغلق أبواب النار دون المؤمنين وتفتح لهم أبواب الجنة بمنتها وسخائها طيلة الشهر المبارك وكأنه أمسى رمزاً للحياة الروحية كلها حسب قول أحدهم :

اذا ما المرء صام عن الدنايا

فكل شهوره شهر الصيام

ذروة رمضان عند خاصة المتعبدين هو كف الحواس كلها عن الآثام وصوم القلب عن الهموم الدنيوية وكفه عما سوى الله . واذا استجاب الصوّام لشريعة الصوم بصورة خارجية بحتة ففي كل مذهب مَن ضعفت روحيته وردّ عليه صيامه لأنه لم يبلغ غايته . اما الذين بلغوا من آداب صيامهم شأواً عظيماً فقد قال احدهم متوسلا : « الهي وقف السائلون ببابك ، ولاذ الفقراء بجنابك ، ووقفت سفينة المساكين على ساحل كرمك ، يرجون الجواز الى ساحة رحمتك ونعمتك . الهي ان كنت لا

تكرم في هذا الشهر الشريف الا من أخلص لك في صيامه، فمن للمذنب المقر اذا غرق في بحر ذنوبه وآثامه . الهي ، ان كنت لا تقبل الا العاملين ، فمن للمقصّرين ؟ الهي ربح الصائمون، ونحن عبيدك المذنبون، فارحمنا برحمتك ، وجد علينا بفضلك ومنّتك ، واغفر لنا أجمعين برحمتك ، يا أرحم الراحمين » .

هنا غدا الصوم نافذة على الحب الالهي الشامل .

الاحد ١٧ شباط ١٩٦٣



# أقبل العيد

أطلّ عيد الفطر المبارك بعد جهاد الصيام والبركات التي أنزلها على المؤمن .

واذا كان المسلم لم يؤدِّ زكاة الفطر قبل انقضاء رمضان، يقوم بفريضته هذه في اول شوال قبل الصلاة. ذلك لان الارتفاع الى الله شرطه امتداد المؤمن الى أخيه . ان تلازم الصوم والزكاة ليس فقط تلازم ركنين من أركان الاسلام ولكنهما متصلان أتصالاً وثيقاً في غير دين. فإن ما يوفّره الصائم من طعام يعطيه المساكين . ومن هذا القبيل يبدو لنا الصيام لا وسيلة من وسائل التقشف بل بعداً من أبعاد المحبة .

واذا اصطبغ المتعبدون صبغة المحبة في عيد ليس صغيراً بشيء فما ذلك الا استعداداً للتضحيات الكبرى التي ترافق المؤمن طيلة حياته ويرمز اليها عيد الاضحى الكبير . وفي كليهما ، وجه الله الكريم هو المبتغى . هذا هو المعنى الاسمى للتوحيد . ان التطهر من الشرك لا يعني شيئاً في آخر المطاف ، ان لم نرد به الاخلاص العميق لله . فلا نجمع معه صنمية الشهوة والعزّ الدنيوي والأمجاد الفارغة . ان عزّة المؤمن ان يصبح الله عند القوم عزيزاً .

هذا التوحيد الادبي الذي ندعو اليه ما كان التوحيد العقائدي الا مفتاحاً له وشرطاً وضمانة . ثمرة العقيدة طهارة القلب وسيادة الرغبات في سبيل العمل الصالح وتغيير الكون .

معاني العيد هذه جمال كلّ من أسلم الى ربه بالعفة والصفاء . ولذلك فهي تراثنا جميعاً . ومن هذا القبيل ، عيد الفطر هو عيد كلّ الذين يقولون ان الله احد وما يئسوا من بنيان العالم على الاستقامة والعطاء دون حساب ، لا لطائفة واحدة او شعب واحد، بل لكل من انعكس على وجهه شعاع من إله .

هذا هو طريق الفلاح . وانـّا نرجو الى الله ان يكون هذا طريق المسلمين في الارض جميعاً وفي دنيا العرب خاصة . ذلك لان تقدّم المسلمين في دروب الخير تقدّم للانسانية قاطبة. وهو لا يقوم بدون اقبال على القيم الكبرى والرقيّ الانساني بمرافقه جميعاً. ان سلوك سبل كهذه لن يتم بالوجل بل بالانفتاح الكبير على ارث خلاّق. فاذا انحسر الاستعمار عن العالم العربي، يبقى امامنا كل مجال التحرر من العقد التي كنا نعانيها تجاهه ومجال تعمير الدنيا. ستكون العرب عندئذ في قلب بناء التاريخ. بقيمهم القديمة وقيم غيرهم يقيمون صرحاً ناطحاً السماء .

الاحد ٢٤ شباط ١٩٦٣

# عيد الأضحى

في صبيحة اليوم وهو العاشر من ذي الحجة ، بعد الصلاة يسعى الحجاج الى وادي منى . ويندفعون نحو جمرة العقبة ، والجمرة تطلق على اكوام الحجارة في منى التي تتجمع من الحصيات يرميها الحجيج، ويقول المسلمون عن رمي الجمار بأنه رجم للشيطان وهو رجيم. ثم يؤدّي الحاج مناسك اخرى اولها النحر . ويضحي بالابل علية القوم ، وغيرهم بالغنم ويتصدقون على المساكين بلحومها وللمضحي ان يأكل من اضحيته .

والتضحية في منى عادة عرفها العرب في جاهليتهم ويرجعها بعضهم الى ابراهيم وقد أقرّها الاسلام في سورة الحج : « ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر اسم الله وجلت قلوبهم » . اي جعلنا لكل امّة ان يذبحوا لوجهه على وجه التقرب والقصد من ذلك ذكر اسم الله . « فله اسلموا » اي اخلصوا له الذكر واجعلوه له وحده. وهذه بشرى للمخبتين اي المتواضعين الخاشعين الذين تتحرك قلوبهم الى ربّهم اذا ذكر .

وبعد ان يتكلم القرآن عن الذبائح يقول : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » اي لا يتقبل الله الاضاحي اذا قربت فالتقريب لا يغني عن احد ان لم يراعِ النية والاخلاص . وفي الانجيل: « ولم ترض بالمحرقات ولا بذبائح الخطيئة » .

ولا تجب الضحية على احد ما لم يضطره الى ذلك نذر او اثم . واثم الحاج بما يخالف به الاحرام فيجبر عند ذاك على ذبح فدية .

عند نهاية الحج ، وهو حج الى رب البيت ، يتقرّب المؤمن الى ربه عن طريق التضحية ، والتضحية، في جذورها العميقة، ذبيحة عن اثم كما تقول التوراة . وكان اهل الجاهلية اذا نحروا الابل وغيرها نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم، فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك، فنزلت ( تفسير الكشاف ) . شيء كهذا كان يُؤدى في بيت المقدس عند اليهود .

كل هذه شعائر يتدرب بها الانسان على الخلوص . وهذا من صميم النصرانية والفداء ركنها الاوحد . وصدى ابراهيم في الاسلام يحلو لها ولا سيما انه عندها أبو المؤمنين وراسم الذبيحة الكاملة .

ان العيد كان سعياً الى الله وكل ما عدا الله رمـــز . الا جعل ربنا طريق المسلمين في الارض طلباً لرضاه وأقام في قلوبهم ذكره وقرّبهم اليه بالتقوى فحررهم من كل خوف واحلّ فيهم الطمأنينة اليه وكشف لهم وجهه .

هذه السنة ، الاحد وهو اضحى المسيحيين الاسبوعي ، جسر بين العيد الكبير وذكرى الشهادة في لبنان . ذلك ان الحقيقة الكبرى التي تنبع من الدين الى الاسرة الوطنية اهراق النفس حتى النهاية . وكأن البلاد ، بكل نخلها ، تختبر في يومين من أيام التشريق التابعة للعيد الاسلامي ، كل معاني الفداء .

السبت ٤ أيار ١٩٦٣



# في وضع رمضان

الذين أسلموا لله من كل دين خاشعون في رمضان اذا جاوروا أهل القرآن . فأن هؤلاء الى ربهم منصرفون وبهذا التبتل يُطلقون في الارض بركات . وجوههم شاخصة الى الدار الباقية. نفوسهم راضية. يتواصون بالصبر ويتواصون بالمرحمة عابدين الله مخلصين له الدين. يَذكرُونه بكرة وأصيلاً ويسبحه أقربهم اليه ليلاً طويلا .

كان المستشرق الكبير ماسينيون يشارك المسلمين بعضاً من صيامهم وقد عاد الى ايمان آبائه ، كما عاد اليه سواه في الغرب ، بسبب تأملهم في تقوى المسلمين . كان ، رحمه الله ، نصـــيرَ كل قضية اسلامية في أدنى الأرض وأقصاها واستطاع أن يجمع بين اخلاص للنصرانية أكيد وتجذر لاهوتي فيها ومساهمة في حركاتها النهضوية من جهة وبين تفهم للاسلام ولا أعمق .

شيء من هذا يعوزنا في دنيا العرب من هذه الجهة ومن تلك . أن التئامنا حول الشأن القومي وحده لا يكفي في المدى البعيد اذا اصطلحنا على أن أمور الدين لا يسوغ البحث فيها فيقوم بيننا جدار من صمت ، اصطنعناه من أجل وئام نرغب فيه ولكننّا لا نرسّخ قواعده على ما هو

أبقى من الوجود السياسي كله. ونكون ذاهبين في التمويه شوطاً بعيداً اذا اعتقدنا بأن المجاملة تجعل العلاقة طيبة . ونحن على ضلال مبين اذا احتسبنا أن الملاطفة تغني عن العقل . والحق أن الاسلام والمسيحيةعلى موعد لم يتم وأن شروط اللقاء الفكرية لم توضع حتى الآن عندنا بصورة وافية .

أليس من الممكن ، على صعيد النظر ، ان ندخل في نهـج الحوار بحيث يصغي أحدنا الى الآخر اصغاء صبوراً منطلقاً من أن عند الآخر قيماً تجتنى وأن الاسلام والمسيحية ، كما يشرحها الائمه ، يجب أن يستوقفانا من أجل تحسس حق لهما وبغية مواجهة مسؤولة لما في صدور الناس من مشاكل تنهَدُ ومواقفَ تُحسم ؟ أليس خليقاً بنا أن نهتدي بالقول الكريم : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ أن حياة البشر جميعاً قائمة على المعرفة التي هي وحدها بابنا الى الحرية .الى جانب استمرار الدعوة الدينية ومحبة للغير وتقدير ، يحتاج هذا البلد ، قبل الطعام ، الى دراسات علمية عن الديانات الكبرى لا قدح فيها ولا جدل ولا دفاع ولا فخر . وذلك على كل المستويات العقلية . هذا شرط أساسي لوجودنا المشترك وانطلاقة للمقابلة الروحية الهادئة الصافيةبيننا.

الاحد ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٤

# قيم رمضان

ان المسلمين متبتلون غداً الى ربهم بالصيام ومنطلقون في أعماق مجاهدة روحية كبرى اذا هم وقفوا على أسرار رمضان كما تتجلى مما تركه لهم علماء الآخرة. انها لخلوة فضلى للتواصي بالحق والتواصي بالصبر ولا سيما ان « الصوم نصف الصبر » كما جاء في الحديث. ومن أهم ميزاته، اذا قورن بسائر أركان الاسلام، أنـّه يُنسب الى الله اذ قال تعالى في ما حكاه عنه محمد: « الصوم لي وانا أجزي به ». ناس مشدودون الى ربهم بالأعراض عن الدنيا والتوق الى وجهه الاكرم. ذروة في الحب الالهي يبلغها الرسول عندما يقول: « ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول: ايها الشاب التارك شهوته لأجلي، المبذل شبابه لي، انت عندي كبعض ملائكتي ».

هذا قليل من كثير. والكثير هذه المقاصد الروحيّة التي تتجاوز الواجبات والسنن الظاهرة ولوازم الافطار. فهذه يعرفها المسلمون جميعاً. ولكنّ ذوي الالباب واليقين لا يقفون عند ما قال به الفقهاء، بل ينفذون الى الشروط الباطنة التي تجعل رمضان باباً من أبواب الجنة. ففي آخر المطاف، المقصود من الصوم التخلـّق بخُلق من أخلاق الله وهو الصمدية. ذلك لان من عفّ عن الشهوة غدا في أفق الملائكة ومن تشبّه

بهم يقرب من ربه فينعكس عليه نور صمديته .

على هذا المنوال كان الصوم درجات. ذلك لان المؤمن له ان يغوص في أعماق الصوم غوصاً بعيداً . قال الامـــام الغزالي : « الصوم ثلاث درجات : صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص » . امّا صوم العموم فهو التقيّد بالواجبات المعروفة وهي تُلخّص بالكف عن شهوة الطعام والجنس . امّا صوم الخصوص فهو كف الحواس جميعاً عن الآثام كغض البصر عما يذم ويكره وحفظ اللسان وكف السمع عـن الاصغاء الى كل مكروه « لان كل ما حُرم قوله حُرم الاصغاء اليه » . ومن جميل قول الغزالي : « ان لا يستكثر من الطعام الحـــلال وقت الافطار بحيث يمتلىء جوفه فما من وعاء أبغض الى الله عزّ وجـل من بطن مليء من حلال ».وهنا يبيّن حجة الاسلام روح الصوم بالدعوة الى التقليل ، وهو ان يأكل الصائم أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم. ولكن العليين من الخصوص هم أولئك الوجلون الذين لا يدرون بعـد الافطار أيُقبل صومهم أم يرد .

والقمة تبلغها تلك القلة العزيزة وهي خصوص الخصوص. امّا صومها « فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عمـــا سوى الله ... ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر عما سوى الله عزّ وجـل واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تُراد للدين » .

ان تنصرف الدنيا وما فيها الى الخالق هذا هو ابتهالنا في مستهل رمضان .

الاحد ٣ كانون الثاني ١٩٦٥

# آداب الحج

الحج من بين أركان الاسلام تمامه وهو يقابل الميلاد الثاني او صبغة الله في النصرانية وقد ورد في الحديث : « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ». ويقوم الحج على اعمال ظاهرة من أول السَفَر الى الرجوع . والمسلم التقي يتطلع الى ما هو أبعد من السنن فيعود من حجه « متأهباً للقاء رب البيت بعد لقاء البيت » كما يقول الغزالي مردداً بذلك تعليم رابعة العظيمة . وترافق السنن الآداب ولا مجال لذكرها جميعاً وهي التي يتمسك بأهدابها الخصوص الورعون. فانشغال القلب بالله عن التجارة والبذل من غير تقتير ولا اسراف « وطيب الكلام واطعام الطعام » والرفق بالدابة فلا يحمّلها الحاج ما لا تطيق والتقرب بالدم ، وكل ذلك يعبّر عن هذه اليقظة الروحية التي كانت فريضة الحج لاثارتها. فالله قَصدُ المسلم ومحجته الوحيدة. وما كان النحر وغيره سوى وسيلة لتطهير النفس فـ « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » .

كل ذلك ارتقاء من الظاهر الى الباطن او من العمل الى المشاهدة الالهية كما تقول كتب النصارى . فأول الحج الفهم والفهم في الاسلام كياني لا عقلي محض . انه التنزّه عن الشهوة والانصراف الى الله . وقد

انفرد الرهبان ، قبل دعوة محمد، عن الدنيا وطلبوا الانس بالله فزهدوا باللذّات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة ليحققوا في هذه الدار بعضاً من الآخرة وقد اثنى عليهم القرآن وعلى المسيحيين جميعاً بقوله : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ( أي عيسى ) رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله»(الحديد). لقد غبّط الاسلام طريقة الرهابين الذين عرفهم في الشرق « وانهم لا يستكبرون » . ولكن بدّل اسلوبهم في الجهاد بأن جعل الحج رهبانية الاسلام . والرهبانية ، في بلاد الشام ، لم تكن قائمة فقط على الاعتكاف بل على السياحة والطواف . ولذلك سأل اهل الملل النبي عن الرهبانية والسياحة فقال : « أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف » يعني الحج . ولذلك ذهب المسلمون الى ان الله أنعم على أمّتهم بأن جعل الحج رهبانية لهم . وكأني بالمسلمين أمة من الرهابين على غير بتولية . ينتهون الى البيت لكونه مضافاً الى الله ويبعثهم الى ذلك شوقهم الى ربهم .وفي هذا الركن كما في غيره من أركان الدين خلوص النيّة أساسي . والعزم ينبغي ان يكون صحيحاً .

وتبسّط العلماء في نقل الاعمال الظاهرة الى ما هو أعمق وأوّلوها تأويلاً مفصّلاً وتحدثوا روحياًعن معاني الزاد والراحلة والاحرام ودخول مكة والطواف بالبيت والتعلّق بأستار الكعبة والوقوف بعرفة والذبح وزيارة المدينة وما اليها .

لا شكّ ان الحج أصيل في القلب البشري وقد عرفته الأديان جميعاً. « ان انسك يا اورشليم فلتنسني يميني » ( المزامير ) . وهو ، بشكل او بآخر ، التماس لحضرة الله في متجلى مكاني . يقوم على فراق المخلوق ابتغاء لوجه الخالق الكريم . ينادي النفس شوقها فترحل . « في الليالي على مضجعي التمست مَن تحبّه نفسي، التمسته فما وجدته . انهض واطوف

في المدينة والشوارع وفي الساحـــات التمس مَن تحبه نفسي » ( نشيد الاناشيد ) . وكأنّ مهاجرة الانسان الى المناسك ، المقدسة رياضة على دخول ملكوت المحبة التي لا تنتهي .

الاحد ١١ نيسان ١٩٦٥



# ذكرى المولد النبوي

إيه محمد ، في ذكرى مولدك التي يقيمها المسلمون في الأرض ، أقف معهم متأملاً في بعض من جوانب رسالتك . إن من أطاع الله وأسلم إليه ، على دينك كان أم على غيره ، لا يستطيع أن ينصف إذا تجاهلك . ذلك لأنك في خط إبراهيم أبينا وأبيك . لقد خرج إبراهيم إلى أرض الله وميعاده والرجاء ورسمت أنت في الهجرة والاسراء ، أن الحياة الفُضلى تقوم على هذا التحوّل المستمر إلى الله . ذلك لأن كل بقاء استغراق في الفانية وغشاوة دون رؤية الجنات .

يا أيها النبيُّ الأُمِّيُّ ، لقد أدركتَ ، في تواضع عظيم ، أن الله يُؤتي الناس العِلْمَ ، وأن كل ما قرأته على الناس إنما قرأته باسم ربك . وما عرفت نفسك سوى نذير بشير . فرفعك هذا الاختفاء وراء الرسالة . فاحتملت بسببها الأذى وزهدت حقاً بدنيا شئتها للدين . وكان انشراح صدرك في أنك أدَّيت الشهادة ورأيت العرب يدخلون أفواجاً في التوحيد .

أُمِّيتك هي عذرية نفسك ، كانت صرخة على الشرك . فغدوت

في صفاء التوحيد ، كما يكون الأُمِّي أعذر بالنسبة إلى الحرف . وكان كِنْهُ الإخلاص المُنزَّه المؤمن ربه عن كل ما عداه « قل هو الله أحد الله الصمد » . قول ليس هو عقيدة وحسب . ولكنه اداب وتطهُّر ليبقى الله وحده مُهيمناً على الأرض ومن عليها ويعرف البشر أن لا قوام لهم إلَّا برعاية حقوقه .

كنت سيفاً مصلَّتاً على الأنصاب . أليست ماهية الإيمان أن يحفظ الإنسان نفسه من الأصنام تلك التي ينحتها في نفسه وخارج نفسه . المرء يقيم لشهوته الصنم خشية التردِّي في متاهات يوحِّد النفس فيها مع خالقها .

كلما تحررنا من سلطان الأنصاب لنا أن نكرر ما تلوت : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً﴾ . ( سورة الأسراء ) . ولكن الإنسان لا يستطيع الخروج على الباطل ما لم تحرره الكلمة التي ينطق الله بها : ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي عَلَّم بالقلم عَلَّم الإنسان ما لم يعلم﴾ . ( سورة العلق ) . صفحة بيضاء هذا الإنسان ما لم يكتب الله في ذهنه حقيقة . على الله وعلى كلامه ينفتح العقل إذا عقل . ولذا دارت الحضارة التي انبثقت عنك حول اللغة وعلومها . لقد تَبَتَلتَ إلى الله بكل قواك وغرت على شأنه غيرة مُثلى وأردت أن يتبع المسلمون رضوانه وجامعتهم الوحيدة التقوى فإذا هم زروا على غير هداها وعلى غير سماحة ، فإنهم لا يزالون على عصبيَّة قريش التي تنكَّرت لها .

سلام عليك ، في ذكراك ، يا من أردت أن يخرج الله الناس من الظلمات إلى النور ( سورة إبراهيم ) .

**الأحد ١١ تموز ١٩٦٥**



# في ضحى المولد

ما كان العيد ترسخاً في الماضي الا ليصبح لفتة الى المرجوات . ليس هو فرصة تفاخر بين البشر ولكنه اعتزاز بالله الآتي الينا ، من خلفنا والمطل علينا من الآفاق . فان كنا ممدودين من الذكرى الى ما يقذفه الرب في قلوبنا الآن نكون قادريه تعالى حق قدره ، لأنّ العيد انما هو تذكرة برحمته وتوق الى الباقيات بآن .

الانسان مشدود بين ماض وآت. والماضي لنا ان نجعله طاقة تكبيل او موحي بعث . أي يظهر فينا الانسان الآلة او الانسان الحركة . ان إلهنا دائماً على صورة ما نشتهي . فأما ننطوي فيه ونغيب عن المسؤولية فاذا هو قوقعة او نلحق به في المسيرة الكبرى التي يجوز فيها التاريخ ، فاذا هو ونحن حياة واحدة . الاله القوقعة صنم كالأصنام التي حطمها محمد في الكعبة .

وليس على الانسان ان يتسلق الجبال او ان يخوض البحار ليعثر على ربه المفقود . ليس عليه الاّ ان يعود الى الجهاد الأكبر ، جهاد النفس . انها هي المسجد الحرام. واذا طهرها الانسان من الرجس يصبح حراً من الانصاب ويذوق عندئذ رحمة يفرح بها ويخلقه الفرح ويكشف له وجه ذي الجلال المعتق من رواسب الماضي وظلمه .

واذا قال القرآن : « واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » أو قال: « أني جاعل في الأرض خليفة » الا يكون الاسلام سعياً الى المستقبل بهذا الزخم الالهي الذي فينا ، أي أنـــه لا يصح أن يكون سلفية في حال ، بل تطلع الى ما لا يحد وباب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه حتى يستخلف الله خلائقه الناطقة جميعاً أكانوا من دار الاسلام أم من غيرها.

والتبتل الى الله يفترض أن يتجاوز المسلم المعاصر قلقه السياسي المحض الى القلق الروحي . ان الجهاد السياسي ، وهـو الأصغر ، لن ينتهي . ولكن ما معناه وما مضمونه ، ان لم يكن للحياة الروحية قريناً ؟ومن الغريب أن يكون المسلمون العرب أضعف من المسلمين الأعاجم من هذه الناحية . ومن الواضح ان العمل السياسي ، في العربية ، على مـا له من رفعة وكرامة قد آذى الحياة الدينية الأصيلة فارتـــد الكثيرون الى الجحود والعدمية . أن في ذلك لشركاً . هذا الاستغراق في السياسات حتى حدود النسيان للالهيات وجمعها الى الغيبيات — اللفظة التي أخذت أقلامنا تستلذها — يجعلنا نخشى على العرب القول الكريم : « ومـــا ظلمناهم ، ولكن ظلموا أنفسهم » ( سورة هود ) . فكل مطلق غـير مطلق الله ظلم للنفس . ان الفتنة عن شأن الله هي الكبرى. ليس النظام الاجتماعي فقط هو الذي يجب انقاذه بل الانسان لكي لا يتعبد لأي نظام ويطلقه . هذا المخلوق الفريد لا سيادة عليه غير سيادة ربه. شيء كهذا يقوله اقبال . « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يـــذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ... لهم في الدنيا خزي » ( سورة البقرة ) . ان أمة المسلمين كلها مسجد لله. فمَن زيّن لها السياسة وحدها حياة لها فقد نهاها عن ذكر الله وأوقعها في حبال الشرك لانها تكون قد اكتفت بـذكر مصالحها دون ربها .

الاحد ٣ تموز ١٩٦٦

# قبيل الفطر

أما وقد أقبل عيد الفطر فسيُطعم الله من جوع خير المسلمين الذين لم يسرفوا في رمضان واعتكفوا وهم يلتمسون المرحمة ويسعون إلى الرضاء ويصبرون على الضراء ويشكرون على النعماء . ذكرتهم أمس في اصغائي إلى تلاوة مباركة من سفر أشعياء ، في البيعة ، تقول : « اسمعوا لي سماعاً وكلوا الطيِّب ولتتلذذَ بالدسم نفوسكم » وكأن النبي يقول إن ما عند الله من رزق وطيبات لا نفع فيه ما لم يرتبط صاحبه بالكلمة . فإذا استطابها هي كان لربه على كل شيء من الشاكرين . المعرضون عن الشهوة ، الزاهدون في الحلال ، المطمئنة نفوسهم إلى ربهم والذكر ، الذين لا يحبون المال حباً جماً لايثارهم الباقيات الصالحات أولئك يقدرون العيد حقّ قدره. فالفرح لا يبلغ مداه إلا عند كرام برَرَة ، صادقين في الورع محبين لكل الناس ، خاشعة قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق . وما عدا ذلك فقد قيل فيه : « إن الطعام للجوف والجوف للطعام وسيُبيد الله هذا وذاك » .

أكان الإنسان صائماً أم مُفطراً حسبه هذه القاعدة : « لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة » ( الحديث ) . فالصيام الحق يلازمنا العمر فيصفو

القلب فيه ويطهر ويرق « وهو يورث العلم السماوي » . يُروِّض على الانكسار ويزيل البطر . إن الذي يعاني الألم في جسده ينفتح على المعاناة الإنسانية الكبرى . يفهم مقاساة الهند وما يمكن أن تصير الأرض إليه من بلاء . ذكر الامام الغزالي أنه قيل ليوسف بن يعقوب : « لم تجوع وفي يديك خزائن الأرض ؟ فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع » . هذا الحس الكوني ما أعمقه لو رافق الناس إذا أكلوا وإذا أمسكوا . إن سعي هذا القرن إلى الحلول الجماعية ، إلى أن نبسط مشاكلنا على صعيد العالم ، إلى التكوُّر كما يقول تيار ده شاردان لسعي حميد من حيث إلهامه وزخمه . ففيه تجذر في المعضلات هو السبيل إلى شمولية التطلع . وفيه إدراك للإنسان في امتداده حتى أقصى الأرض . ولكن هذه القفزة إلى الجماعية نرجو أن لا تجعلنا في غنى عن الإنسان في أعماقه وأبديته . فالإنسان أيضاً كائن المؤاساة والتعاطف ولطف النجوى في مبرَّات الصلاة . هذه اليقظة مجلبة للنُعمى ، انسكاب للسماء دائم وفوق كل شيء قدرتنا الوحيدة على خدمة الآخرين . اليوم فردوسنا ممكن أو قل إن ولوجنا إلى عتبات الجنة بعذرية الصوم يجعل النفس كونية الأبعاد فتعفُّ من أجل الآخر . وإذا أفطرت فمن مشاركة وبذل . العطاء وحيها في كل حال .

من كانت هذه آدابه من بين المسلمين صح فيه قول رسوله : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » . طوبى لكل غريب لأنه « يعرف أن يقري الفقراء والغرباء » . كذا تنشد الكنيسة الشرقية في ذروة صيامها يوم الجمعة العظيمة قبل أن تأكل الفصح . إن الذين اغتربوا إلى ربهم من أمة المسلمين سيكون

افطارهم على نحو افطـار تلاميذ المسيح ، كما يرويه القـرآن ، حيث صلى المعلّم من أجلهم قائلاً : « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك » ( الآية ) . ألا أمدَّ الله المسلمين جميعاً ، في يوم عيدهم ، بخبز من السماء .

**الأحد ٨ كانون الثاني ١٩٦٧**



# السنة الجديدة والفطر

ها السنة تنقضي غداً والفجر لم يطل بعد على الأفضل . الفصام صارخ بين الأعياد والأيام التي تحمل الأعياد . وليس لنا أمام العام المشرف سوى الشوق . والأشواق ، بشرية كلها ، لا تنطوي على وعود . قد نبقى على الذل ، ويطول الهوان . وقد نعطى « مائدة من السماء » عيداً مقيماً .

فلسطين ميعادنا مع السماء . ومهما تقلبت الأحداث والمواسم ، هي لنا على الأرض المسجد الأقصى ، ليس لأنه حينئذ لم يكن وراءه مسجد وحسب ، بل لأن المسجد الوحيد الذي وراء القدس ، هو السماء ، كما فسَّر لي صديق منير . الإنسان انصباب مقدسات ، تذكار مقدسات ، حنين . القدس هي ذلك الجسر الواصل بين كياننا وما سنكون إليه . هي قائمة تائقة . إنها الموجود الممدود إلى الكامل . والإنسان مستقر بين الذي استلمه وما سيتقبله من أعطيات السماء . نحن نعيش الآن بلا رمز أرضي . بتمزق فلسطين لا شيء من تراب ، من روحانية التراب ، يدل على ماهيتنا ، وليس ما يشير إلى دعوتنا .

إن رمضان مع السنة ينتهي . ولكن أنَّى ينتهي جهاده وحقه ؟

أمس ذكَّرنا مفتي الجمهورية في طرابلس أن كفاح الشهوات سر الفلاح . القضية ألا يتعبد الناس للمال والجاه والجسد . وبذلك أبانَ سماحته قيم الإسلام الكبرى وربط بينها وبين شؤون الأرض . **ولا شك أن هذه الحرية الداخلية هي الشرط الأساسي لنضوج شخصيتنا وفعاليتها** . الفطر ليس عيداً عابراً ، لكنه حقيقة نعماء والفرح والخلق الروحي بعد زُهدٍ مُطهِّر . هو عيد الجماعة كلها ، يقام دائماً مع الآخرين . الفطر الحق لم يحن . إنه مقبل على المسلمين ، إذا أدركوا حريّة الروح ، وانكشفت لهم عزة الله بالعدل والرحمة . وإذا هم ارتفعوا ، فلا بد أن ترتفع الأرض . إذا هم تعالوا بالإيجابية والبنيان ولقوا الله في نفوسهم سيداً مطلقاً ، وإذا سجدت أرواحهم له بالحق ، فإنها مشاهدة للحق الذي في كل روح في العالم . فيكون الفطر ، إذ ذاك ، مائدة للجميع ، لأن الجميع يكونون قد اشتركوا في الجهاد الروحي الواحد ، من أجل الإنسان .

جهاد من أجل سيادة الله على الكون ، ومن أجل قيم الأرض التي تحضنها السماء . من أجل الحاضر والآتي ، الهُنَا والهُناك ، نتهيأ جميعاً لفطر مقيم . ولكن تجربتنا دائماً ، إذا أقبل السرور ، أن نغرق فيه ، أن نغيب عن ضرورة التأهب الدائم ، لتجاوز مسراتنا نفسها . **ما ينتظر المجاهد ليس اللذة** . إنه لا يسعى إليها ، بل إلى القيمة ، إلى الشهادة ، إلى نقطةٍ وجود هي لقاء بين حقيقة تهبط إليه ، ومأثرة يقوم بها . رجاؤه في إله ينحني ليسلم هو إليه في الطاعة . اللذة اغتراب ، أو هي إطلالة على الجمالات المُذهلة التي لم تُكشف لنا . إنها رمز وتذكير . ولكن وثبة الحياة المبدعة ليست فيها . **حقيقة اللذة الكبرى** ،

**كشفها الإنساني ، إنها دائماً ما بعد نفسها في ما يتخطاها أبداً . حقيقة اللذة ، ليست في دوامها بل في دوام الفرح العميق الذي تشير إليه .**

الحرية لا بد أننا كاسبوها ، إذا لم نبق شعب استلذاذ ، أمة متسولة ، تستبكي لتأخذ . الجديد هو في هذا التحوُّل من امتهان الأخذ ، إلى امتهان العطاء . الجديد ألا نبقى في تراث الرواية والتغنِّي والتقليد والاقتباس ، لكي نهتدي إلى الخلق ، فالمساهمة في حياة الشعوب . هذا يقتضي اقتناعاً بأن الإبداع ، مع ما يتضمنه من جهد وحرمان وزهد ، خير من اجترار اللذات ، **إيمان بأن الحضارة ليست مجرد اكتناز أو تشبه ولكنها صيرورة** . مدنية الحفظ والتصرف والتكيف ، أي مدنية التكرار ، كل هذا رمز للعتاقة ، تعظيم وتأليه وإطلاق لما عرفناه حتى اليوم ، ونكران للحقائق التي تتجلى الآن ، جحود بالتراثات الأخرى وفرادتها وعبقريتها . **كل هذا نوع من استلذاذ الذات** . والذات هنا الجماعة في انطوائها وإغراء ماضيها لها . كذا يجتر المغنّي عندنا البيت نفسه في القصيدة الواحدة مرّات ويقال إن جمال ذلك بهذه الألوان المختلفة في النغم الواحد .

أمام هذا البالي ، الإنسان الخلّاق ينشيء الجديد . إن الجديد يمتد من الموهوبين إلى الأمة . **ومرضنا نحن هو التواكل ، طفيلية الفكر والمسعى والحياة** . همُّنا أن نعرف واجب الدولة تجاهنا ، وهذه قائمة للذة الأفراد . فإذا كان ثمة من جديد ، فهو أن نهتدي من ذهنية الاستمتاع إلى روحية العطاء . **والعطاء دائماً فردي ، يبتدىء من واحد** . فالسؤال الذي عليَّ أن أطرحه على نفسي هو ماذا أعمل لأُمّتي

طاقات الابداع فيَّ ، أو كيف أموت فداء عن كثيرين ؟ **بالفرادة تغتني الإنسانية** . والفرادة تعني أنه يجب أن أغرس في الأرض شيئاً قبل أن أموت . وهذا ليس بالضرورة كتاباً أو قصيدة أو اكتشافاً علمياً . الفرادة بمتناول الجميع . إنها بالرقة ، باللطف ، بالمحبة ، بالتواضع . **أن أخلق قداسة في التاريخ ، ليس من مطمح أجلّ من هذا** .

المهم أن يمر الله إلى السنة الجديدة . ولن يعبر إلينا ، إلَّا برصانة البعض. سوف نهمل الماضي ، سوف ننسى. الله يحب الذين ينسون ما يكبِّلهم من ذكريات. السالكون طرق الرجاء قد ارتفع عنهم كابوس ماضيهم. إنهم يذوقون منذ الآن طعاماً يُرسل إليهم من فوق يستطيعون بقوته أن يُبقوا للسماء أثراً في الأرض.

**الأحد ٣١ كانون الأول ١٩٦٧**

# في المسجد

البـــدر كســـوة المسجـــد وفي الضياء يتمايل النخيل كدراويش الذكر .

**الصلاة خير من النوم** والقمر يداعب المعبد كأن الوضـوء بمـاء ونور .

الآذان سحر الملائك كأنه يأتيك من حيث تلتحم الآفاق وتفنى الأرض بانعطاف السماء .

كل تاريخنـا آذان ، منائـر تشـق السحـــب ، تتنـــادى في ليالي رمضان ، تتلألأ عند التراويح .

ودونها في صحن المسجد ركّع وقرّاء في الزوايا وعجوز هي هيكل وسبحة تردد الأسماء الحسنى بما بقي لها من تمتمات وحس في الأصابع .

لماذا جئت إلى ذلك الجامع الفريد ؟ الفن حاكم بلا ريب ولكنني استطبت الإقامة بعد نزول الغسق . نحن هنا بلا طنافس ، على حصر باليات ولكن الحجارة دافئة غناء. نَتيه في سحـر الزخـرف ، في طرب

الخط ، نتبيَّن الآيات بما لنا من شعاع ، وهي طريحات الأبدية التي لهذا النقش .

بعد المغرب يحلو هذا المسجد أو قُبيل الصبح . لعلَّ واحداً من أحياء القاهرة يفد وفي النفس اشتياق إلى الطهر . الماء إرادة نصوع ، ذلك العميق . تطوع هذا الاغتسال ، تبتل لإله . هذا الإله المختفي في الكلمة ، المطل علينا من أحرف المصاحف ، إله الصحارى المديدة والجنات المقبلة **يطيب وجهه للمساكين** .

من أجل وجهه سوف تُلامس جبهةُ المؤمن الأرض ، في رُكيعات الليل فيرى نفسه منحنية مع الجسد . تواضعها مرقاة . في إيقاعات النهار والليل ، في تحوُّلات الدنيا **يأتي المُصلِّي إلى هنا ليحارب الغفلة ويدفع عن نفسه المغريات** . يؤمُّه هذا الشيخ المقدود وكأنه منحوت فرعوني . وكما يتَّقي المسلم الحَرّ في المسجد تتَّقي نفسه فيه وساوس المطربات .

طشقند ، أصفهان ، دمشق ، المسجد الأقصى ! خمس مرات كل يوم تتنادين . خمس مرات إلهك شذى العالم .

يا مقدمات الفردوس ، دعاء من لا يعلِّي قولاً على الشهادة الأولى أن تَظلِّي ملاجىء استغفار ، يغف القلب فيك واللسان بحيث لا يكون لخطيب غضوب فيك كلمة فَصْل فتبقى العزة لله دون الناس . أجل للمؤمنين عزة ولكنها بالمعنى الذي ورد في القول القرآني : « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً ، إليه يصعد الكَلِم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » . ( الآية ) . أما الانتساب والاسمية فلا يعظم بهما قوم . إن الناس لا يكتبون لله مصيراً . فليس مجده بمجدهم ولو بلغوا

من شأن دنياهم مبلغاً . وفي كل حال **المهم الوجود لا صورة الوجود** . ولعلَّ أهم ما في جهاد المسلم ولا سيَّما في آنية الصوم أن **يتعرَّى من الزيف، من اللغو، من انتفاخ التاريخ، من الانفعال، وأن يصل إلى تواضع يرصف به نفسه مع الآخرين.** وإذا كانوا هم إزاءه على شيء من الصلف أن يذكر كتابه : « **فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون** » **( الآية )** .

في ليالي رمضان إذا كان الله وحده هو المُبتغى فإنه ، كالجَمال في جامعي ، ليس ما عداه شيء . عند ذاك للمُسلِم رؤية واحدة « **لصوامع و بِيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً** » ولو شذ المؤمنون . الله ، فوق المؤمنين جميعاً ، قبلة السماوات والأرض .

**الأحد ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٨**



# عيد الفطر

انقضى صوم كان لله . كذلك عرفه خاصة المسلمين وكان لهم رياضة كبرى وسعياً إلى وجه ربهم . بالعيد لا ينقطع جهادهم ولكنه يتحوَّل . لهم الآن أن يلتمسوا حضرة الحبيب فيما ألِفوه من طيبات الرزق وأن ينتهوا عن المنكر إذا ما ذاقوا حلاوة الدنيا . يسيرون إلى الآخرة سيراً حثيثاً لا كالكافرين « **الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرَّتهم الحياة الدُنيا** » . فإذا أفطروا فليس استغراقاً ولا استكناهاً فقد أوصاهم كتابهم أن « **كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » .

الإسلام فيما يؤكد رصانة الإقبال على الدنيا يدعو إلى اجتناب المفاتن وإلى الإعراض عن كل غلو . هذا وجه من وجوه عدله . ومن هذا القبيل كانت الأخلاق الإسلامية شبيهة بالأخلاق اليونانية في حضها على الاتزان والانسجام . ولذا يبدو لي أن مناقب المسلم ـ ولو كانت اغريقية في صياغتها عند أكابر أخلاقييهم ـ تنبع من اعتدال في القرآن صريح .

القرآن يبيح المخلوق ، يقر حسناته والتمتع به . « **يحل لهم الطيِّبات ويُحرِّم عليهم الخبائث** » . بالعبارة الانجيلية : « **جاء ابن**

**الإنسان يأكل ويشرب** » . الإنسان يستعمل دنيا أنيسا . ليس فيها عيب ولا لطخة . جوهرياً هذا هو خط الفكر المسيحي : « **كل شيء مُباح لي ولكن ليس كل شيء ينفع . كل شيء مُباح لي ولكن لا يتسلط عليَّ شيء** » . الإسلام يعرف مبدأ هذه الحرية الداخلية بالنسبة الى المخلوق .

ولكن إذا أباح الإسلام الموجودات فإنه يُفاضل بينها وبين القِيم . القيمة فوق الموجود . « **قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سؤاتكم ولباس التقوى ذلك خير لكم** » . والله فوق كل موجود فإذا تراءى وجهه الكريم تضمحل الأشياء الباقية . الله ، في آخر المطاف ، العنصر الحاسم في الاتزان ، في الحكمة التي تختار .

وإن ارتباط المخلوق بالله هو أن المخلوق إشارة يظهر الله بها . « **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجَّرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عَمِلَتْه أيديهم أفلا يشكرون** » . آخر حقيقة لهذا الوجود ليس أن يكون متعة بل أن يصبح آية . هذا منثور في القرآن من الدفة إلى الدفة .

وهذا تراث قديم . فإذا قال القرآن : « **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون** » تجد التوراة تقول مخاطبة الخالق : « **تجعل ظلمة فيكون ليل** » . في سورة يس : « **والشمس تجري لمستقر لها** » وفي المزمور : « **الشمس عرفت غروبها** » . أقوال متوازيات . المخلوق

يقودنا إلى الدهش ، إلى رؤية الله نوراً للسموات والأرض .

عسى أن يكون بعض من هذه المعاني ملتقياتنا على هذه المائدة الروحية الواحدة التي هي أعيادنا .

**الأحد ٢١ كانون الأول ١٩٦٨**



# الاعتراضية الإسلامية

ليس دور غير المسلم أن يتحدث عن التجديد الذي قد يظهر في صفوف المسلمين . ولكن لا بد لنا أن نتشوق إلى نهضة في الإسلام تستمد منه أصالتها وتتحسس العالم الحديث في آن واحد . وهذا خط تاريخي يفرض نفسه بسبب واقع المعاصرة الذي يتجاوز حدود الإسلام وحدود الكنيسة المسيحية كما كانت هذه الأخيرة مرسومة حتى عشرين سنة مضت .

لقد أبان حنا دميان هنا في الأسبوع الماضي أن الاطار الذي يتفتح فيه كل فكر هو الحرية وعلمانية الدولة . ولكني ، فيما أوافق الزميل العزيز على حقيقة هذه الرؤية ، لا يسعني إلا أن ألاحظ أن العلمانية - على مستوى الفكر الفقهي - **مشكلة من مشاكل الإسلام وأنها نقطة وصول لا نقطة انطلاق .**

ومن المزالق التي يتعرض إليها الذهن الإسلامي في مواجهته نفسه وأصوله ومجاله ومصيره أن يكتفي بالبحث الشرعي ، بالنُظُم وتحديثها ، بمقابلة شأن الدنيا وكأن الإسلام نظام يحتاج فقط إلى مرونة

إزاء هذا العالم المتطور وإلى **تثبيت نفسه** فيه بعبارات وصيغ جديدة دون أن تمس التفاسير الأساسية والمواقف التقليدية .

إن قضية البُنية التنظيمية في الطائفة الإسلامية وشؤون التعليم والمساجد وتأكيد المبادىء الدينية الكبرى والقـول بحضـارة اليوم من العموميات التي لا تكفي . الولاء التعبيري للدين بلا تفتيش ولا قلق **لا ينقذ الدين ولا أهله** . ديانة بلا خَضَّة، بلا مناظرة ، بلا اصطدام تعني أن ذويها يؤثرون **أن يكونوا بنياناً مرصوصاً في وجه التاريخ على أن يكونوا حَمَلـة رسالـة** .

التعمنيق الروحي لا يتم بمجرَّد الدفاع النظري عن الإسلام دفاعاً كما يفعل معظم الكتَّاب المعاصرين مردِّدين حجج السلف في القـرن الماضي ومستهل العشرين وراقَ هؤلاء أن يمـلأوا جعبتهـم من أقـوال الدهريين والعقلانيين الأوروبيين غير مدركين أن ما قالـه هؤلاء ضد المسيحية يمكن استعماله ضد الإسلام بمقدار كبير . جل ما يُكتب اليوم دفاعاً عن الإسلام منطلـق من هذا الشعـور على أن العالـم منصـب لمكافحته .

هذه الدفاعية تُعطي **طمأنينة كاذبة** وفي أفضل الحالات ارتياحاً ذهنياً إلى الإسلام إلى جانب تفوّقية لا تقبـل البحـث . لا ، الذهـن والتماسك المذهبي ليسا كل شيء . **المشكلة مشكلة حياة روحية** بحيث يسعى المسلمون إلى أعماقهم ، إلى الله في أعماقهم إلى لقائه الوجداني . إن هذه المشكلة هي صميم كل تجدد . هذا هو الإنسان كله . ونرجو أن يكون عدم طرحها غير ناتج من خوف ، من خشية عودة للصـوفية . الحياة الروحية وإشراقاتها واكتسابهـا والدعـوة إليهـا غـير ممكنـة **ما لم**

**يلتزمها ناس بجهد ومشقة ورسالية .**

وإن عملاً كهذا قد يتطلب رؤية للقرآن مكاناً لالتقاط الأنوار الإلهية ، مصدراً لحركة تطهير للذات البشرية وبالتالي سعياً تفسيرياً أبعد من الحرف وأعمق من اللغة وأكثر احتراماً للعلم وتحدياته بلا اصطناع التوفيق بين التنزيل والمعارف البشرية ، في فهم تاريخي دقيق لمذلول الوحي وتجاوز للظاهر في آن واحد بحيث يصبح القرآن **حياة وينبوعاً دفوقاً** .

أي شيء أقل من هذا لا يروي الغليل . الإنسان عطشان إلى الله ، إلى **إله حيّ** في روحه يشرف عليها ويقوتها . وما عدا ذلك ترداد وسياسة .

نرجو ألاَّ ينبري بعض من المسيحيين وحدهم لدعوة المسلمين إلى حياة روحية . نأمل ألاَّ يكونوا وحدهم قلقين على مصير الوجدانيات الإسلامية . لي صديق نصراني يحاول أن يُعلِّم أصدقاءه المسلمين الإسلام لأنه يريدهم في الخير ، في محبة لوجه الله الكريم ، لأنه وجد هو في التراث الإسلامي عن رحمة الله ولطفه وما حلا له حتى حدود الدمع . أرجو ألاَّ يكون صاحبي وحفنة عيسوية طيِّبة وحدهم غيورين على الإسلام ، مُنصبِّين على إنقاذه من جمود بعض أبنائه الذين يقولون بالإسلام سياسة وانقباضاً طائفياً .

ولكن النهضة الروحية ممكنة . كانت في القديم وجمدت . لا شيء في المصادر والماضي ما يمنعها أن تكون لنكون جميعاً لله شهوداً مستضيئين معاً بنور النبوءة .

هذا كلام لا يدعي صاحبه إرشاد المسلمين أو أن يرسم لهم طريقاً . الله يهدي من يشاء . ولكنني لا أستطيع أن أعتقد أن ديانة كبيرة كهذه صمدت ١٤ قرناً **بلا قوة روحية جبارة** . وأؤمن أن الله لَطَف بشعبها جيلاً بعد جيل ويريد نجاته وتعزيته وسموه بالأنوار التي جعلها هو في كتابه والرجالات المضيئين الذين لمعوا في سماء الإسلام فترة بعد فترة.

السؤال الذي يواجه المسلم المعاصر ، مثقفاً كان أو غير مثقف ، هو **إلى أي إسلام يجب أو يمكن أن أعود ؟ أية صيغة ، أي وجه ، أية دينميكية ، أي محور سيكون للإسلام في تجدده لأعتبره جزءاً من حياتي أو صميم حياتي ؟**

إن ثمة جرأة كبيرة جداً يحتاج إليها المسلمون في اعتراضهم على السلفية والتكرارية الألفاظية التي يعانون . وأنا عالم أن لهم من المعرفة والرحابة والإخلاص والخشوع ما يجعلهم قادرين على نهضوية كبرى . ولكنها رحمة ورأفة يجعلها ربك في قلوب الذين اصطفاهم لهَدْيِ من يشاء .

**الأحد ٩ آذار ١٩٦٩**

# إلى السيد موسى الصدر

لقد اعترف قومك بالإمامة التي كنت عليها وقادهم حسهم إليك « فإن القلب له وجه إلى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعاني » كما يقول محي الدين بن عربي ، أجل ، أعرف أنك ، على المنحى الإسلامي المعاصر ، على شيء من التردد إزاء الصوفيّة . وموقفك هذا يمليه عليك نهجك التفسيري . فأنت إلى الظاهر أقرب . وعلى ذلك تَبتَّلتْ روحك إلى ربها وانصرف عقلك إلى شأنه تعالى انصراف الرهابين إليه . يجذبك الاشراقيون وكأني بك يحلو لك الاستماع إلى النورانيين من كل مذهب لأن **نفسك عاشقة للبهاء الرباني الذي يأخذنا جميعاً** ولكنك تريد نفسك منضبطاً في علم الكلام ، منكباً على النص الإلهي الذي تراه متسعاً لكل الموجودات وتشاء هذه النفس مُتتلْمِذة على العقل منذ أرسطو حتى الفلسفة الحديثة وتبسطها ذاتك على الآفاق غير هيَّاب ، **تتحسس الحق حيث تلقاه** ، تقوله غير وجل في مراعاة من قد تبهره دفقات النور لأنك ، قبل كل شيء ، راع لشعب تحب ، لفقراء تفتقد بحنان الأبوة وبساطة التقى .

ولعلَّ الخير في مسيرتك الثقافية أنك جئت من دراسة الحقوق إلى

دراسة الدين والدين حقوق الله على عباده ولسان حالك يقول : الفهم ، الفهم . وإنك لتمثل ذلك في بلد هو بأمس الحاجة إلى قيم تعرضها أنت للذهن حكمة ونجاة . **وفي انطلاقك من الإسلام غدوت مفكراً لبنانياً هاجسك الإنسان** ودأبك تقويم الشباب وحراسته ويَستلذُّ القوم الاستماع إليك لأنك تحاول إدراك الأبعاد الإنسانية في إطار ثقافة رَحُبَتْ أرجاؤها وتقف حدودها فيما يوافق دين الفطرة والاعتدال . إنك ، حتى أطراف كيانك كله ، يونانيُّ المزاج تؤمن بالمجتمع الشرعي الخالي من القلق والتأزم . يعلِّمك ربك بالقلم . ولعلَّ الحكمة في اختيار مِلَّتك لك أنك ستهدي بهدوئك الجميل طائفة كانت المأساة قلمها ومعاناة الشهادة سمتها الأصيل .

« ولسوف يعطيك ربك » لتكافح الليل ما أمكنك الكفاح حتى يسفر الصبح عليكم وعلينا أجمعين . وسيعلِّمك « شديد القوى » كيف تسوس القوم ليكونوا معنا كلنا على التَحابْ . « إنما المؤمنون أخوة » . فاذكر أنك لا تريد صورة الإيمان بل الإيمان نفسه . **إنك تجاوزت الشكل إلى « المحبة القلبية اللازمة للاتصال الروحاني » وإنك لتأبى إلَّا اللطف وترغب عن المناظرة . تردّ بالحسنى ، إيماء ، تردّ الردّ الجميل** . وكان هذا يمنحنا دائماً ارتياحاً إليك وطمأنينة قلب . وكنا ، بسبب من خفرك ، لا نجرؤ على القول أنك كتلك الزجاجة التي قيل عنها في الوحي القرآني « كأنها كوكب دري » . فإذا سَمحتَ لي ، مرة ثانية ، أن أعود إلى ابن عربي « فالزجاجة إشارة إلى القلب المتنوِّر بالروح ، المنوِّر لما عداه ، بالإشراق عليه » . هكذا حاولت أن تكون . هكذا نريدك . فإنك أنت أيضاً لنا .

« وخط العيون الزرق من نور وجهك » يعني لنا صفاء المعايشة في هذا البلد . إذا لم نبق في هذه المعيَّة فالأرض منهارة والأمة شَتيتْ. فردٌ له أبعادك يستطيع الكثير . **إذا كان لطائفتك ، على صعيد الروح ، ما لك جسدياً من قامة وإطلالة فلبنان في مستهل السعادة** . إن الراصدين في الجنوب يواجهون الخطر وبالتالي حظهم من البطولة شديد . من له هذه التطلعات يتجاوز حرمان التاريخ إلى الخدمة . أليست الخدمة معراج الفداء ؟

جبل عامل ، يا سيدي ، حصن للبنان الواحد ، لبلد يأبى التفتت. نحن هنا شهادة صارخة على أن الدولة العنصريَّة دولة العَصبيَّة الطائفية باطلة أساساً، لا إنسانية منطلقاً. قد تصطحب المعيَّة اللبنانية توتراً ولكن الصبر شيمة أهل العزائم الخالقين لتاريخهم، المحطِّمين للصنميَّات. إن اندفاعكم، سيدي، في سبيل هذه الأرض ليزيدنا إيماناً بها. أنت في الشيعة لن تكون سياسياً. فإن فيها من له في هذا الفن الحول والطول. ولكن لبنان يريد منك أن تبقى في قومك مُعلِّمِ الإخلاص، مرشداً إلى السماحة. يُطلب في الإمام النزاهة. ألا عَصَمَكَ الله في السر والعلن علَّ الناس يهتدون بنور النبوءة الذي لا ينقذنا من الضلال سواه.

«الباقيات الصالحات» التَوقْ إليها يُغيِّر البلد. زينة الحياة الدنيا تحلو، لا ريب في ذلك. وكلنا بتنا على شفير الهاوية. أمثالك سيدي تنفعنا منهم العِظَة إن أَبْقَتْهم نفوسهم على العِظَة قادرين.

**الأحد ١ حزيران ١٩٦٩**



# الفصل الرابع

## الحوار بين الاديان



# البابا والأديان الأخرى

من أهم العناصر الجديدة في علاقات الأديان ان تعلن الكثلكة عن رغبتها في انشاء أمانة سرّ تتعاطى الاتصال بالأديان غير المسيحية حتى ذهب أحد الاساقفة في دورة مجمع الفاتيكان الثاني الى طلب ادخال غير المسيحيين في عداد المراقبين . ان هذا الموقف لا يبدو ناتجاً عن تخوّف من الشيوعية التي لا ذكر لها ، كفلسفة ، في هذا الخطاب الافتتاحي ولكنّه مؤسس على الاعتقاد بأنّ هذه الأديان تؤمن « بالاله الواحد المتعالي الخالق » . ان في هذا اشارةً الى اليهودية والاسلام ظاهرةً .أن هذا التعريف لا يمكن أن ينطبق على أديان أخرى . واذا قال زعيم الكثلكة أن الدين الموحّد « يقدم لله عبادة بأعمال التقوى المخلصة » فأنّه يعترف ليس فقط بوجود الصلاح عند أتباع الأديان الاخرى وامكان خلاصهم ، هذا ما كانت كنيسته تقول به دوماً . أن في الكلام تأكيداً على أن الموحّدين غير المسيحيين يقيمون موضوعياً لله عبادة .

وبالرغم من تحفّظ البابا بولس تجاه هذه المذاهب التي يرى فيها نقصاناً وأخطاء يقول أن « الكثلكة تقدّر كل ما هو حق وصالح وانساني

فيها » . وفي هذا التقرير تجاوز الحبر الروماني اعتبار الاشخاص الى الامور القائمة في المذاهب نفسها .

وتعبيراً عن الموقف الجديد استقبل قداسته رهباناً بوذيين وكهنة شنتويين من اليابان وهم أعضاء في حركة تقاوم التسلح النووي وأكّد موافقته لهم . أن في ذلك دعوة للتعاون العملي ، في شؤون معيّنة، بين المسيحيين وغيرهم على أساس العدل والخير للجميع . ولهذا السبب لام قداسته حكومة كاثوليكية على اضطهادها للبوذيين . وفي الخطاب جميعه نفحة انسانية واسعة وتقبّل للثقافة الانسانية والدراسة والعلم والفن. قد لا توافق بعض التدابير العمليّة هذا الاتجاه ولم يكن الحِبر قد جفّ عن الصحف التي نشرت الخطاب البابوي حتى سُحبت كتب بعض اللاهوتيين من مكتبات رومية . ومع ذلك تبقى تصريحات بولس السادس بعيدة عن رسالة شهيرة للبابا بيوس الثاني عشر فيها تحذير يكاد يكون شجباً من بعض الاتجاهات العلمية في دراسة التاريخ .

أن فقرة الخطاب المتعلقة بالأديان الاخرى جعلت مجرّد شجبها غير وارد في مسيحية اليوم. ان الطوائف غير الكاثوليكية لا يسعها أن ترى نفسها دون البابوية انفتاحاً هذا يعني أن سير الكثلكة يضطرها أيضاً على السير . ولا شكّ أن التصلب العقائدي لا يمكن أن يحيا طويلاً في جزء من الدنيا المسيحية اذا أخذ بالزوال في أجزاء أخرى . هذا مما يُفسّر توازي الفكر بين الكثلكة والبروتستنتية والارثوذكسية . ان هذا الانفتاح الى العالم من دواعي لقائها .

ولكنّ هذه الفقرة نفسها من هذا الخطاب التاريخي تبطل كل علاقة مَبنيّة على التملق والمصلحة الدنيوية. لا مجاملة تبطن الحقد ولا تقارب

يلغي ايماناً بالحقيقة الواحدة . ليس في موقف بولس السادس ميوعـــة عقائدية. انه ينشىء مبدأ الحوار من الجهة المسيحية ويستدعي ردّاً غير سهل من الجهات الاخرى . دور علماء اللاهوت والكلام والربانيين أن يدققوا فيما اذا كان الحوار ممكناً على المستوى الفكري أم أن العلاقـة كلها بين الأديان الموحّدة دعوة سلام وتعاون وسموّ مناقب .

الاحد ١٣ تشرين الاول ١٩٦٣



# الحوار بين الأديان

اللقاء بين الأديان أو التحاور فيما بينهما احدى مشاكل الساعة في العالم الحديث . والموضوع مطروح في الهند بصورة حادة حيث تتطارح الهندوسية مسألة علاقتها بالمسيح . قد ينشأ عن اللقاء مزج واختلاط . ففي بعض من البعثات الدينية الهندوسية تترافق صورة كريشنا وصورة المسيح ، الامر الذي لا يتنافى والجنوح الهندي الى المزجية بل ينافي الايمان المسيحي . ولكن الى جانب هذا الرفض المسيحي رغبة عند الدعاة المسيحيين لينقلوا ايمانهم الى الهند في قالب فكري من عندها كما نقلوه الى العالم القديم في قالب يوناني .

ولكن ماذا تعني المحاورة ؟ هي ، قبل كل شيء ، الايضاح لان الجدل والجدل يستهدف اقناع الآخر بأخطائه في حين ان التوضيح ايجابي . وكثيراً ما يقوم الجدل على ما تفترضه أنت عند الآخر وهو تفسير منك لنصوصه وأنت تنطلق من ذهنيتك وتستشرف منها على تعليمه في حين ان المعرفة الحقة ان تستنطق وتنتقل ذهنياً وروحياً الى كيانه لتدرك ذلك الادراك الداخلي المحب وتكتشف الرصانة في تراثه الروحي . فالاستخفاف بعقائد الناس — مهما بدت لعقلك غير مألوفة — يحول دون

وصولك الى الرؤى الفريدة التي تتجلى في كل ديانة كبرى .

المقابلة الفكرية – وتفترض الاصغاء – تقتضي موقف تقشف عقلي صارم، مراقبة لكل نزوات الكبر الفكري او التعالي الحضاري ومرونة تكشف لنا القربى بين صيغتين ووحدة بين قولين متباينين في الظاهر . كما يكمن الاختلاف احياناً بين صيغتين ظاهرهما واحد وليس للكلمات الواحدة دائماً مدلول واحد .

هذا التقارب الذي يتمّ الآن بين الكنائس المسيحية شيء مثله يمكن ان يجري بين الاديان. التواضع أمام الآخر بغية التقدم الروحي واكتساب ما عنده من خيرات مقدمة لهذا المسعى . ان رهبان أحد الأديرة المسيحية في الهند يطالعون الهندوسية المقدسة ليس للتحصيل وحسب بل للافادة الروحية . وكل غنى روحي هو من الحق ومظهر من مظاهر الافتقاد الالهي في كل أزمة ، ولله في كل أمة شهود .

هذه المواقف الروحية والعقلية أقامت بين العقائد حواراً بدلاً من الدفاعية والجدل . ويبدأ الحوار حيثما يضطرني الآخر – لمجرد وجوده الواعي – ان أطرح عبر نفسي تساؤلات لم تكن لو لم يكن الآخر رفيق حياتي . والتساؤل فيما عندي لا يعني الشك اطلاقاً ولكن قد يعني خروجاً على ميراث غير إلهي وطرحاً لما هو غير أصيل . ولعلّ الحوار يقود الى الينابيع في فورتها الاولى والى رؤية الوثبات الخلّاقة التي انطلقت منها ديانة الآخر .

المحاورة لا تنحصر في المحبة ولو كانت المحبة أصل وجودنا وغايته . ولكنّها ترسبها على الصعيد الفكري . المحاورة ليست معايشة وحسب بل محاولة تفاهم ورحابة تجعل أحدنا وكأنه الآخر وهو لم يفقد هويته

الايمانية . قيل مرة لعقائديّ مسيحي كان يحاضر في الاسلام : عندما سمعتك ظننت انك مسلم . فأجاب هـذا ثناء عليّ . لو لم أتعشق قيماً اسلامية ،لو لم انتقل ذهنياً الى خيرات الاسلام لما استطعت ان أقول فيه شيئاً صحيحاً وانا في كل ذلك أمين الى مسيحيّتي .

اذا تمّ شيء من هذا فنحن في حوار .

الاحد ٤ نيسان ١٩٦٥



# المسيحية والإسلام في لبنان.

هي اولى المحاولات التي تقوم بها الندوة اللبنانية بتؤدة لبناء حوار جديد في لبنان بين ديانتين كبيرتين. انه لنداء لنا جميعاً من اجل ديمومة هذا الحوار . والحوار يفترض التلاقي لا التعايش وحسب. والفرق بينهما ان المعايشة تلاصق اجتماعي، تراكم فئات تتجاور ولكنها ليست بالتداخل الحياتي — الفكري .

التلاقي الوجداني—العقلي يحول دونه اولاً دستور لبنان وثانياً شيوع افكار مغلوطة . فالدستور يقوم على نظام طائفي يستتبع التناحر على المناصب وتنازع مصالح يجعلان المرء متعلقاً بالطائفة التي ينتمي اليها لا ايماناً منه بدين بل دفاعاً عن مغنم . فعند الضرورة ، الملحد فينا مسلم او مسيحي لان في ذلك ما يثبت المنفعة ويرسخ الوجود الزمني . فاذا كان موقفنا الحياتي دفاعياً — والتنظيم الطائفي يفرض دفاعية هي مستميتة أحياناً — فالذهن عندنا متوثّب للهجوم . فكيف يتم ، عند ذاك ، حوار اصله ان الآخر ليس عدواً وانك لا تسعى الى قهره ومبتغاً كما المصاحبة لطلب الحق . والحق من أجل نفسه ضالة قلة عزيزة في ظل الطائفة السياسية .

وامّا الفكرة المغلوطة التي تجعلنا نتلاصق دون لقاء فاحتسابنا ان

كل بحث ديني – كائنة ما كانت لهجته – انما هو مدعاة تفريق. ولذلك نتحاشى موضوعاً تقوم عليه حياتنا القومية ويتطلبه العصر الحديث بما فيه من انفتاح لنتلهى بالاحاديث الباطلة ونغطي خلافاتنا بالمجالسة المجردة عن المقابلة الفكرية ونتحالف – ونحن مثقفون – مع القوى المتعصّبة العمياء في طائفتنا – ولنا من ذلك منافع – ونحن نقيم على أطيب العلاقات الشخصية مع هذا وذاك من الطوائف الاخرى. فالقضية قضية تقشف عقلي صارم يجعلني أكاشف الغير بما لي عليهم ان كان لي عليهم شيء ويدعوني الى الدراسة الصحيحة للأديان القائمة في البلد فالانسان عدوّ ما يجهل . والحق انك لا تستطيع ان تعرف انساناً ما لم تصل الى ينابيع فكره وتصرّفاته .

من هذا يمكن ان تنتج دراسات علمية عن الاديان القائمة عندنا وذلك منذ المدرسة الابتدائية وانتهاء بالجامعة. فالى جانب التربية الدينيّة التي يعطينا اياها مذهبنا من اجل الترويض على الايمان والتقوى فان ثمة دروساً نظرية تبتغي المعرفة المجردة لكل دين . فيذهب هكذا بعض مما نلقيه من تهم باطلة على المذاهب الاخرى ولعلّ تاريخ الآخرين يبدو اقل ظلاماً مما كنا نتصور وتتجلى لنا عظمة الرؤية الروحية عند اعلامهم وقد نتبيّن معالم طريق واحدة لحياتنا الاجتماعية نكون قد رسمناها معاً لا بالرغم من الديانات القائمة بل بفضلٍ منها ونكون هكذا ساعين الى تقريب حياتنا المجتمعية والمادية الى حياتنا الروحية لا الى الفصم بينهما. وكنّا قبل محاولة هذا التوفيق نحتسب ان الحياة المشتركة العامة بين ابناء مذاهب مختلفة ينبغي ان تقوم على تناسي الدين في حين ان الدراسات المقارنة الموضوعية للاديان لها ان تصبح سبيلاً الى التعاطف فيما بيننا ان نحن شملنا بها الاوساط والمستويات الذهنية جميعاً .

الاحد ١٦ ايار ١٩٦٥

# زوال العقلية الصليبية

في عدد أمس اطلع قراء اللسان على موجز المحاضرة التي القاها الدكتور صبحي صالح وقد اختتم بها السلسلة التي نظمتها الندوة اللبنانية حول الحوار بين المسيحية والاسلام . وقد جاء ان فضيلة الشيخ صبحي وافق المحاضر السابق الاب يواكيم مبارك على المشاريع التي اقترحها لتوثيق عرى المحبة والتعاون الفكري بين الطائفتين في لبنان . وهي نقاط جديرة بالبحث في اوساطنا جميعاً . ولعل المبادرة بالتآزر العلمي خير انطلاقة لمحاورة لاهوتية ، قد اطل عليها المحاضران الاخيران اطلالة مبدئية وجلة . واذا كان التحاور الواسع في اصول اللاهوت ، لا يزال عسيراً جداً ، بين الكنائس المسيحية نفسها ، فلا ريب ان محاورة الاديان المختلفة تتطلب تهيئة نفسانية وتعاضداً خيرياً وتقارباً بين اشخاص كثيرين . الارتقاء بطبيعته ارتقاء من العمل الى التأمل العقلي .

وقد يتساءل المرء لماذا تثار الآن مشكلة الحوار بين الديانتين الكبيرتين . ولعلّ الجواب التمهيدي عن هذا السؤال ان ليس ثمة من مبرر لهذا الحوار غير الموجب الروحي والانساني المباشر. ولقد ولّى زمن الجبهات الواحدة ازاء العدو المشترك . وقد انقسمت المعسكرات الايديولوجية وتناثرت واخذ اهلها يلمسون ان الالحاد غير منحصر في

بلد او مجموعة من البلدان وانه يتأكل المنتسبين الى المذاهب من الداخل. صليبيّة واحدة ضد عدو واحد ليست اذن واردة عند النابهين. ولكنه احساس واحد بضرورة التعمّق والتلاقي في الاعماق .

وان كان هناك من باعث تاريخي لهذا الحوار ، فهو بالضبط زوال التوتر الذي كان قائماً بين دار الاسلام والديار التي كنّا ندعوها مسيحية اصطلاحاً. فالدول التي كنا ننسبها الى النصرانية تـعـلـمـن جلها فلا يوجهها الدين ولا رجاله، ولا هي ترسم سياستها وفق تعاليمه او مناقبه. كذلك اخذت معظم الدول الاسلامية بالديمقراطية في نهج غربي او شرقي. وفي كل حال هي دول تتأسس على مفهوم قومي ولاتنزع الى وحدة سياسية شاملة. الدنيا الاسلامية ، من جهة اخرى ، في بعض اجـزائها تلعب دوراً طليعياً . وهي في كل حال آخذة بالتحرر من عقدة النقص التي كانت تعانيها تجاه الغرب . وامـا العالم « المسيحي » فيسير على درب التحرر من عقدة التفوّق ويجالس الاقوام الباقية، في هيئة الامم، مجالسة الند للند . بزوال العقلية الصليبيّة التي طبعت علاقة الدارين الاسلامية والمسيحية قروناً طوالا تعود العلاقة بين هاتين الدارين شيئاً فشيئاً الى اصلها الطبيعي . اي ان العنصرين الثقافي والروحي لا بد لهما ان يمثّلا من جديد دورهما الحاسم .

هذا التلاقي الفكري ليس جديداً ، فقد عرفه الاسلام بالطبـع في مصادره . وعرفته النصرانية الشرقية منذ اوائـــل الامتداد العربي . وليس المجال هنا لذكر المساهمة التي قـدمها يحي بن منصور ( القديس يوحنا الدمشقي ) في هذا المضمار . ولكن ما يجدر ذكره ان الجو الذي ساد علاقة الديانتين، على المستوى العقلي، لم يكن دائماً يقوم على المشاحنة الكلامية ، بل كان هناك شيء كثير من الايجابية والصفاء جيلاً بعـد جيل الى جانب السلام الذي كانت تتسم به العلاقات الحياتية حتى مطلع

الحروب الصليبية .

حياتياً وفكرياً ، فسدت الروابط بين دار الاسلام والمسيحيين عند دخول الافرنج الى هذه البلاد في القرون الوسطى. بانطواء هذه الصفحة من تاريخ بلادنا وتاريخ العالم ، من الطبيعي ان نعود الى هـــذا الحوار القديم وذلك بالاساليب العلمية التي يمتلكها القدامى وروح الالفة التي تخطـّينا بها كل خصومة تاريخية .

الاحد ٦ حزيران ١٩٦٥



# العصبية والحوار

مِن أفتكِ شهواتنا شهوة العصبية . انها أبعد أذى مما نتصور. هي ، في أدنى المراتب ، دفاع عن من تربطنا بهم القربى او يجمعنا بهم الدين او صلة أخرى . وذلك لمجرد قيام هذا الرباط وبصرف النظر عن الحق الذي يمثلون . انه لشعور ينحلّ به الانسان في الجماعة وتذهب به هويته عنه كما يذهب تقديره للامور. فاذا به انسان انفعالي يعكس هذا الغليان الجماعي وينطق على غير هدى ، لانه غافل عن رؤية الحق في غير قومه ، عائلةً كان هذا القوم ام ملةً ام وطناً .فحوى قلبه وفكره تلك الاحاسيس الهائجة التي تسيّر جماعته . وقد يوهَب هذا الانسان ذكاء كبيراً ويبقى، على ذلك،عامي الشعور ، عامي الاستجابات،ويستخدم علمه لتبرير غفلات الجماعة وما أتى في تاريخها من ذنوب . وكأنه يفقد وجوده اذا استقل عنها برأي او نَظَرَ الى ماضيها وحاضرها على هدى من بصيرته .

فالعصبيّة لا يخفف العلم دائماً من وطأتها بل كل جماعة تجد لنفسها من يفلسف غباوتها او يثأر لها لحق هضيم . وليس بصحيح ان البشرية تستطيع ، بالعقل وحده ، ان تتخطّى انقساماتها . فمحاولات العقل

المحض لا تجعل الناس في لقاء . وليس العلم المقام الامثل لالتقاء الوجدانات . ولكنّ القلب يلقى القلب والتائب يجتمع الى التائب . ساعتئذ يعلو الانسان قومه وتاريخهم وينفصل عن ترهاتهم ليواجه الله الأحد ويتعرف على من اقتبس نوره في كل حدب وصوب . ولن يكون قومه ، عند ذاك ، من ولد فيما بينهم بل كل أولئك الذين يحبّون الحقيقة ويدنون اليها بغير قناع . أجل يجب على الانسان ان يبقى متصلاً بقومه ولكن ليس على سبيل التعاضد بكل ثمن بل على سبيل الانارة ورفعهم الى درجات الحق الذي يبرّر وحده وجودنا . فكرامة العائلة او مجد الطائفة او شرف أيّة جماعة اخرى كلمات جوفاء لان فخر الانسان في خدمة تمحو الأنا وتزيل القسوة وتواضعٍ يرد الينا بصيرة ننفذ بها الى الانوار التي تتجلى عند الصعلوك والطفل والامي ّ و « المزدرى وغير الموجود » أو عند طائفة كنا نحسبها نفاية الناس .

سئل المحاسبي وهو عالِم كبير من علماء الاسلام « أليس ينبغي للمسلم ان يكره ذمّ المسلمين له » . قال : قد يكره ذمهم خشية ان يكون ذلك دليلا على ذم الله ، عزّ وجل ، له ، لقول النبي ﷺ : انتم شهداء الله في الارض ، هذا ما لم يظلموا في ذمهم ولم يكذبوا ، وكراهة ايضاً ان يغيروا قلبه فيشغلوه عن الله عزّ وجل » . لا تماسك اذن الا ّ بين الانسان وربه . ولكن تآزر بين مخلوق ومخلوق . وبذا المعنى ورد في التوراة : « لا تحابوا وجه احد لان الحكم لله » ( تثنية الاشتراع ) وكأنه يقول : بالمحاباة تعترف للآخر بالوجود ولا وجود له الا على قدر طاعته لربه . العصبيّة بالضبط زائفة لانها تلك المحاباة الفطرية التي لم نقتلعها من النفس باقامة حكم الله عليها .

هذه النفوس المتحررّة من وطأة التعصب بسبب اخلاصها لله واعتقادها بأن الجماعة لا عزة لها الا ّ به انما هي وحدها التي تقيم الحوار

بين دين ودين لان هذه النفوس انما هي الديانة الحية . اذا اصبح كلٌّ منّا انجيلاً غير مكتوب فهو مقر الله وعرشه ، في طهارة قلبه ودعته يسعى الى كل القلوب البشرية المحبّة لربها . ولا يلقى الانسان وجه ربه ، وهو في دنياه ، لقاء حسناً ما لم يفتش عن الاضواء الربانية التي رسمها الله على كل وجه . الحوار اللقاء اتيان واحد الى الله من قبل الذين لا يُشركون شهوة العصبية به . اتيان واحد يعقبه « هرولة » من الله الى الانسانيّة ، حسب رواية الحديث الجميلة .

الاحد ١٣ حزيران ١٩٦٥



# عيد الأضحى والشعانين

« ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يُسلَّم إلى أيدي الخطأة » . وكأن لا بد له من هذا المصير لأنه قال الحق وكأنه في بيئة زهوة فلم تحتمل القرية الظالمة تواضعه . فإن خشوعه ينتزع كبرا كانت تسكن وكانت تؤثر عتاقة الانتفاخ على من كان مزمعاً أن يجمع منسحقيها ليجددهم بحبه و « يسر بهم طروباً كالطروب في يوم عيد » .

كانت بالضبط هذه مأساة صهيون أن ملكها أتاها « صدّيقاً مخلصاً وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان » . فاحتاطه صبية لا يفقهون السياسة وآمنوا أنه كان هو الآتي إليهم باسم الرب وتراءى لهم أنه إذا خرجت حكمته من أورشليم « سيحكم بين الأمم ويقضي للشعوب الكثيرين فيضربون سيوفهم سككاً وألسنتهم مناجل فلا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب من بعد » ( أشعياء ) . لن يتحقق هذا الحلم إلا بقدر ما تصبح بلاد الناس ملكوت الله . ولكن الأمر فيما بيننا رجاء . فمدينة الله قائمة لدى المتواضعين وهم الذين « لا يصيحون ولا يسمع أحد أصواتهم في الشوارع ولا يكسرون قصبة

مرضوضة ولا يطفئون كتاناً مدخناً » ( متى ) . عند ذاك وبهؤلاء يصبح الله في الدنيا غلّاباً . ساعتئذ يتلاشى عنفوان الناس تلاشي الشرارة في الهواء .

غداً إذا رأينا شموع الأطفال مضاءة في البيعة ، تزيّنها الأزاهير ، إذا شاهدناهم يتألقون بالجمال سوف نذكر أن الموسم هو لمن ارتقى إلى ضياء البساطة وانتهك في النفس حُجُباً تحول دون رؤية للمخلوقات طَهور . البار وحده يُزهر ويُضيء .

حُشرت الشعانين هذا العام بين الأضحى والفصح . والمسلمون في عيدهم يحجّون إلى البيت ويقرّبون الضحايا استسلاماً منهم للحق وتذللاً لله . فالتواضع عندهم باعث البذل أو مصيره . ويؤمن المسيحيون بفدية كانت ذروة التواضع المُحِب وكأن انسحاق القلب في الديانتين قرين التضحية وصدقها .

وما صحَّ في المجال الفردي لماذا لا يصحّ عند الجماعة ؟ هل هو من الخوارق أن نطلب إلى نصارى لبنان ومسلميه أن يمارسوا التواضع جماعياً . أي أن لا يتعالى قوم على قوم ولا يعتز الناس إلاَّ بقدر انقيادهم إلى ربهم ؟ قال عبدالله الرازي : « التواضع ترك التميز في الخدمة » . أيكون تجاوزاً لهذا المعنى أن نساوي خلق الله جميعاً بالخدمة ؟ وقال أبو سليمان الداراني : « من رأى لنفسه قيمة لم يَذُق حلاوة الخدمة » . ألعلّة تجاوز للمعنى أن نقول : من رأى لطائفته قيمة من حيث هي مجموعة بشرية لم يَذُق حلاوة الخدمة لأنه يكون عند ذاك خادماً لها

بسبب العصبية لا بسببِ الله .

لسنا نحجُّ إلى قوم مهما سما تراثهـم . نحـن حُجَّاج إلى الله وتضحياته .

**الأحـد ٣ نيسـان ١٩٦٦**



# لقاء إسلامي مسيحي في جنيف

مجلس الكنائس دعا إلى هذا اللقاء الأسبوع الماضي . إلى ضاحية من ضواحي جنيف انتهينا ونحن أفراد أحرار من الديانتين . الكثرة الساحقة جاءت من أوروبا عرباً وغير عرب . وكانت لغة العجمة فيها بيننا الفرنسية أو الالمانية . العربية حملتها آيات القرآن التي كنا بها نستشهد . دار بحثنا حول أمور ثلاثة : الحوارُ أسلوباً وروحاً ووسائل ، كلام الله والكتاب المقدس أو القرآن ، الدين في عصر التقنية . كل مَبْحث تناوله الفريقان .

تساءلنا عن الصلاة . كان للمسلمين غرفة لادائها . ولكننا كنا نشترك كل صباح جالسين في ابتهال صامت . **غدونا في حضرة الله صفّاً واحداً في الدعاء للإله الواحد** ولعلَّ هذا كان خير ما أتمه الله لنا . على صعيد الفكر ، الجو لم يكن جو مناظرة بل سعي للتلاقي الروحي . حديث الحوار وحديث الدين في عصر التقدم التقني من شأنهما أن يجمعا . أما الموضوع الثاني فعلاجه إلى حد كبير يختلف في الديانتين : هل لله من كلمة قبل التدوين وما علاقتها بالكلام المدوَّن ، مشاكل التفسير والنقد التاريخي أو ما هو الإلهي وما هو الإنساني في الكتب

المقدسة ؟ الإفادة هنا في التعارف الحق حول الموضوع ، في تبديد سذاجة الرؤية . المحاولة ، قبل كل شيء ، محاولة بيان وتبيين وفهم .

لم يكن كل الحضور على قلق واحد للمعرفة ولكنا اضطُررنا جميعاً إلى التفتُّح . **أن نتخذ الآخر ومواقفه اتخاذ الجد لم يكن قولاً قلناه بل سبيل حاولنا سلوكه** وكأن الكثرة جعلوه عهداً على أنفسهم . قرَّر هذا ترجمةُ شيء من آثار ذاك . تعاهدنا على تبادل الفكر على مستوى شخصي **وتوصل كلنا إلى اعتبار الدين الآخر مذهباً يسائلنا ، يهزنا حتى إخراجنا من عزلة .**

مارسنا النقد الذاتي ممارسة شرسة . عرفنا التباين اللاهوتي أو الفقهي في أهل الدين الواحد . عانينا شعور الاشمئزاز وشعور الارتياح . ولكن الاشمئزاز لم يكن في فريق تجاه الآخر . **انقسامنا ، في غالب الأحيان ، لم يكن طائفياً . كان انقساماً بين أحرار ومتصلبين .** كانت التعزية الكبرى في إنسانية القوم ، في رحابتهم ، في جودهم العقلي . اكتشفنا الإنسان الديني ، الحياة الروحية عند الآخرين . ما وراء الخلاف العقائدي ، ما وراء النظام العقلي الذي للآخر أحببنا الإنسان الطيب الساعي إلى «إله خالق يُوحي ويَدين» .

**لم نعرف التوتر** . بدا حماس مرة كاد أن يكون انفعالاً وأُسيء الفهم مرة أو مرتين . وكان مرد ذلك إلى أن القوم كانوا قابلين للنقد الذاتي ولكنهم لم يقبلوا ، بالسماحة نفسها ، نقد الآخرين لهم ، لأوضاع لهم تاريخية . **مع ذاك كله تَفرَّقْنا على أحلى ما تكون المودة عليه ، أريد هذه المودة التي تتبع التفاهم العقلي أو تمازجه .**

في صميم تبادلنا كانت فلسطين . قاسينا بعض المصاعب

لإجلاء شأنها ليس فقط مع واحد أو اثنين من مسيحيي الغرب ولكن مع واحد أو اثنين من المسلمين غير العرب . غير أن العرب من الديانتين استطاعوا كسب القضية . قلنا الحوار الإسلامي المسيحي رهن نصرة الحق في فلسطين . نحن في جنيف تجاوزنا المقابلة الذهنية . سعينا إلى لقاء الوجد ، إلى مقابلة الوجود والوجود ، إلى مغامرة صبور تقتحم الماضي وتغفره . أظن أننا انتزعنا التوصية الفلسطينية لما أظهرنا بوضوح أن مسيحيي الشرق والمسلمين هم معاً في هذه القضية .

**وفي قلب اللقاء كان لبنان** . ثلاثة أحاديث من ستة كانت لبَنِيهْ . هؤلاء كانوا قد ساهموا الحوار الذي أقامته الندوة اللبنانية حتى قيل إن المؤتمر طغى اللبنانيون عليه . كان ميشال أسمر يقول لبنان هو الوطن الأمثل لهذا الحوار . لم أتحقق ذلك بالقِدر الذي تحققته في جنيف . كنا نحس ، عند هذا أو ذاك من الزملاء الأجانب ، أن الحوار كان أمر إخلاصٍ ديني . عندنا الشأن في لحمنا ودمنا .

هذا التواد الذي عشنا في سويسرا كان وعد ربيع . آمنّا أن المشاركة ممكنة . أجل الديانتان ليستا واحدة وقد لا تشاهد الإنسانية تجاوزاً لثنائيتهما . **المهم أنهما أصبحتا في مواجهة ، الإنسان الآخر هو فيها كل شيء واحترام الآخر في عقيدته قلب الوجود** . في هذا التعايش الذي يمكن أن يبلغ ذروة التصافي حرية كبرى ونمو عظيم . وفي يد الله مقادير الأمور . المهم هذا الإسلام لله في الطاعة والرجاء .

**باريس الأحد ٢٣ آذار ١٩٦٩**


www.christianlib.com

# خواطر أندلسية

أول ما يلفتك ، إذا دخلت الأندلس ، الخصب . إنها الجنات تجري من تحتها الأنهار بحق . وأنت مُتوسِّطي الحس بين الزيتون والبرتقال ولكنك أيضاً بين أعناب ونخيل وكل رزق حسن والزهر المألوف عندنا : الياسمين والورود حول أحواض الباحات . والناس يروون أرض دارهم ثلاث مرات في النهار ويتسامرون بين الماء والخضراء . كل ذلك يشعرك بأن الشرق والغرب يلتقيان عند الجمال وطيب العيش .

إلى جانب هذا الحاضر ، التاريخ في الأندلس حيّ. والتاريخ فيها كثلكة وإسلام . الكثلكة هنا صارخة ، متطرفة كالمزاج الاسباني . إنها ديانة التوجُّع والثروة في آن واحد . أجل إنها الإيمان في بساطته وعنفه ، ذلك الذي يدفع الناس إلى الرسالات . والراهبة هنا لا تزال محتشمة إذا قورنت بالراهبة الأميركية السائحة التي تستر خِمْسَ ذراعها وتضطر إلى تَيقُّظ لئلا ينحسر ثوبها . في كل معبد في إسبانيا مسيح أليم لا ينفذ إلى القيامة . والمركبات الحاملات مشاهد الآلام تماثيل تخرج من الكنائس إلى الكاتدرائية في طواف. أما المركبة التي

تذهب من كنيسة مصارعي الثيران في إشبيلية وتمثل بيلاطس يدين السيد يحملها بضع عشرات من الناس على أعناقهم مدة ٢٢ ساعة تطوعاً وتنسكاً .

هذه الديانة غنية بغنى الأرض . فالثوب الذي يُوَشَّح به تمثال العذراء في التطواف كلَّف أكثر من نصف مليون ليرة لبنانية ذهباً وفضة وحريراً وعمل ٤٠ إمرأة طيلة سنة ونصف . أرقام خرافية تحكي قصة التحف من حلل كهنوتية وأوان كنسية وبناء للأديرة وتروي تاريخ الفن في هذا البلد العظيم . هذا بالطبع رافق نشوء البلد من أواخر القرن الخامس عشر واستثماره للذهب في العالم الجديد . ولكنك لا تستطيع ، فيما تغادر هذه الجمالات وأنت في اختطاف ، إلاَّ أن تتساءل لماذا كل هذا الغنى في دين لم يقم على هياكل من صنع أيدي الناس ؟ لماذا يستمر كل هذا في كنيسة كتبت كتباً كثيرة في الفقر في العشرين سنة الأخيرة ؟ كيف تجمع إسبانيا بين كل هذا ومتصوفيها الكبار ؟

الإسلام في الأندلس كان يعيش في الترف الذي آلت الكثلكة إليه بعد استعادتها الحكم من المسلمين . ولكن « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » . والمسلم يُقبل على الحياة غير مصلوب . لا يمكنك وأنت في الأندلس إلاَّ أن تحب من الإسلام شيئاً لا سحر بيانه وحسب بل سحر عمارته . وليس الوصف كالرؤية . هنا أيضاً لبنان في صميمه . سقوف القصور والمساجد من أرزنا . وأنت قد تفاضل بين الفن الإسلامي وغيره . إن روائع كثيرة في العالم تجعلك في ذهول . ولكني لا أجد فناً أرقّ من الفن الإسلامي وآنس . وإنه لذلك لكونه لا يعلو الإنسان . الكاتدرائية الغوطية في إشبيلية من قامة الله . مسجد قرطبة

من قامة البشر ولو حمله ألف عمود ونيِّف . وأشجار البرتقال في الماضي كانت تتناسب وأعمدة المعبد وتكملها بحيث كان المؤمن يرى الشجر يتابع الأعمدة في خط واحد خارج المعبد . والمسلم كان يرى ذلك من أبواب المسجد مفتوحة كأن الدنيا كلها مسجد الله أو كأن الجامع بستان من حجر .

الألوهه في قرطبة يشيعها صوت إمام تحت فسيفساء بيزنطية أهداها عاهل الروم للسلطان . الألوهة ، في كل مكان ، آيات الكتاب العزيز . في حمّام الحمراء في غرناطة تعجَّب الدليل السياحي لماذا نُقشت « لا غالب إلا الله » حتى في مكان يستريح الناس فيه ويشاهدون جمالاً بضّاً . لست أعلم لماذا أسر ذلك في أذني قبل أن يتوارد عليه بقية فريقنا . لو كان دليلي أكثر علماً بالإسلام لوضح عنده هيمنة الله على الحياة كلها بما فيها من لذائذ حلال . في هذه الحضارة الأليف كل شيء حار . هنا تفهم كيف يصبح الحجر رخياً . الحمراء تطربك حتى النشوة .

وبعد ذلك يتضح لك ، إن كنت شاكاً أو جاهلاً ، أن العرب قَدِروا على الخَلْق . ثم يتضح لك أنهم أثبتوا قدرتهم على التعاون الكامل والنصارى وإطلاق الحرية الكاملة لهم ولليهود . مجاورة ابن رشد الفيلسوف المسلم وموسى بن ميمون اللاهوتي العبري في قرطبة خير رمز لذلك .

وهنا أحبَّ المسيحيون المسلمين وتأثروهم وبعد جلاء العرب اتخذوا فنهم ونقشوا على قصورهم الآيات القرآنية . هنا أدّى المسلمون

صلواتهم في الكنائس وأقام المسيحيون القداس الإلهي في المساجد .

وإذا ساغت عبرة الماضي فلا نجعلنَّ عروبة المستقبل تغنِّياً بالمجد التليد . فلتكن إذن إرادة خلق لثقافة كبيرة جداً في حضارة اليوم . ولكن الكبر هنا يعني ، فيما يعنيه ، التعاون الروحي والفكري البكر بين أبناء ديانات عدَّة . الحياة كانت هنا مخاضها لا مجرَّد زخرف . يكفي حضارتنا الجديدة أن تكون ، كجامع قرطبة ، حسب قامة الإنسان .

مدريد الأحد ١٧ آب ١٩٦٩

تم طبع هذا الكتاب في شهر حزيران ١٩٨٥
في مطبعة النور – تلفون ٢٨٦٩٨٩
ولحساب منشورات النور
بيروت – لبنان